كتاب الخيل

مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال

تأليف

عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي

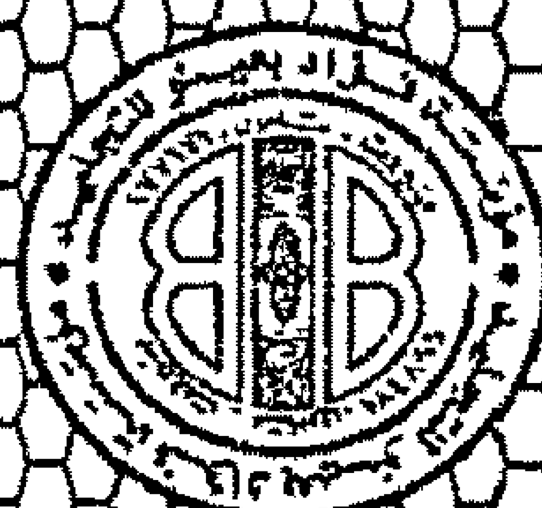
"القرن الثامن الهجري"

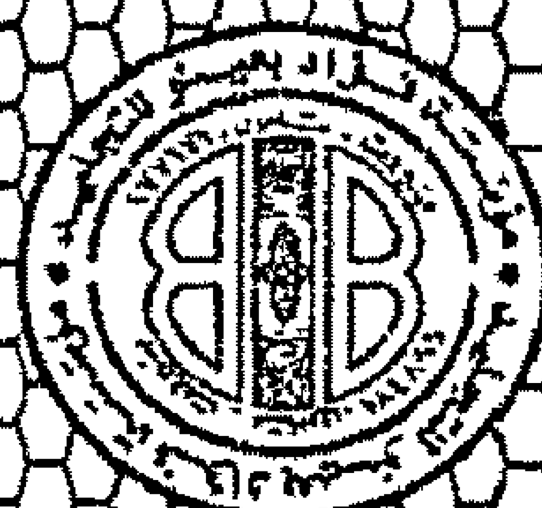
حققه وقدم له

محمد العربي الخطابي



دار الغرب الإسلامي





كِتَابُ الْخَيْل

كتاب الخيل

مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال

تأليف

عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي

" القرن الثامن الهجري "

حققه وقدم له

محمد العربي الخطابي



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

1986/1406



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدّمَة التحقيق

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين.

هذا كتاب من التُّراث العلمي الأندلسي يَسَّر الله لي تحقيقَه بقدر الجهد، سمَّاه مؤلفه أبو محمد عبد الله بن محمد بن جُـزَيّ الكلبي الغرناطي: «مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال واستدراك ما فاته من المقال»، كما ورد في مقدمة المخطوطتين اللّتين اعتمدناهما وفي خاتمتهما أيضاً. فهو إذن انتقاء من كتابٍ آخر سبقه، وتهذيب له، وإضافة عليه، كما سنرى، واسمه «كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ما للخيل من الأحوال»[1] ألَّفه أبو عبد الله محمد بن رضوان بن أرقم الوادي آشي؛ قال عنه عبد الله ابن جزيّ في مقدمة مُنتقاهُ: إنه «من وجوه وادي آش وأعيانها» وأنه ألَّف كتابه وجمعه لأبي عبد الله محمد الغالب بالله بن يوسف (635 — 671هـ/ 1237 - 1272م)، مؤسس دولة بني الأحمر النَّصرية.

قال أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني في ترجمته لابن أرقم

---

(1) هذا هو اسم الكتاب كما ورد في مقدمة «مطلع اليمن والإقبال» وفي النسخة المحفوظة بالأسكوريال؛ أما ابن الخطيب فقد سَمّاه في كتاب «الإحاطة» (2 :143): الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال.

الوادي آشي: «كان صدراً شهيراً، عالِماً عَلَماً، حسيباً أصيلاً، جمَّ التحصيل والإدراك، مطَّلعاً بالعربية واللغة، إماماً في ذلك، مشاركاً في علومٍ من حساب وهيأة وهندسة. . . وليَ القضاء ببلده، ثم ولي بعد مدة ببرشانة فحُمدت سيرته»[1] وكانت وفاة ابن أرقم عام 657هـ/ 1258م[2]. وقد ذكر ابن الخطيب من تأليفه كتاب «الاحتفال»، فقال عنه إنه «ضخم وقفت عليه من قِبَله وأفدته»[3]. وتوجد منه نسخة خطية تشتمل على الجزء الثاني، محفوظة بمكتبة الأسكوريال في اسبانيا برقم 902، وهي بخط المؤلف[4].

ابن جُزَيّ:

هو أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي الغرناطي، من بيت حَسَب ورياسة وعلم مشهورٍ في الأندلس الإسلامية، أبوه هو المفسر الفقيه الأصولي أبو القاسم محمد مؤلف «التسهيل لعلوم التنزيل» و«القوانين الفقهية» و«التنبيه على مذهب الشافعية والحنبلية» و«تقريب الوصول إلى علم الأصول»، توفي شهيداً عام 741هـ/ 1340م، وخلف من الذكور النجباء ثلاثة: أبا بكر أحمد، توفي بغرناطة عام 785هـ/ 1383م وأبا عبد الله محمد، توفي بفاس عام 758هـ/ 1356م وهو الذي كتب بقلمه رحلة أبي عبد الله محمد اللواتي الطنجي الشهير بابن بطوطة (توفي بعد عام 763هـ)، وثالثهم هو أبو محمد عبد الله مؤلف الكتاب الذي نُقدِّمه، ترجم له ابن الخطيب السلماني فقال عنه: «أديبٌ حافظٌ قام على فنِّ العربية، مشارك

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة: 2 :141 - 143.

(2) جاء في «الإحاطة» أن وفاة ابن أرقم كانت عام 757هـ، وهو ما لا يصح، لأن مؤلف كتاب «الاحتفال» أهداه لمؤسس الدولة النّصرية أبي عبد الله الغالب بالله المتوفى عام 671هـ، ولعلّ ما ورد في «الإحاطة» مجرد تصحيف في أصل المخطوطة المنقول عنها، أو خطأ مطبعي.

(3) المصدر السابق: 2 :142.

(4) انظر: براوليو خوستيل، مكتبة الأسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية، ص 15.

في فنون لِسانية»، ووصفه المقَّري بقوله: «العالم العلّامة المعمَّر، رئيس العلوم اللسانية»[1]، ولم يذكر أحد ممن ترجم لأبي محمد بن جزيّ تاريخ وفاته؛ وتدلّ القرائن على أنَّ ابن الخطيب توفيّ قبل ابن جزيّ، وكانت وفاة صاحب «الإحاطة» عام 776هـ/ 1374م، أما السلطان أبو عبد الله محمد الغني بالله بن يوسف بن إسماعيل بن فرج النصري الذي أمر ابنَ جزيّ باختصار كتاب «الاحتفال» فقد امتدّ ملكه من 755هـ إلى عام 793هـ/ 1354 - 1391، ونفهم من عبارة المقري في نفح الطيب أن أبا محمد بن جزيّ قد عُمِّر طويلاً مما يبيح لنا أن نستنتج أنه عاش إلى أواخر القرن الثامن وربما أدرك أوائل القرن التاسع، والله أعلم.

شيوخ ابن جزيّ وتلاميذه:

ذكر ابنُ الخطيب جملةً من شيوخ عبد الله بن جُزَيّ، منهم والده أبو القاسم محمد، وقاضي الجماعة أبو البركات محمد بن محمد ابن الحاج البِلِّفيقي (771هـ / 1370م)، وقاضي الجماعة أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي المعروف بالشريف الغرناطي (760هـ/ 1359م)، والأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البياني (753هـ/ 1352م)، والأستاذ أبو سعيد فرج بن لبّ الغرناطي (783هـ/ 1381م)، وأبو عبد الله محمد بن بيبَش العبدري (753هـ/ 1352م)؛ وأورد ابن الخطيب طائفة من العلماء الذين أجازوا ابن جزيّ بالإجازة العامة أو كتبوا له بها، منهم أبو محمد عبد المهيمن ابن محمد الحضرمي السبتي (749هـ/ 1348هـ)[2].

أما تلامذة عبد الله ابن جزيّ فلم يتعرض ابن الخطيب لذكر أحد

(1) نَفْحُ الطيب، تحقيق د. إحْسان عَبَّاس 5 :539 - 540؛ انظر أيضاً ترجمة ابن جزيّ في «نيل الابتهاج» لأحمد بابا التنبكتي: 154 - 155. وجلّ كلامه منقول من «الإحاطة».
(2) الإحاطة 2 :142 - 143.

منهم، على أننا نجد في آخر كتاب «مطلع اليمن والإقبال» إشارة من مؤلفه تفيد أنَّ أحد تلامذته النابهين هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل (763هـ/ 1361م) مؤلف كتاب «تحفة الأنفس وشعار سكّان الأندلس»، وقد طبع منه الجزء الثاني بعنوان: «حلية الفرسان وشعار الشجعان»[1] ولم يذكر ابن جزي هذا الكتاب، لكنه قال إنه وقف على كتاب في البيطرة من تأليف ابن هذيل، هذا وقد لاحظنا تشابهاً في بعض الفصول بين عبارة «مطلع اليمن والإقبال» و«حلية الفرسان» مما نستنتج منه أن ابن هذيل قد استفاد من أستاذه ونقل عنه بعض تلخيصاته في الأوصاف المحمودة في الخيل.

وذكر أبو العباس أحمد بابا التنبكتي ثلاثةً من تلاميذ عبد الله بن جُزَيْ منهم: القاضي أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القيسي (بعد 857هـ/ 1453م)، ومحمد بن أحمد ابن مرزوق (842هـ/ 1439م)[2].

مؤلفات ابن جزي وشعره:

لم يذكر ابن الخطيب اسم أي تأليف لعبد الله ابن جُزي مما يدل على أنه لم يطّلع على «مطلع اليمن والإقبال» أو أن المؤلف أنجزه بعد وفاة مؤلف «الإحاطة».

ولعبد الله بن جزيّ شعر «نبيل الأغراض، حسن المقاصد» ـ كما وصفه ابن الخطيب ـ وقد أورد منه مختارات كما أثْبَتَ ابن جزي نفسه مقاطع وأبياتاً من شعره في «مطلع اليمن والإقبال» وهو في أغراض مختلفة: المديح والنسيب والوصف والمداعبة، على أن نثره أفضل من شعره الذي يخلو غالباً من الابتكار والجدّة في المعاني والألفاظ، وهو مع ذلك واضح العبارة عذب اللفظ، ومن رقيق شعره قوله:

(1) تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة 1951.

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 154 - 155.

وأشـــنب الـشـغْـر لـه وجـنــةٌ   تـعـدَّت الـنـحـل عـلى وردهــا
مــا ذاك إلاّ حـــســد إذ رأت   رضــابَـه أعــذب من شَهــدهــا

مطلع اليُمن والإقبال:

أوضح ابن جزي في مقدمة كتابه أن الداعي إلى تأليفه رغبة السلطان أبي عبد الله الغني بالله في اختصار كتاب الاحتفال، إلاّ أنه لم يقتصر على الاختصار والانتقاء، بل إنه اتّبع نسقاً جديداً في ترتيب الأبواب، وحذف الألفاظ الغريبة واللغات الحوشية، وأسقط منه أبواباً عدة، وأضاف إليه فوائد علمية ومحاسن أدبية ليخف في المطالعة ويحسن عند المذاكرة والمراجعة ـ كما قال ـ وهو يشير في ثنايا كتابه إلى الأبواب التي أضافها وانفرد بها.

وموضوع الكتاب الخيل: صفاتها وأحوالها واعتناء العرَب بها، ذكر فيه بدء الخيل وفضلها والحض على ارتباطها والرفق بها والنهي عن تعطيلها وإذالتها، وفَصَّل فيه ألوان الخيل وبَيَّن الشياتِ والأوضاحَ والغررَ والتحجيل والدوائر وما يُستحَبُّ من ذلك وما يُكره مستشهداً بأقوال الرواة وعلماء اللغة والشعراء؛ وأفرد لأسماء الخيل العربية الأعلام باباً ولمراتب الخيل في حَلْبة السباق باباً آخر، وتكلّم على المسابقة والرِّهان من جهة الشريعة، ولَخّص الصفات التي يُستدل بها على عتق الفرس وذراعته وشدّته وصبره على الجري، وأورد معلومات من علم الفِراسة.

وقد جاء كتابه جامعاً مع الإيجاز وحسن العرض والتبويب، إلاّ أنه حَشاه ببعض الاستطرادات التاريخية والأدبية التي لا علاقة لها بالخيل، فيها المفيد والمبتذل، وإذا كان لي أن آخذ علي المؤلف شيئاً فهو خلوّ كتابه من أية إشارة تفيدنا عن مدى عناية الأندلسيين المسلمين بالخيول وارتباطهم إياها، كما أنه لم يذكر أصنافها عندهم ولا أسماء أعلامها. والأندلس بلاد خيول وكان لأهلها عناية كبيرة بها، وما تزال من ذلك بقية إلى اليوم.

على أن ابن جُزي صَدّر كتابه بنبذة موجزة عن تاريخ ثمانية ملوك من الأسرة النّصرية وأتى في ذلك بمعلومات مفيدة ولو أنها لا تدرك شأو ما أورده ابن الخطيب في كتبه ولا سيما في «اللمحة البدرية» وفي «الإحـاطة».

وأسلوب المؤلف مرسل جزل خالٍ من التكلف الذي نعهده في معظم كتابات ابن الخطيب. يعمد ابن جزيّ ـ وهذا من حسناته ـ إلى تلخيص كثير من المعلومات التي يقدِّمها في كتابه نقلاً عن الرواة وأهل الأدب واللغة، وهو أيضاً يفسر الكلماتِ الغريبةَ التي ترد فيما ينقله من نصوص. وتلخيصاته مفيدة جامعة، وتفاسيره موجزة من غير إخلال.

هذا وتجدر الإشارة إلى ما لاحظناه عند قراءتنا لخطبة كتاب «مطلع اليمن والإقبال» لعبد الله بن جزي، وخطبةِ كتاب «رحلة ابن بطوطة» التي حررها أخوه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزي، فقد نقل أحدهما من الآخر فقراتٍ بنصِّها، وهي التي جاء فيها: «فقد قضت العقول، وحكم المعقول والمنقول، أن هذه الدولة العلية... هي ظل الله الممدود على الأنام، وحبله الذي به الاعتصام...»[1].

فأي الأخوين نقل من الآخر إذا لم تكن المسألة راجعة إلى المصادفة وتوارد الخواطر؟

تحقـيق الكتـاب:

اعتمـدت في تحقيق كتاب «مـطلع اليُمن والإقبال» على نسختين فريدتين محفوظتين بخزانة الكتب الحسنية في القصر الملكي بالرباط:

الأولى: هي التي رمزنا لها بحرف (أ)، وهي بخط مغربي متوسط الجودة، مشكولة، مسطرتها 5، 20 × 15سم، وعدد أوراقها 86، فرغ ناسخها

(1) انظر مقدمة رحلة ابن بطوطة 1 :24 - 25، وقارن بمقدمة «مطلع اليمن والإقبال» ص 19.

من كتابتها في 17 رجب عام 1149هـ. وهي نسخة جيدة في الجملة.

الثانية: رمزنا لها بحرف (ب)، وهي بخط مغربي واضح مسطرتها 30 × 23سم، وعدد أوراقها 71، فرغ الناسخ من كتابتها في 22 رجب عام 1136هـ[1].

وقد صححت النصّ جهد المستطاع، وأشرت إلى الخلاف بين النسختين مرجِّحاً ما ظهر لي ترجيحه عند اختلاف اللفظ والعبارة، وفسرت ما لزم تفسره منها، ووضعت للكتاب الفهارس التي اقتضاها موضوعه. وكان لزاماً عليّ أن أوثق نصوص الكتاب بحسب قواعد التحقيق المعروفة، غير أني قصرت في ذلك اضطراراً، فحينما دفعت الكتاب إلى الناشر صديقنا الفاضل الأستاذ الحبيب اللَّمسي ـ وكان يُلحّ عليّ في ذلك كلما قَدِم إلى الرباط ـ كان في نيتي أن أضيف عند تصحيح التجارب من التعليقات والهوامش ما هو ضروري كتخريج الأحاديث النبوية، والإشارة إلى مظان تراجم الرجال والشواهد الشعرية وغير ذلك، إلاّ أنني انشغلت بمهام أخرى بحكم الأعباء الدبلوماسية والإدارية والعلمية التي أتحملها في الديوان الملكي وفي أكاديمية المملكة المغربية، فكثرت تنقلاتي ومشاغلي وحالت بيني وبين المضيّ في إتمام ما كان عليّ أن أتِمه، لا سيما وأن الكتاب يُطبع في بيروت، والمواصلات بينها وبين الرباط لا تكون دائماً سالكة هَيِّنة، وقد آثرت أن يتم طبع الكتاب وتوزيعه على أن يبقى مركوناً في انتظار الكمال، وهو مستحيل في حقِّ الكائن البشري.

ويشهد الله، مع ذلك، أنني بذلت قصارى الجهد في ضبط الكتاب وتصحيحه وتعليق حواشيهِ قدرَ الإمكان، ووضعت فهارسه ليخرج إلى الوجود

---

(1) انظر المجلد الثاني من فهارس الخزانة الملكية (الطب والصيدلة والبيطرة والنبات والحيوان) ص 227 - 229.

في حُلَّة مقبولة، واضعاً ثقتي في القاريء اللبيب الذي لا يشقيه البحث والتنقيب لسدِّ ما قد أكون تركته من ثغرات، كما أنني أثبتُّ قائمة بالمراجع والمصادر والمظان التي يمكن أن يجد فيها الباحث المدقق ضالَّته.

والله وليّ التوفيق، ولا حول ولا قوة إلّا به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد العربي الخطّابي

الرباط 10 محرم 1406
26 سبتمبر 1985



قصبة الحَمراء في غرناطة
آخر معاقل الإسْلام في الأندلس.

كتاب الخيل

مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال

تأليف
عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي
" القرن الثامن الهجري "

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

يقول العَبْدُ الفقيرُ إلى الله ـ سبحانه ـ عبد اللّهِ بنُ محمَّد بنِ جُزَيْ ـ رحمه الله تعالى ـ:

الحمد لله الذي فَضَّلَ الإنسانَ على سائرِ أنواعِ الحيوانِ بما خصَّهُ به من نُـطْقِ اللِّسان، وشـرَّفه بـه مِنْ فَضْل البَيـان ، وسخَّـر لـه أَصنـافَ الموجودات ، وذَلَّل له أنواعَ الحيواناتِ تكميلاً للإِنْعام والإِحسان ، وتتميماً للفضل والامتِنان ؛ وصلَّى الله على مولانا محمّـدٍ المبعوثِ إلى الإِنس والجان ، الناسِخ بشريعتِه جميعَ الأَديان ، صَلاةً متَّصلةً ما اتَّصل الجديدان ، وأشرقَ القَمَران ، وسلَّم كثيراً .

أما بعدُ ، فقد قَضَتِ العقولُ ، وحَكَم المعقولُ والمنقول ، أنَّ هَذه الدولةَ العَلِيَّةَ المحمَّديةَ النَّصريةَ هي ظِلُّ الله الممدودُ على الأنام ، وحَبلُه الذي به الاعتصام ، وفي سِلك طاعتِها يَجب الانتظام ، فهي التي أَبْرأَتِ الدينَ عند اعتلالِه، وأَغْمدت سيفَ العُدوان عندانسِلالِه ، وغَزَتِ الكُفرَ في عُقرِ دارِه ، وردَّت سَيْلَ الـظُّلم في قرارِه ، وسَكَّنتْ أقـطارَ الأرض عند ارتجاجِها ، وأَوضحت طُرُقَ المكارم عند إنهاجها ، وأصلحت الأيامَ بعد فسادِها ، ونَفَّقت[1] سوقَ العلم بعد كسادها ؛ فلها الفخرُ على الدُّولِ السَّالفة والباقية ، والعصور الماضية والآتية ، بنورها الباهـر وبَدْرها الزاهر ، ملكِ

(1) في ب : وأنفقتُ ، ونفَّقَ (بتشديد الفاء) : رَوَّج .

الملوكِ الغَنيِّ باللهِ مولانا السلطان أبي عبدِ الله ، خَلَّدَ الله أيامَه ، كما رَفَعَ عَلى الملوك مقامَه ، فهوَ الذي تَحلَّى بالمحامد والمفاخر ، واستَوْلى على جميع المكارم والمآثر ، فله العزُّ الذي عُهِد[1] تاجُه على مَفْرِق الجَوْزاء ، والمجدُ الذي جَرَّ أذيالَه على مَجَرَّة السَّماء ، والسَّعدُ الذي ردَّ على الزمان غَضَّ شبابِه، والعدلُ الذي مدَّ على أهلِ الإيمان جديدَ أطنابه[2]، والجودُ الذي قَطْرُ سَحابه اللُّجَيْنُ والنُّضار، والبأسُ الذي فَيْضُ عُبابِه الدَّم المَوَّار، والنصر الذي بعضُ كتائبه الأجل ، والتأييد الذي بعضُ غنائمه الدُّول ، والحزم الذي يَسُدُّ على الأعداءِ وجوهَ المسارب ، والعزمُ الذي يَفُضُّ جموعَها قبلَ قِراع الكتائب، والحِلْم الذي يَجْني ثَمَرَ الإحسانِ من غَرْسِ الذنوب، والرفقُ الذي جَمَعَ على مَحبَّتِه ضمائرَ القلوب ، والفَهْمُ الذي يجلو نورُه دجا المُشكلات ، وإخلاصُ الباطنِ لله تعالى والأعمالُ بالنيات ، كما قلت فيهِ منْ قصيدةٍ مَوْلدية :

مكـارمُ قد أعيـا العُـداةَ جُحـودُهـا ... ومن ذا الذي يبقى لشمسِ الضُّحى سِترا
لقد جَاوَزتْ حدّ السَّحابِ لحاسبٍ ... وَأنَّى يُطيق المَرْءُ أن يَحصُر[3] القَطرا
يَجـود على العافي بمكنـونِ وَفْرِهِ ... وَمَن يَقْتَنِ العلياءَ لم يَقتنِ الوَفْـرا
مَعـاذَ نَـداه أَن يُضـاهَى بحـاتِمٍ ... وما كان قَدْرُ النَّهرِ أنْ يَحكِيَ البحْرا

وَلَمَّا عَلِم مولانا ـ أيَّده الله ـ أَنِّي مِمّن نشأ في حِجْرِ العلم وغُذِّيَ بلِبانِه وتبوَّأَ روضَه بجَنْـي فنونِ الحِكَمِ من أفنانِه، إذا أبصرتُ خَطّاً في صحيفةٍ أقول حديقةٌ تفتَّحت أَزهارُها ، وإن سمعتُ نظماً أو نثـراً أقول دَوحَـةٌ ترنَّمت أطيارُها ؛ وكان ـ أدام الله مُلكَه ـ ممّن له اعتناءٌ بالعلوم، واهتمامٌ بالمنثور منها والمنظوم ، لا سيما ما يَرجِع منها إلى شأنِ الجِهاد ، ويَتعلَّقُ

(1) في ب : عُقِدَ .
(2) أطنابٍ ، جمعُ طُنُب ، وهو حبلٌ « يُشَدُّ به الخِباء ونحوُه ، وأطنابُ الشمس : أشِعَّتها الممتدة كالقُضُب ، يقال مَدَّت الشمس أطنابها : أي طَلَعت .
(3) حَصَرَ يَحْصُر بمعنى أَحْصَى يُحْصِي .

بالتأهبِ للعُدَاة والاستعداد ، نَفَذَتْ إشارتُه الكريمة ، وارتاحت هِمَّتُه العظيمةُ إلى اختصارِ كتاب (الاحتفال في استيفـاء تَصنيفِ ما للخيل من الأحوال) .

وهذا الكتابُ احتَفَلَ فيه مؤلّفُه فيما احتشده وأكثر فيه مما أوردَه من الألفاظِ الغريبة المستغنَى عنها ، واللُّغاتِ الحوشيةِ[1] التي لا يُحتاج إليها . فرأى ـ أيّده الله ـ برأيِه السديد ، ونَظرِه الرشيد ، أنْ أَنتقِيَ له من الكتابِ ما يَخِفُّ في المطالعة ، ويَحْسُنُ عند المذاكرةِ والمراجعة ، فامتثلتُ أَمْرَه الكريمَ في ذلك ، وسلكتُ فيه ما يُرضيه ـ إن شاء الله ـ من المسالك ، ولم أعتمد في ذلك على نَسَقِ الكتاب ، ولا اقتديتُ به في ترتيب الأبواب ، بل رتَّبتُه بِحَسَب ما اقتضاه النظرُ من التَّرتيب ، وهذَّبتُه على ما يُناسبُه المَقصدُ منَ التَّهذيب ، وضَمَّنتُه كثيراً من الفوائدِ العلمية ، والمحاسِن الأدبية ، مِمَّـا اشتمل على حِفظِه صَدري ، أو استنبطَه فِكري ، أَو أَخَذتـه عن علماءِ عصري ، أو استفدْتُه من غرائبِ التصانيف ، ونوادِرِ التواليف ، وأَسقَطت منه أبواباً عِدّة اشتمل عليها التأليف المذكور مما يَمُجُّه السمعُ ويَنْفِرُ عنه الطبعْ من لغاتٍ حوشية مستثقَلة ، وألفاظٍ غير متداوَلة ولا مستعمَلة ، لا يتعاطـاها الأدباء ، ولا يتداولُها البُلَغاء ، ولا يَعتني بها العُلماء ، فهي لذلك لا حاجةَ تدعو إليها ، ولا ضرورةَ في التأليف تَحْمِلُ عليها ، وسمّيْتهُ (مَطْلِعَ اليُمن والإقبال ، في انتقاءِ كتاب الاحتفال ، واستدراك ما فاتَه منَ المقال) وأرجو بفضل الله أن يوافق الإسمُ مُسمَّاه ، وأن يطابقَ اللفظُ معناه ، والله تعالى يَجعلُه سَعْياً حميداً ، وعَمَلاً سديداً ، ومَقصِداً سعيداً بمنِّه ويُمنه .

وأقول ـ أَوّلاً ـ إنَّ مؤلِّف (كتاب الاحتفال) هو الفقيهُ الأديبُ اللغويُّ أبو عَبدِ الله محمَّدُ بنُ رضوان بنِ أَرقَم من وجوه وَادي آشْ وأعيانِها، أَلَّفه وجَمعه للمقام العلِيّ ، الطاهرِ السَّنِيّ ، مقامِ السلطانِ الكبير الشهيرِ عِزّ الإسلام ، وفخرِ الليالي والأيام ، أميرِ المسلمين الغَالِبِ بالله ، أبي عبدِ الله

(1) في ب : الوحشية .

محمَّد بنِ يوسف بنِ محمد بن أحمد بنِ محمّد بن خَميس بنِ نَصْر بنِ قَيسٍ الأنصاري الخزرجي من ذُريةِ سِيِّدِ الخزرج ، وكبيرِ الأنصار سَعْدٍ بنِ عُبادة - رضي الله عنه - صاحب رايةِ رسول الله ﷺ يوم فَتْح مكّة - شَرَّفها الله - وُجِدَ - رضيَ الله عنه - مَيتاً في مُغتَسلِه وسمعوا قائلاً يقول - يسمعون صوتَه ولا يَروْن شخصَه -:

نحنُ قَتَلنا سَيِّدَ الخزرج سَعدَ بنَ عُبَادَهْ
رَمَيْنـاه بسَهـميْـنِ فلم نُـخْطِ فُؤادَهْ

فيقال إنَّ الجِنَّ قتلته ، وكان ابنْه قيسٌ - رضي الله عنه - سيداً ابنَ سَيِّد . رُوِيَ عن جابرٍ - رضي الله عنه - أنه قال : « خَرجنا في بَعْثٍ كان عليهم أميراً قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادة فَنَحَر لنا تسعَ ركائب فلمَّا قَدِمْنا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك من فِعْلِ قيسِ بنِ سعد، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الجودَ من شيمةِ أهل ذلك البيت» فهذه شهادةُ رسولِ الله ﷺ فيهم، وحسبُك بها شهادة.

ومِنْ مشهورِ أخبارِ قيسٍ - رضي الله عنه - في باب الكرم أنه كَانَ لهُ مالٌ كثيرٌ ديوناً على الناسِ فَمَرِضَ - رضي الله عنه - واستَبطأ عُوَّادَه ، فقيل له : إنهم يستَحْيُون من أجلِ دَيْنِك قِبَلَهم، فأمرَ مُنادياً ينادي : من كانَ لِقيسِ بنِ سَعْدٍ عليه دَيْنٌ فهو له، فأتَاه الناسُ حتّى هَدَمُوا درجةً كانوا يَصْعَدون عليها إليه ؛ وهو القائل في دُعائه : اللهمَّ ارزُقني حَمداً ومجداً فإنه لا حَمْدَ إلا بِفعال ، ولا مجدَ إلا بِمَال .

[ملوكُ بني نصر]

هـذا ومكـارمُ أهـلِ ذلـك البيت قـديمـاً وحـديثاً أعـظمْ من أن تُحصَى، وفضائلُهم على عَهْد النبوَّة وبَعدَهـا إلى الآن أكثرُ من أن تُستَقصى ، ولولا أنَّ التاريخَ ليسَ مِنْ موضوع هذا الكتابِ ولا من مقصودِ هذا الخِطاب ،

لأورَدْنا من مآثرِ سَلَفِهم الكريمِ الطاهرِ ومناقِب خَلَفِهم الذين وَرِثُوا المجدَ كـابراً عن كـابر، كثيـراً مما أحـاط به علمُنـا، واحتوى عليـه حِفظُنـا، لَكنَّا نُلِمُّ بذلك بعضَ الإلمام ، ونُشير إليه إشارةً تنوبُ عن الكلام ، فنقول :

هذا المَلِكُ الأعظمُ أميرُ المُسلمين الغالبُ بالله هو مؤسِّس هذه الدولةِ النصرية ومُمَهِّدُ المملكة العَليَّة الأنصارية، أدام الله مُلْكَهم عِزّاً للإسلام والمسلمين ، وجعلَ المُلْكَ كلمةً باقيةً في عَقِبِهم إلَى يوم الدِّين . ولَمَّا دخل ـ رضيَ الله عنه ـ غرناطةَ نزلَ بباب جامع القَصَبَة ، إذ كان وَقت المغرب ، فلم يَحْضُرِ الإمامُ إذَّاكَ فدفعَ الأشياخُ السلطانَ ـ قدَّس الله روحَه ـ إلى المحرابِ فصلَّى بهم فقرأ في الركعةِ الأولى ، بعد الفاتحة ، بسورة : ﴿ إذا جاءَ نصرُ الله ﴾ فقال الفقيه أبو الحسنِ سَهْلُ بنُ مالكٍ : « هذه آخرُ سورة نزلت على رسول الله ﷺ ، وهذا الرَّجلُ آخرُ منَ يملك هذه الجزيرةَ هو وعَقِبُه ، وكان تَملُّكُه مدينةَ غرناطة عامَ خمسةٍ وثلاثين وستِّمائة ، وكان مولـدُه ـ رضي الله عنه ـ بأرجونة عام أحد وتسعين وخمسِمائة، وكانت وفاتُه ـ رضي الله عنه ـ عام أحد وسبعين وستمائة ؛ وكان ـ رضي الله عنه ـ قد سَعِدَ بيوم الجُمعة ؛ ففي يوم الجمعةِ كان تملُّكُه حضرةَ المُلْكِ غرناطة ؛ ولما سَعِدَ بهذا اليوم المبارك شَرَع فيه الصدقَة الجاريةَ على المساكين من أهل غرناطة ، وبقيَ ذلك مستَمرّاً إلى اليوم ، جزاه الله أفضلَ الجزاء .

ولما استقرّ بغرناطة اعتنى بوجوه أهلِها وقام بمَبَرّة أعيانِها فعَظُمت بذلك محَبَّتُهُ في قلوبهم وتمكَّنت مودَّتُه من نفوسهم ، وهو أولُ من بنى الحَمراءَ وانتقل إليها بنفسه وحاشيته ، وذلك أنه سكن مُدَّةً بقصبة غرناطة ثمَّ رأى أنَّ القصبةَ ـ لاتِّساعِ ساحتِها وانفِساح أماكِنها ـ إمَّا أن يَسكُن بعضُ الرعيةِ معه فيها وإما أن يبقى بعضُ أجزائها خاليةً من الساكنين بها ، فلم يَرَ ذلك سَداداً إلى ما طَمَحَت إليه عُظماءُ الملوك من اتخاذِ قلعةٍ تختصُّ بسُكناه ، وينفردُ بها عن رعيَّته ، ويلجأُ إليها في الشدائد ، وتكون عُدَّةً لاختزان الأقواتِ والأسلحة

ويَتّخِذُ فيها بيتَ مالِه ؛ فبنَى مدينةَ الحمراء وأجرى إليها المياهَ ورتَّبها أحسنَ ترتيب ، وهذَّبها أكملَ تهذيب .

والحمراء ، مَجَّدها الله ، عظيمةُ الاعتلاء ، شديدةُ الضِّياء ، كريمةُ التربة، صحيحةُ الهواء ، ليس في أقطارِ غَرناطةَ أصحّ هواءً منها ، قد تَكَنَّفَها الواديان الشهيران شنجل وحَدارّة ، من كلا جانبيْها ، وأحاطا بها من كِلتَيْ جِهتَيها ، فهي على أَتَمّ وجوه الاعتدال ، وأكملِ دَرجات الكمال ؛ فبناها ـ رضيَ الله عنه ـ وبَنَى الحصنَ الشهيرَ بها ، وهو من أمنع معاقِل الإسلام وأحصنِها وأحسنِها ، منقطعٌ من جهاتِه الثلاث لا يُتَوصَّل إليه .

ولَمَّا بَنَى هذا الحصنَ اتَّخذ به داراً لِسُكناه ودياراً لخواصِّه وأسكنَه أهلَ بَلَدِه أرجونة لا يُخالطُهم غيرُهم ، وَسَكَنَ هو هذا الحصنَ مدةً ثُمّ انتقل عن سُكناه وجعل به قائداً يُجرِي عليه الرِّزقَ الواسع ، ورَسَمَه(1) أن لا يخرجَ من هذا الحصنِ أبداً إلا لضرورةٍ شديدةٍ تدعو إلى ذلك فَيستأذنَ في الخروج ، وقائدُ الحصن على ذلك الرسم إلى الآن .

واستوزَر ـ رضيَ الله عنه ـ جماعةً من الوْزراء الجِلَّة ، منهم : الوزيرُ أبو مروان عبدُ الملك بنِ صناديد رئيسُ قاعدة جَيَّان ، وهو الذي أمْكنَه من ناصيتها ؛ ومنهم القائدُ الرئيسُ أبو عبدِ الله بن الرميمي الذي كانَ لأبيه الظهورُ بمدينة الْمِرِيَّة ؛ ومنهم الوزيرُ أبو الحسن عليُّ بنُ إبراهيمَ الشيباني من وجوهِ غرناطةَ وغيرُهم .

فهذا السّلطان ـ قَدَّسَ الله روحَه ـ هو أولُ ملوك بني نصر ، حَسَبما وقعت الإشارةُ إليه والتنبيهُ عليه .

وثانيهم ابنُه السُّلطانُ الكبير الشهير ، الملكُ الخطير ، أوحدُ الملوكِ

(1) رسَم له : أمَرَه .

جلالةً وحَزماً ودَهاءً وعزماً أميرُ المسلمين أبو عبدِ الله بنُ أميـرِ المسلمين الغالبِ بالله ؛ وُلِدَ ـ رضي الله عنه ـ عامَ ثلاثةٍ وثلاثين وستّمائة ، وتُوفِّيَ في شهر شعبان عامَ أحد وسبعمائة ، تُوُفِّيَ ـ رضي الله عنه ـ على مُصَلَّاه متوجِّهاً لأداء الفريضة على أتمّ الأحوال من الخَشية والتأهُّب والاستعداد .

كان ـ رحمه الله ـ رصينَ العقل ، شديدَ القُوَّة ، تامَّ الخِلقة ، جميلَ الصُّورة عاليَ الهِمَّة ، كريمَ الخُلُق ، عظيمَ الصبر ، كثيرَ الحِلْم . قام بالأمر بعدَ أبيه ـ رحمه الله ـ بعدما كان يُباشره في حياتِه مباشرةَ الوزير ، فَحَصَلَ له بذلك طولُ حُنكةٍ وكَمالُ تَجرِبَةٍ وحُسْنُ سياسة . تكاثر عليه الثُّوارُ في زمانه واشتدَّت الفِتَنُ وارتجَّت الأندلسُ فَثَبَتَ لِزَلزالها رابضَ الجأش ثابتَ المَرْكز ؛ وكان له أنواعٌ من خِلال الخير وصفاتِ الكمال من براعةِ الخطِّ وحُسِن التَّوقيع ونَظْم الشعر ؛ فَمِن نظمِه ـ رضي الله عنه ـ يخاطبَ وزيرَه أبا سُلطان عزيزاً الدَّاني :

تَـذكَّـرْ عَـزيـزُ لـيـالٍ مَضَتْ وإعـطاءَنـا المـالَ بـالـرَّاحتَيْنِ
وقـد قَصَـدَتْـنـا ملوكُ الجِهـاتِ ومـالـوا إلـينـا مِـنَ العُـدوتَـيْـنِ
وإذْ سـألَ الـسّلمَ مـنّـا اللّعـينُ فَلَمْ يحظَ إلا بِـخُفَّـيْ حُـنَـيْـنِ

ومن توقيعِه المستظرَفِ ما وقَّعَه على رُقعةِ شخصٍ كان يَطلب التصريفَ في بعضِ الشهادة المَخْزنية[1] ويُلِحُّ فيها فوقَّع على رُقعتِه :

يمـوتُ على الشَّهـادةِ وهـو حَيٌّ إلاَ هِي لا تُمِتْـه على الـشَّهـادهْ

ومن ذلك توقيعُه على رفعةِ مُشتكٍ بِضَرر جُنديّ من البربر كان قد أُنزِل بدارِهِ فذكرَ أنَّه تَعَرَّض لزوجِه فوقَّع في رُقعةِ المشتكي : يُخرِجُ النازلُ النازلَ ولا يُعوَّض بشيءٍ من المنازل .

(1) المخزن في اصطلاح أهل المغرب الإسلامي : السلطة والحكومة ، وما يزال هذا الاصطلاح جارياً على لسان العامة في المغرب إلى اليوم.

وهذا السُّلطانُ الكبير هو الذي بنَى بحصن الحمراء القَلَهُرَّة[1] الكبيرةَ المُطلَّةَ على المنصور. ومن العجائبِ في هذه القاهرة أنها موضوعةٌ على خَطِّ الاستواء ، ففي كلِّ زمانٍ من فصولِ السنة ، إذا زالت الشمس ودخل وقتُ الظهر، كسا نُورُ الشمس جانِبَها الغربيَّ أجمعَه فَيَعرِف الذي يراها على القُربِ أو البُعد أنَّه وقتُ الظهر لا يختلف ذلك باختلافِ الأزمنة ؛ قد وُضِعت لذلك بتدبيرٍ حَسنٍ وحكمةٍ بديعة .

وكان وزيرُه الوزيرَ الجليلَ الفاضلَ أبا سُلطان عزيزَ بنَ عليِّ بنِ عبد المُنعِم الداني المشارِ إلى ذكرِه مِنْ قبل ؛ وكان هذا الوزيرُ ، فيما يزعمون ، أحقَّ الناسِ بوزارة هذا السلطان الجليلِ لِتَقارب الشَّبَهِ في الصُّورة والسِنِّ وفضلِ الذات وصِحَّةِ الطبع وجمال المنظر .

وثالثُهم ابنُه السُّلطانُ الكبيرُ الشهير أميرُ المسلمين أبو عبدِ الله بنُ أميرِ المسلمين أبي عبدِ الله ابنِ أميرِ المسلمين الغالبِ بالله أبي عبد الله بنِ يوسف بنِ نصر ؛ وُلِدَ ـ رضي الله عنه ـ في الثالثِ لشعبانَ المكرَّم من عامِ خَمسةٍ وخمسين وستِّمائة ، وتُوفي ضَحوةَ يوم الإثنين الثالثِ لشوّال عام ثلاثةَ عشرَ وسبعمائة .

كان ـ رحمه الله ـ من أعاظِم أهلِ بيتِه صيتاً وهِمَّةً ، أصيلَ المَجْد جميلَ الصورة عظيمَ الإدراك ، تَهَنَّأ العيشَ مدةً بعدَ أبيه ـ رضي الله عنه ـ وباشَر الأمورَ بَيْن يديْه فحَصَل له بذلك معرفةٌ عظيمةٌ وتجربةٌ نبيلةٌ وحسنُ إدراكٍ وسياسة . وهو الذي ابتنَى المسجدَ الأعظم بالحَمراء واحتَفَل في بنائه ووقَّفَ عليه الحَمَّامَ بإزائه . واستَوزر أوَّلَ ولايتِه وزيرَ أبيه ، وهو الشيخُ الوزيرُ

---

(1) في أ: القاهرة وهو تصحيف؛ والقَلهرة لفظٌ مُعَرّب عن الأسبانية Calahorra ومَعْناه : دار عمومية ذات شبابيك كانت تُتَّخَذ مكاناً لتوزيع الخبز في زمن المَحْل والخَصاص ، وقد تَعني مجرد بناء مُحصَّن لتخزين الأطعمة ؛ وقد ظنَّ بعضُهم أن أصل الكلمة من العربية: القَلعة الحرة ، وهذا وهم .

أبو سلطان عزيزٌ الداني ، ثمَّ وَلّى خطَّةَ الوِزارة كاتبَه وكاتبَ أبيه الوزيرَ الفقيه الحاج أبا عبدِ الله بنَ الحكيم وصَرَف إليه تدبيرَه وألقى في يدِه أَزِمَّةَ مُلْكِه وقَلَّدَه كافَّةَ شؤونه .

وكان هذا المَلِك ـ رضيَ الله عنه ـ يحسِبُ طريقةَ الأدب ويَنْظِمُ الشِّعرَ الحَسَن . فَمِمَّا وَقَعَ إليَّ من نَظمِه الرائق :

أفاتكةَ اللَّحظِ التي أذْهَبت نُسكي   على أي حالٍ كنتُ لا بدَّ لي منكِ
فـإمَّا بِـذُلّ ، وهو أَلْيَقُ بِـالهوَى،   وإمـا بعِـزٍّ ، وهــو أليقُ بـالمُلْكِ

ورابعُهم أخوه السلطانُ الجليلُ أبو الجيوشِ نصرُ بنُ أمير المسلمين أبي عبدِ الله ابنِ أميرِ المسلمين أبي عبدِ الله الغالبِ بالله . وُلِدَ ـ رضي الله عنه ـ في شهر رمضانَ المُعظَّم عام ستةٍ وثمانين وستِّمائة ، وتُوفّي في شَهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعمائة .

كان ـ رحمه الله ـ مِلْءَ العيونِ حُسناً وتمامَ صورة ؛ وكان آخذاً من صِناعة التَّعديل[1] بحَظٍّ رَغيب يَخُطُّ التقاويم الحسنةَ والجداولَ الصحيحة الظريفة ويَصْنَع الآلاتِ العجيبةَ بيده ؛ كان قد استفاد علمَ ذلك من الشيخ الإمام أبي عبدالله بنِ الرقَّام وحيدِ عَصْرِه في ذلك . وكان حسنَ العَهد كثيرَ الوفاء ، حمله الوفاء على المنازعة في أمرِ وَزيرِه محمد بن الحاج المطلوبِ بعزله حتّى كان ذلك سببَ خَلعِه وذهابِ مُلْكِه . واستوزر أوَّلَ ولايته مُقيمَ أمره ومُحكِمَ التدبير على أخيه ، وهو الوزيرُ القائدُ أبو بكر عَتيقُ بنُ محمّدِ بن المَوْل، واستَوزَر بعد ذلك مُحَمّداً بنَ علي بن الحاج المُسَيَّبَ لخلعِه واجتثاث أصْلِه وفرعِه .

---

(1) التَّعديل من فروع علم الفلك يبحث في كيفية تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات عند تفاوتها في مختلف الفصول ، وهو يعتمد أساساً على الرياضيات.

وخامسُهم السُّلطانُ الكبيرُ الشَّهير الخطير فخرُ الملوك الكرام ناصرُ المسلمين والإسلام العادلُ الهُمَام الباسلُ صاحبُ الحَرب والمِحراب الطاهرُ الأتراب ، والأنساب ، سيفُ الجهاد ، ونورُ البلاد ، فتَّاح الأمصارِ وناصرُ مِلَّة المصطفى المختار ﷺ ، أميرُ المسلمين أبو الوليد اسماعيلُ بنُ نَصر .

وُلِدَ ـ رضيَ الله عنه ـ في الساعة المباركة بين يَدَي الصُّبح من يوم الجُمعة السابعَ عَشَرَ لشوال عامَ سبعةٍ وسبعين وستِّمائة ، وتُوفِّي ـ قدَّس الله روحه ـ شهيداً يومَ الإثنين السادس والعشرين لشهرِ رَجَب من عَامِ خمسةٍ وعشرين وسبعمائة.

كان ـ رضي الله عنه ـ مُحِبّاً في الجهاد مستجِدّاً للسلاح مُنتقياً للمراكب ؛ وكان صليباً في دين الله شديداً في إقامة الحدود لا تأخذه في الحقّ لَوْمَةُ لائم ؛ وكان شديداً على أهلِ البِدَع مُنكِراً للعلوم التي يتحاماها الصلحاء وَيَتَجنَّبها أفاضلُ العلماء ، جارياً على ما كان عليه السَّلَف الصَّالح من ذلك .

تُذوكِرَ يَوماً بين يديه علمُ أصولِ الدِّين ، فقالَ ـ رضي الله عنه ـ : أصولُ الدِّين قلْ هو الله أحد ، وهذا ـ وأشار إلى سيفه ـ.

واستوزر القائدَ أبا عبدِ الله محمَّدَ بنِ أبي الفتح ثم شرَّك معه في الوِزارة الوزيرَ أبا الحسن بنَ مسعود المُحاربي من أعيان الحَضرة وذوي النباهة ، وهو خالُ والدي ـ رحمه الله ـ فَغَلب في خطَّة الوزارة على رفيقه أبي عبد الله بن أبي الفتح إلى أن هَلك القائد أبو عبد الله المذكور وانفرد هو بالوزارة وخَلَصَ له شَرفُها واختصَّ بخطَّتِها .

وسادسُهم ابنُه السلطانُ الكبيرُ الرفيعُ المقدار ، المعلومُ المآثِر والآثار ، ناصرُ الإسلام ، المشتهر بالشجاعة والإقدام ، أميرُ المسلمين أبو عبدِ الله بنُ أميرِ المسلمين أبي الوليدِ بنِ نَصْر ؛ وُلِدَ ـ رضيَ الله عنه ـ في يوم عاشوراء

عامَ خمسةَ عشرَ وسبعمائة ؛ وتُوفِّي شهيداً في الخامس عشرَ لِذِي حجَّة عامَ ثلاثةٍ وثلاثين وسبْعمائة . تقدَّم لوزارته جَدّي للأمّ أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ المحروق من وجوه غرناطة ، ثم استوْزر بعدَه القائدَ أبا عبد الله أبي بَكْرِ بنِ المَوْل المعروف بالقيجاطي ثم صَرَفَه إلى العُدوة فأقام له رسمَ الحجابة والوزارة مُعْتَقُ أبيه القائدُ الشهيرُ أبو النُّعيم رضوان ـ رحمه الله ـ إلى آخر مُدَّتِه .

وسابعُهم السلطانُ الكبير الشهيرُ الذي كَرُمَت أحسابُه وأَعراقُه ، وحاز الكمالَ خَلْقُه وأخلاقُه ، صاحبُ الآثارِ السَّنِيَّة والشمائلِ المُرضيـة الإمامُ الأعلى والشهابُ الأَجلى حُسامُ المِلَّة وعَلَمُ الملوك الجِلَّة المستوي من ميدان الفخر على غايته ، الذي صَحِبَتْه عنايةُ الله ـ جلَّ جلاله ـ في مبدإ أمرِه وفي نهايته ، أميرُ المسلمين أبو الحجاج ابنُ أميرِ المسلمين أبي الوليدِ بنِ نصر ؛ وُلِدَ ـ رضي الله عنه ـ في الثامن والعشرين لشهرِ ربيع الأول المبارك عامَ ثمانيةَ عشرَ وسبعمائة ، وتُوفِّيَ ـ قدّس الله روحه ـ شهيداً على خيرِ عَمل ، وخَتَم الله له بخاتمةِ الحُسنى عند حضور الأَجَل ، وذلك بعدَ إكمالِه عبادةَ الصيام ، وفي الحالة التي هي أقرب ما يكون العبدُ من المَلِك العَلَّام . رَوَيْنا في الصَّحيح من طريق الإمام أبي الحُسين مُسلِمِ بنِ الحَجَّاج بسنده إلى أبي هُرَيرةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « **أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ فَأَكْثِروا الدُّعاءَ** » ، فكانت وفاتُه ـ رضي الله عنه ـ في السَّجدَة الأخِيرة من صلاةِ العِيد غُرَّةَ شوّال عام خمسةٍ وخَمسين وسبعمائة .

كان ـ رضيَ الله عنه ـ أوحدَ الملوكِ الأكابر ، ووارث الشِّيَم الكريمةِ والمجدِ الباهـر، قام بأمرِ المسلمين أَحْمَدَ قِيام ، وبذَل لهم من اجتهادِه وعنايتِه ما يليقُ بأمثالِه من الملوك الكرام ؛ أقام له في أولِ دولته رسمَ الوزارة مُعْتَقُ أبيه القائد أبو النعيم رضوان الشهيرُ السعادةِ والديانة ، ثمَّ استوزر القائدَ الجليل الحَسيبَ الأصيل أبا الحَسَن عليَّ بنَ المَوْل ـ رحمه الله ـ.

وثامنُهم جامعُ مكارِمهم ووارثُ شمائلهم ، المحيطُ بجميع مناقبهم المستولي على كلِّ مَحامدِهم ، واسطةُ عِقْدِهم وياقوتةُ تاجِهم ، وبيتُ قَصيدِهم وبَدرُ شمائِلهم مولى الملوكِ وفَخرُ السلاطين مولانا أميرُ المسلمين أبو عبدِ الله ابنُ مولانا أميرِ المسلمين أبي الحجَّاج ابنِ مولانا أميرِ المسلمين أبي الوليد بنِ نَصْر ، حَفِظ الله سعوده وحَرَسَ بالنصر والتأييد جُنودَه وبنودَه .

هذا الملكُ الأعظمُ لا يُعلَمُ أنه اجتمع في مَلِكٍ من ملوك الأرض ، دانٍ أو قاصٍ ، ما اجتمعَ فيه من الخِصال[1] الحميدة والشِّيَم الكريمة ، والشمائلِ الشَّريفة والفضائلِ المُنيفة ، فما أَحَقَّه بقولِ القائل :

فلو صَوَّرتَ نَفْسَك لم تَزِدْها على ما فيكَ من كَرَمِ الطِّباعِ

وحَسْبُكَ ما له من النَّفس السرِيَّة والهمَّةِ العَلِيَّةِ التي تَقصرُ الأفهامُ عن بِدايتها فضلاً عن نهايتها ، حسبما تدلُّ على ذلك أفعالُه الكريمةُ ومقاصدُه العظيمة ؛ أَلَمْ تَرَ إلى ملوكِ المغرب ـ على ضخامة مُلْكِهم واتساعِ أقطارِهم وتكاثُرِ جنودهم ـ إنما هم في كَنَف رعايتِه وفي حِمَى إيالتِه ، مَنْ وَلِيَ منهم المُلْكَ فبتقديمه وَوَلايتِه ، ومَن انخلَع عنه فبِمُقتضى حُكْمِه العزيزِ وإشارتِه ، فهم لطاعتِه الواجبةِ مُذعِنون ، وبأياديه الكريمةِ مغترِفون ؛ فأحكامُ الملوك موقوفةٌ عليه ، والدُّوَلُ السلطانيةُ تتصرَّف طَوْع يَدَيْه ، مَنْ أعَزَّه مِنْ وليِّ أعزَّه الله ، ومن أذَلَّه من عَدُوٍّ أذلَّه الله . كما قلتُ فيه من قصيدةٍ مَوْلدية أيضاً :

لقد فاز منه الأولياءُ بعِزَّةٍ وأَضْحَت به الأعداءُ وهي خَواضِعُ
فما تَضَعُ الأيامُ من هو رافِع ومَا ترفعُ الأيامُ من هو وَاضِعُ

هذا ، وكم له في بلادِ الروم من الغَزوات الكريمة والفتوحاتِ العظيمة التي طَبَّقَ ذكرُها الآفاق ، واشْتَهَر شأنُها بالحجاز واليَمن والشام والعراق ، كَغزاة أطريرة ، وغَزاة جَيَّان ، وغزاة أبدة ، وغزاة قُرطبة ، إلى غير ذلك مما

(1) في ب : الخلال .



أبو عبد الله محمد الصغير النصري، آخر ملوك بني الأحمر يتأهب لتسليم مفتاح غرناطة وهو على صهوة فرس أدهم (من لوحة محفوظة بقصر مجلس الشيوخ في مدريد من عمل الرسام **F. Pradilla**).

لم يُعْهَد مثلُه في زمان ، ولا شوهدَ نظيره في أوان ، من عهدِ المنصور بن أبي عامرٍ إلى الآن . ولو بَسَطنا القولَ في ذلك لخرجنا عن مقصودِ التأليف وغَرض ِ التَّصنيف . هذا إلى ما تَحلَّى به - أدام الله مُلكَه - من جميل السيرة وحُسنِ السريرة ، وسلامةِ الصَّدر ، وطهارةِ القلب ، وصحَّةِ الطَّبع ، وصِدْقِ النية ، وخُلوص ِ الباطن ، وصلاحِ الضمير ؛ فنسـأل الله العظيم ، ربَّ العَرش الكريم ، أن يَمُنَّ على أهل الإسلام بدوام خِلافته ، وأن يُجْرِيَ الأيامَ والليالي على مقتضى إرادته ، وأن يُقرَّ عينَه في نفسِه وبنيه ، ويُرِيَه فيهم ما يختارهُ ويرتضيه . وها نحن نَشْرع فيما قصدنا ونبتدي بالقولِ فيما اعتمدنا ، بحَوْل الله وقُوّتِه وحسنِ توفيقه وإعانته .

* * *

ما جَاءَ في بَدْء الخَيْل وفَضْلِها
والحضِّ على ارتباطها وما كانَ من مذاهب العرب في ذلك

قال المؤلِّف[1] - رحمه الله - رُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « **لَمَّا أراد الله أن يَخلُقَ الخيلَ أوْحَى إلى الريح الجَنوبِ : إني خَالِقٌ خَلْقاً يكونُ به عِزُّ بني آدمَ فاجتمعي ، فاجتمعت ، فأمَر جبريلَ فأخذَ منها قَبضةً ثُمَّ قـال - تعالى - : هذه قَبضتي فخَلَق منها فرساً كُمَيْتاً ، ثمَّ قال : خلقتُك فَرساً وجَعلتُك عربياً وفضَّلتك على ما خلقتُ من سائرِ البَهائم بسَعَة الرِّزق والغنائم تُفاد على ظَهرك ، والخيرُ معقودٌ بناصيتك ؛ ثم أرسله فَصَهَلَ فقال : باركتُ فيـك ، بصهيلِك أرهِبُ المشركين وأُزَلْـزِل أقدامَهُم. ثمَّ وَسَمَـه بغُـرَّةٍ وتَحجيل . فلما خَلَقَ آدم قال له : اخْتَرْ أيَّ الدَّابتَيْن أحْبَبْتَ (يعني الفرسَ والبُراق) فقال آدمُ : يا رَبِّ اخترتُ أحسنَها وجهاً ، فاختار الفرسَ ، فقال : يا آدمُ اخترتَ عِزَّكَ وعِزَّ ولدِك باقياً ما بَقُوا** » .

(1) يقصد محمَّدَ بن رضوان بنِ أرقم مؤلف كتاب الاحتفال .

قلت : هذا الحديثُ الذي أوردَهُ المؤلِّف لا يَصِحُّ عن رسول الله ﷺ ومما يُستدَلُّ به على عدم صِحَّته أنَّه قال فيه : آدم ـ عليه السلام ـ اختارَ الفرسَ على البُراق ؛ وكيف يكون ذلك والبُراق له المرتبةُ العُظمَى والفضيلةُ الكبرى وهو الذي خَصَّ الله بركوبِه الأنبياءَ عليهم أفضلُ الصَّلاة والسلام ؟ ومِنْ صِفَتِه أنه يضعُ حافِرَه حَيث ينتهي بصرُه وهو الذي رَكِبَه نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ ليلةَ الإسراء .

حدَّثني والدي ـ رحمه الله ـ إجازةً عن جدّي عن جَدٍّ والدي عن الأستاذِ أبي الحَسَن بن ذي النُّون الشهير بابْن الرَّملية ، من وجوه غرناطة ، عن القاضي الجليلِ أبي الفضلِ عيَّاضِ بنِ عياض بسندِه إلى أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أوتيتُ بِالبُرَاق، وهو دابَّةٌ أبيضُ طويلٌ فوقَ الحِمَار ودون البَغْلِ ، يضعُ حافِرَه عندَ مُنتهَى طَرْفِه ، قال : فركِبْتُه حَتَّى أتيْتُ بيتَ المَقْدس فربطته بالحَلْقةِ التِي يَرْبِط بها الأنبياءُ ، ثم دخلتُ المسجدَ فصليَّتُ فيه ركعتيْن ، ثمَّ خرجتُ فجاءني جبريلُ بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لَبَنٍ فاخترتُ اللَّبنَ ، فقال جبريلُ : اخترتَ الفِطْرة ، ثم عَرَّج بنا إلى السَّماء فاستفتح جبريلُ فقيل : من أنتَ ؟ قال : جبريل ، قيل : مَنْ مَعَك ؟ قال: محمَّد ، قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بآدمَ ﷺ فرحَّبَ بي ودعا لي بخيرٍ ثم عَرَّج بنا إلى السَّماءِ الثانية، فاستفتح جبريلُ ، فقيل : من أنت ؟ قال جبريل ، قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمَّد ، قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِث إليه ، ففُتِح لنا فإذا أنا بابْنَي الخَالَة عيسَى ابن مريمَ ويحيى ابن زكرياء ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ فرحَّبا ودَعَوا لي بخيرٍ ، ثم عَرَّج بنا إلى السَّماء الثالثة ، فذكر مثلَ الأولِ ففُتِحَ لنا فاذا أنا بيوسفَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإذا هو قد أُعطي شطرَ الحُسْنِ فرحَّب بي ودعا لي بِخَيرٍ ؛ ثم عرَّجَ بنا إلى السَّماء الرابعة ، وذكر مثلَه فإذا بادريسَ فرحَّب بي ودعا لي بِخَيْر ، قال الله تعالى : ورفعنـاه مكاناً عَلِيّاً ،**

ثم عَرّج بنا إلى السَّماء الخامسةِ فذكر مثلَه فإذا أنا بهارونَ فرحَّبَ بي ودعا لي بخَيْر ؛ ثم عَرَّجَ بنا إلى السّماء السادسة فذكر مثلَه فإذا أنا بموسى فرحَّب بي ودعا لي بخير ، ثم عرَّج بنا إلى السَّماء السابعة فذكر مثلَه فإذا أنا بابراهيمَ مُسنِداً ظهْرَه إلى البيتِ المَعْمور وإذا هو يَدخلُه كلَّ يوم سبعون أَلْف مَلَكٍ لا يعودون إليه ، ثم ذَهَب بي إلى سِدْرة المُنتهَى وإذا أوراقُها كآذانِ الفِيَلَة ، وإذا ثَمَرُها كالقِلال ، فَلَمَّا غَشِيَها من أمْرِ الله ما غَشيَ تَغيَّرت فما أحدٌ من خَلْقِ الله يستطيع أن يَنْعَتَها من حُسنِها فأوحى الله إلَيَّ بما أوحَى ففرض عَلَيَّ خمسينَ صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ ، فَنَزَلْتُ إلى موسى فقال : ما فَرَضَ ربُّك على أُمَّتِك؟ فقلتُ: خمسينَ صلاةً، قال: ارجِعْ إلى ربِّكَ فَسَلْه التخفيفَ فإنَّ أُمَّتَكَ لا يُطيقون ذلك ، فإنِّي قد بَلَوْتُ بني اسرائيل وخَبَرْتُهم ؛ قال فرجعتُ إلى ربِّي فقلتُ : يا رَبِّ خَفِّفْ عن أُمَّتي فَحَطَّ عنّي خَمْساً ، فرجعْت إلى موسى فقلتُ: حَطَّ عنّي خَمساً، قال: إنّ أُمَّتَك لَا يُطيقون ذلك فارجع إلى ربِّكَ فَسَلْه التخفيفَ؛ قـال: فلم أَزَلْ أُرجعُ بين ربِّي تعالى وبين موسى حتّى قال : يا مُحمَّد إنَّهن خَمسُ صلواتٍ كلَّ يوم وليلةٍ ، لكلِّ صلاةٍ عَشْرٌ فتلك خَمسون صلاةً، وَمَنْ همَّ بحَسنةٍ فلم يَعمَلها كُتِبَتْ له حَسنةً فإن عَمِلها كُتِبتْ له عَشْراً ، ومن هَمَّ بسَيئةٍ فلم يَعمَلْها لَمْ تُكتَب شيئاً فإنْ عملها كُتبت سيئةً واحدةً ؛ قـال : فنزلتُ حتَّى انتهيتُ إلى مـوسى فأخبرتُه ، قال : ارجعْ إلى ربِّك فسَلْه التخفيف ، فقال رسـولُ الله ﷺ فقلتُ : قد رَجعتُ إلى ربّي حتّى استحيَيْتُ منه » .

وقال ـ رَحمَهُ الله ـ رُوِيَ أنْ اسماعيلَ ـ عليه السلام ـ لما رفعَ القواعدَ من البيت مع أبيه إبراهيمَ الخليل ـ صلوات الله عليه ـ أوحى الله إلى اسماعيلَ: إني مُعْطِيكَ كنزاً من كُنوزي لمْ أُعطه أحداً قَبْلك، فاخْرُجْ فنادِ بالكَنز يُلَبِّكَ ، فخرج إسماعيلُ ولم يدْرِ ما ذلك الكنزُ ولا كيفَ الدُّعاءُ بهِ حتى أتى أجياداً من جبال مَكَّة فألهَمَ الله إسماعيلَ الدعاءَ بالخيلِ فنادى : يا خيلَ

الله اركَبي ، فلم يَبْقَ في بلاد العَرب كُلِّها فَرَسٌ إلا أتاه وذَلَّلَه الله له فأَمْكَنَه الله من نَواصيها ، وكانت قبلُ مَتَأَبِّدةً كسائرِ الوحوش .

قلتُ ما ذَكَرَه المؤلفُ مِنْ أنَّ إسماعيلَ ـ عليه السلام ـ أولُ مَنْ ذُلِّلَتْ له الخَيلُ وكانت قبل ذلك وحشيةً لا تُركَب قد رواه العُلماء في دواوينهم وذكروه في تصانيفهم ، فَمِنْ ذلك ما رَوَى الواقِدي عن عبدِ الله بنِ يزيد الهلالي عَن مُسْلِمِ بن جُنْدُب ، قال : أولُ من رَكِبَ الخيلَ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ﷺ وإنما كانت وحشاً لا تُطاق حتَّى سُخِّرتْ له .

ومثل الذي أَوْرَدَه المؤلفُ ، مع مخالَفةِ بعض ألفاظِه وزيادةٍ في آخرِه ، ما رَوَى ابنُ جُرَيْج عن أبي مُلَيْكَة عن ابن عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال : كانت الخَيْل وحشاً كسائرِ الوحوش فَلَمَّا أَذِن الله لإبراهيمَ وإسماعيلَ برفع القواعدِ من البيتِ ، قال الله ـ عزّ وجل ـ إني مُعْطيكُما كنزاً ادَّخرتُه[1] لكُما ، ثم أوحَى الله إلى اسماعيلَ أنِ اخْرُجْ فادعُ بذلك الكنزِ ، فخَرَج إسماعيلُ إلى أَجْيَاد ، وكان موطناً قريباً منه وما يدري ما الدعاءُ ولا الكَنز ، فألهمه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الدعاءَ فلم يبق على وجهِ الأرض فرسٌ بأرضِ العَرب إلا أجابَتْه فأَمْكَنَتْه من نواصيها وذللها الله له . قال ابنُ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ : فاركَبوها واعتقِدوها فإنَّها مَيامنُ وإنَّها ميراثُ أبيكم إسماعيل .

فائدةٌ من علم النسب في قول ابنِ عباس ـ رضي الله عنه ـ وإنها ميراثُ أبيكم إسماعيل.

اعْلَم أنَّ جميع العربِ منتسِبون إلى عدنان أو إلى قَحطان ، فأما عدنانُ فاتّفق النسَّابون أنَّه من ذُرِّية إسماعيلَ ـ عليه السلام ـ وأما قَحطانُ فاختَلف أهلُ النَّسب : منهم من يَجعلُه من ذُرية إسماعيلَ ـ عليه السلام ـ ومنهم من

(1) في ب : ذخَرتُه لكما ، واللفظ من ذَخَرَ الشيءَ ، يذخَرهُ ذَخراً وذُخراً من خبأه لوقت الحاجة إليه .

لا يَجْعله من ذُريته ؛ فقـولُ ابنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ « وإنّها ميراث أبيكم إسماعيل » خِطابٌ عامٌ لجميع العَربِ ، على القول الأول ، وخطابٌ خاصٌ بمن ينتسِب منهم إلى عدنان علَى القولِ الثاني .

قـال المؤلف ـ رحمـه الله ـ وفي ذلـك يقـول بعض الشعـراء [في][1]عدنان يَفْخَرُ به .

أبونا الذي لم تُركَبِ الخيـلُ قَبلَه ولم يَـدْرِ خَلْقٌ قَبلَهُ كيف تُـركَبُ

ثُمَّ أورد المؤلِّف ـ رَحمه الله ـ في هذا البابِ كثيراً من فضل الخيلِ ومَزِيَّتها على سائرِ الحيوانات البَهيمية وما اختصَّت به من الأخْلاَق الكريمة والصفاتِ السَّنية .

قلتُ : أما فضلُ الخيلِ فأمرٌ معلوم قطعاً بدليلِ الكتاب العزيز وحديثِ رسولِ الله ﷺ وبمُقتضَى النظرِ والقياس .

أَما الكتابُ العَزيز فقد وَرَدَ فيه فضلُ الخَيْلِ في عِدَّةِ مواضِع ، من ذلك قولُه ـ تعالى ـ ﴿ **الذين يُنفِقون أموالَهم بالليلِ والنهار سِرّاً وعَلانية . . . الآية** ﴾ . قال ابنُ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ : نَزَلت هذه الآية في عَلَفِ الدوابِ ؛ وقال أبو أُمامةَ الباهليّ ـ رضي الله عنه ـ : نَزلت في النَّفقةِ على الخيلِ في سبيلِ الله ـ عزَّ وجل ـ .

ومن ذلـك أنَّ الله ـ سبحانـه ـ أقسمَ بالخيـل لِفضلها في قـوله : ﴿ **والعَادياتِ ضَبْحاً . . .** ﴾ وما بعــده . ومن ذلك أنَّ الله ـ سُبحانه ـ سَمَّاها بالخيرِ في قوله ـ تعالى ـ حِكايةً عن سليمان ـ عليه السلام ـ « **إنّي أحببتُ حُبَّ الخيرِ عن ذِكر ربِّي** » . قيل : يَعني بالخيرِ الخيلَ المعروضةَ عليه ، وسمَّاها خيراً لِتَعَلُّقِ الخير بها وتَمكُّن أسبابِه بسبَبِها . وسنذكر فيما بعد ـ إن شاء الله ـ قِصَّةَ الخيلِ المعروضةِ على سليمان وأوصافَها وعدَدَها إن شاء الله .

(1) في ب : بعض شعراء عدنان ؛ وحرف الجر « في » ساقط في أ .

هذا دليلِ فضلِ الخيلِ من الكتابِ العزيز. وأما دليلُ فَضْلِها من حديث الرسول ﷺ فقد جاء عن عُرْوَةَ بنِ أبي الجَعْد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الخيلُ معقودٌ في نَواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة»، قيل: يا رسولَ الله، وما ذلك؟، قال: الأَجْرُ والغنيمة.

وعُروةُ بنُ أبي الجَعد، راوِي هذا الحديثِ، كان له في دارِه سَبعون فرساً رغبةً منه في ارتباط الخيل، وكانَ عُرْوة هذا كثير الرِّزق كثيرَ الرِّبْح، وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ أعطاه ديناراً يشتري له به شاةً فاشترى له به شاتَيْن فباع إحداهما بدينارٍ وجاء إلى النبي ﷺ بدينارٍ وشاةٍ فدعا له رسولُ الله ﷺ بالبركة، فكان لو اشترى الترابَ لَرَبِحَ فيه؛ وقال بعضُ الشعراءِ في نَظْم معنى الحديثِ المذكور عن رسول الله ﷺ:

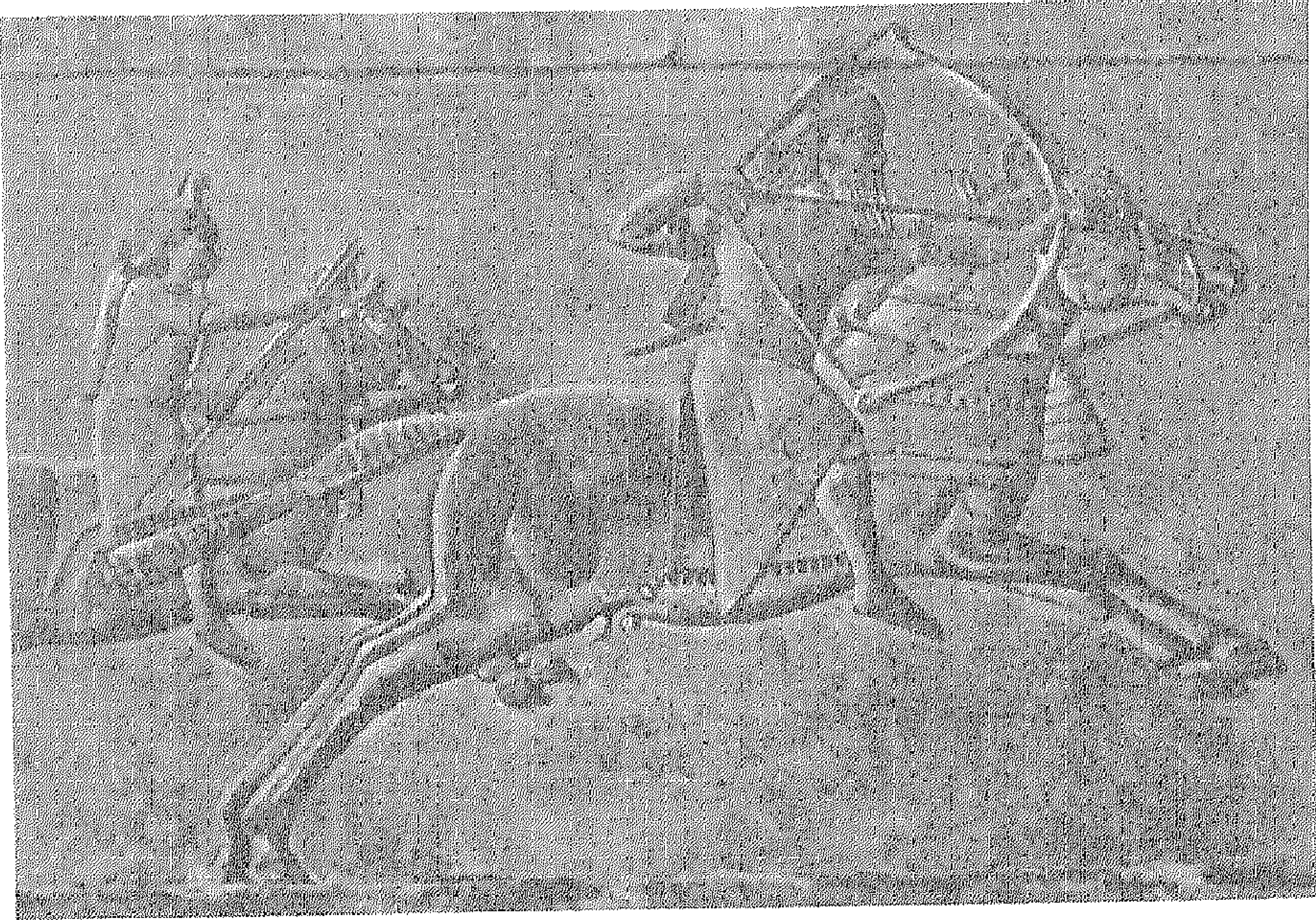
الخيرُ ما طلَعتْ شمسٌ وما غَرَبَتْ مُعَلَّقٌ بنـواصي الخَيْـلِ مَـعقـودُ

وجاء عن رسولِ الله ﷺ مثلُ الحديثِ المتقدِّم لكنْ بزيادةِ فائدةٍ، وذلك قولُه ﷺ: **الخيلُ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، وأهلُها مُعانون عَليها فامسحوا نَواصيها وادْعُوا الله لها بالبَركة.**

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه أَصاب فرساً في غَزاة تَبوك فأعْجَبه صهيلُه ووقع منه كُلَّ مَوْقِع، فقال له رجلٌ من الأنصار: «بأبي أنتَ وأُمِّي لو وهبتَ لي هذا الفرَس»، قال: «هُوَ لك، ولكن إن استطعتَ أن لا تزال تنزل[1] قريباً مني فإنَّ صهيلَه كان يعجبني». ورَوَى أبو الحَسن الإسكندراني أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لقي عيسى بنُ مريمَ ـ عليه السَّلام ـ إبليسَ لَعنه الله، فقال له: يا إبليسُ إني سائِلُك عن شيء فهل أنت صَادقي فيه؟» قال: «يا روحَ الله سَلْني عمَّا بَدا لك؟» فقال: «أسألك بالحيِّ الذي لا يموت ما الذي يَسُلُّ جِسْمَك ويقطعُ ظَهركَ؟» قال: «صهيلُ فَرَسٍ في سبيلِ الله».

---

(1) في ب: أن لا تزال قريباً مني.



أمير أشوري على صهوة جواد ووراءه أحد الجنود الفرسان، تصوير بارز يرجع إلى نحو 600 سنة قبل الميلاد. هذا وتُبين بعض الرسوم الفرعونية أن قدماء المصريين ارتبطوا الخيول منذ ألفين من السنين قبل الميلاد.

وعن سَلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ إلا حَقٌّ عليه أن يَرتبِط فرساً إذا أطاقَ ذلك**». وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: **إنَّ الشيطانَ لا يَخْبِلُ أحداً في دَارِه فرسٌ عتيق**». وهذا من أعظم الفوائدِ في اتّخاذِ الخيل. ومثلُ ذلك ما رُوِيَ أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: «**يا رسولَ الله، إني أُرجَم بالليل**»، **فقال له النبيُّ ﷺ**: «**ارْتَبِطْ فرساً عتيقاً**»، **قال**: «**فلم يُرجَمْ بعد ذلك**» وهذا دليلٌ فضلِ الخيل من جهة حديث رسولِ الله ﷺ.

وأما فضلُها من جهةِ النَّظرِ والقياس، فنقول: إنَّ المخلوقاتِ الأرضيةَ المشاهدةَ المرئيةَ أربعةُ أصناف: حيوانٌ عاقلٌ، وحيوانٌ غيرُ عاقلٍ، ونباتٌ وجمادٌ؛ فأشرفُ هذه الأصنافِ الأربعةِ هو الحيوانُ العاقل ـ ونَعني به الإنسانَ ـ لِما اخْتُصَّ به من العَقْل وتَميَّزَ به من النُّطق. قال الله تعالى: ﴿ **ولقد كَرَّمنا بني آدم**... ﴾ الآية. ويليه في الرُّتبة الحيوانُ غيرُ العاقلِ لكونه يُشاركُه في الحِسِّ والإدراكِ والغِذاءِ والنَّماء، وإن كان يُخالفُه في العقل والنُّطق. ويلي الحيوانَ غيرَ العاقِل في الرُّتبةِ النباتُ، لأنَّه يشاركُه في الغِذاء والنَّماء وإن كان يُخالفُه في الحِسِّ والإدراك. ويلي النباتَ في الرُّتبةِ الجمادُ، فَرُتْبَتهُ أحطُّ الرُّتَب إذ لا عقلَ له ولا نطقَ ولا حسَّ ولا إدراكَ ولا غِذاءَ ولا نَماء. وما قَرُبَ من الحيوان البهيميِّ في أوصافِه وأحوالِه إلى الحيوان العاقل، فهو أشرفُ جِنسِه وأحسنُ نوعِه.

وإذا نظرتَ في شأن الفَرس وجدْتَ له من قوةِ الإدراك، وحِدّة القلب، وذكاءِ الذِّهن، وصحَّةِ المَيْز، وعزَّةِ النفس، وكرم الطَّبع، ما يَقْصُر عنه كثيرٌ من جنسِ العقلاء، ويعجزُ عنه كثيرٌ من الناطقين الألِبَّاء، فدَلَّ ذلك، من جهةَ النَّظر والقياس، على ما للفَرس من الفضلِ والمزيَّة على غيره من الحيوانات البهيميةِ؛ ثم ينضاف إلى ذلك ما للفرس من سُرعة الجرْي وقُوَّة الجسم، وشِدَّة الكَرِّ عند الإقدام، والفَرِّ عند الإحجام، ومعونَتِها

في الحرب ، وتَأَتِّيها عند الطَّعن والضَّرب .

ولما كان للخيلِ في الحرب ما لها من البطشِ في الدِّفاع وحَصانةِ الامتناع ، فَرَضَ رسولُ الله ﷺ في المغانِم للفرسِ سَهمَيْن ولصاحِبه سهماً واحداً فكان الفارس يُعطَى ثلاثةَ أسْهُمٍ : سَهمَيْن لفرسِه ، وسهماً له ، وكان الرجل لا يُعطى إلا سهماً واحداً .

فصلٌ في اعتناء العرب بالخيل
واهتمامهم بشأنها وما يُؤثَر عنهم في ذلك

من ذلك قَولُ مفروقِ بن عَمْرٍو الشَّيباني لأبي بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ « إنَّا لَنُوثِر الجيادَ على الأولاد ، والسِّلاحَ على اللِّقاح » . ومن ذلك قولُ عَمْرِو بن مَعْدي كَرِبَ لِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ ـ رضيَ الله عنه ـ وقد قال له عُمَرُ : « كيف معرفتُك بالخيلِ العِراب يا عَمْرو ؟ » فقال : « معرفةُ الإِنسان بنفسِه وأهلِه وَوَلَدِه » . وقال أبو عُبَيْدة : « إنَّ ملوكَ العرب كانوا لا يَبيتُ أحدُهم إلا وفرسٌ موقَفٌ بِسَرجه ولِجامِه قريباً منه مخافةَ عَدُوٍّ يَفجَأُه أو حالةٍ تنقلبُ عليه ، وذلك لِشدَّةِ حَزْمهم ونظرِهم في العواقب . وكان للنُّعمان بنِ المُنذر ، من ملوك العرب ، فرسٌ يقال له «اليَحموم» ، يتعاهد أَمْرَه بنفسه . وسنذكره بعدُ في أسماءِ خيلِ العرب ـ إن شاء الله ـ وكانت العرب ـ على كثرة سخائهم بأموالهم ، وبذلهم لأنعامِهم وآبالهم ـ لا يجودون بإعطاء الخيلِ ولا يَسمحون بعَاريتها ، ويَغارون عليها كالغيرة على العِيال . وفي المعنى قال بعضُ شعرائهم :

وَحَـالَفْنـا السيـوفَ وصـافِنـاتٍ سـواءٌ هُـنَّ فيـنـا والـعِـيـالُ

فَسَوَّى بين الصافناتِ ، وهيَ الخيلُ ، وبين العِيال في الحَوْطة عليهنَّ والصيانةِ لهنَّ .

وكان حَاتِمُ الطائي ـ الذي يُضرب به المثلُ في الكرم ـ لا يُمسِك شيئاً

من ماله إلا فرسَه وسلاحَه ، فإنه كان لا يجودُ بعَطائه ولا بعَاريته على أنه ذبَح مـرةً فرساً كان له في أزْمةٍ نزلت بقومه فأطعَم منه أهلَه وحَيَّه أجمعين ؛ وقال أكثمُ بنُ صَيْفي ـ أحدُ حكماءِ العرب ـ في وَصيَّته : عليكم بالخيلِ فإنها حُصونُ العرب .

قلت : ومِنْ غريبِ الفقه فيما يتعلَّق بهذا المعنى أنَّ ابنَ سيرين ـ رحمه الله ـ سُئِل عَمَّن أوصى بثُلثِ مالِه في الحصون ، فقال : « هو في الخيل ، ألمْ تَسْمَعْ قولَ الشاعر؟ :

إنَّ الحصونَ متونُ الخيلِ لا المَدَر

بابُ الرِّفق بالدوابّ والنَّهيِ عن تعطيل الخيل وإذَالتها وآداب السفر والمُرافقة

جاء في الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ ـ قال : « **أكرِموا الخيل وجَلِّلُوها**[1] » . وجاء عنه ﷺ أنّه قال : « **لا تَقودوا الخيلَ بنواصيها فَتُذِلُّوها** » . وعن عُمَرَ بنِ عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ قال : « أُثْبِتَ لي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « من كان له فرسٌ عَربيٌّ فأَكرَمه ، أكرمه الله ، وإن أَهانه ، أهانه الله » .

وجاء عنه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنَّه قال : « **إذا رَكِبَ أحدُكم الدابَّة فَلْيَحمِلْها على مَلاذِّها**» أيْ لِيَحملْها من الطريق على ما يوافقُها ويكونُ فيه إرادتُها من الجَدَدِ ودِماث الأرض[2] التي يستلِذُّ الدوابُّ المشيَ فيها ولا يَحمِلها على الوُعوثة والحزونة[3] التي يَشْتدّ عليها السَّيرُ فيها .

---

(1) في ب : أكرِموا الخيل جللوها (بدون واو العطف) .
(2) الجَدَد : الأرضُ المستوية . والدِّماثُ ، جمع دَمِث ودَمِثَة : السهلة اللينة .
(3) الوُعوثَة : وعْورة الطريق ؛ والحزونة من حِزَن المكان : خَشِنَ وغلُظَ .

وجاء عَنْه ﷺ أنَّه قال في الخيل : «**اركبوها سالمةً ، واتّدِعوها سالمةً ، ولا تتَّخذوا ظُهورَها كراسيّ** » أي لا تجلسوا على ظهورها جُلوسَكم على الكراسي من غير مَشْي .

وجَاء في الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ : خَرَج ذاتَ يوم فَمَسَح وجهَ فرسِه وعَيْنيْه ومَنْخِريه بِكِمّ قميصه ، فقيل : بِكِمّ قميصِك يا رسولَ الله ؟ ، فقال : **إن جبريل عاتَبني في الخيل** » .

وعن معاويةَ بنِ جُرَيْج قال : مررتُ بأبي ذَرٍّ حين فُتِحَت مصرُ وهو يُمَرّغ فرسَه بيده ، فسلَّمتُ عليه ووقفتُ فقلت : « ما هذا الفعلُ منك ـ يا أبا ذرّ ـ بهذا الفرس كالمُنكِرِ لِما رأيتُ من رفقه به وخِدمتِه بيده ، فقال : « هو فرسٌ لي وما أراه إلا مستجابَ الدعـوة ، قلتُ : « وهل تَـدعوا الخيـلُ وتُجاب ؟ » ، قال : « نَعم، إنه ليسَ من ليلةٍ إلاَّ والفرسُ يدعو فيها ربَّه فيقول : « ربِّ إنَّك سَخَّرتَني لابنِ آدمَ وجعلتَ رزقي في يدِه ، اللهمَّ اجْعلني أحبَّ إليه من أهِله وولَدِه ، فمنها المستجابُ الدعوة وغيرُ المستجاب ، وما أرى فرسي هذا إلا مُستَجابَ الدَّعوة .

وعن رَوَح بنِ زنباع قال : « دخلتُ على تميمٍ الدَّاري ـ وهو أميرُ بيتِ المقدس ـ فوجدْتُه يُنَقّي لفرسه شَعيراً، فقلتُ: أيها الأمير أمَا كان لغيرِك أن يَكفيَك هذا ؟ » ، فقال : « إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ ـ يقول : « **من نَقَّى لفرسِه شعيراً ثم جاءه به حتى يُعَلِّقه عليه كَتَب الله له بكلِّ شعيرةً حسنة** » .

وقيل : ثَلاثةٌ مَنْ خَدَمهم فقد رَأَس : الضيفُ والوالدُ والفَرس . وقيل : ثلاثةٌ لا ينبغي لأحدٍ أنْ يأنَف منها ، شريفاً كان أو مَشروفاً ، أميراً كان أو مَأموراً : خُضوعُه لأبيه ، وخِدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرسِه .

ونهى رسول الله ﷺ ـ عن إذالةِ الخَيل ، وإذالتُها هي إهمالها وإهانتُها بما لا تصلُح له من العمل وتضييعُها؛ يقال: أذالَ فرسَه أو غُلامَه، إذا أهْملَه

وضَيَّعَه. ومِنْ إذالتها امتهانُها بالعمل الدُّونِ من الحَمْلِ عليها والحَرث بها، وتكليفِها غيرَ ما تصلُح له من الغَزْوِ ونَحوِه.

ومما جاء عن رسول الله ﷺ من الرِّفق بالدابَّة وآداب المرافقة، قولُه ﷺ: «سيروا بسيرِ أضْعَفِكم»، قلتُ: ومِن بديع العبارةِ وجميل الإشارة في آداب المرافقة[1] وحُسنِ الموافقة قولُه ﷺ: «المُضْعِفُ أميرُ السَّفر» - يعني - ﷺ أنَّ على القوم أن يَتْبعوا المُضْعِفَ ويَسيروا بسيره، كما أنَّ عليهم أن يَتْبعوا أميرَهم ويسيروا بسيرِه - فجرى الكلامُ على تشبيهٍ بليغ، وأسلوبٍ بديع.

تكميلٌ حسن: أقول: «إنَّ من الرِّفق بالخيل والنظرِ لها أن يحذر كلَّ الحَذَر أن يَسقيَ الفرسَ، أو يَعْلِفَه إثْرَ التَّعَب والإعياء، ولْيُمْهِلْه حتَّى يَسكُنَ ويَجِفَّ عَرَقُه، ويهدأ هُدُوّاً تامّاً، وكذلك يَحذر من عَلَفِ الشّعير الكثيرِ مع طول الراحةِ والجِمام، وقلةِ الحركة والتصرّف، وكذلك يتحرَّز من أن يُعطيَه الرطْبَ من الحشيش مع اليابس، ولْيَتَحفَّظْ من ذلك ما استطاع، لكن للضَّرورات أحكامٌ يُلحَظ فيها ما هو الأرفق بحَسبِ ما يقدر عليه - بحول الله تعالى - .

وأنشدَ المؤلِّف - رحمه الله تعالى - لشاعرٍ من بني عامر في النهيِ عن تضييعِ الخيلِ وإهانتِها والحضِّ على إكرامها وصيانتها:

بَني عامرٍ ما لي أَرى الخيلَ أصبحتْ ... خِماصاً[2] وبعضُ الضمر للخيل أمثلُ
بني عــامرٍ إنَّ الخيــولَ وقـايــة ... لأنفسكم والمــوتُ وقتٌ مؤَجَّــلُ
أهينـوا لها مـا تُكرمـون وبـاشـروا ... صيـانتَها والصَّـوْنُ للخيـل أجمـلُ
متى تُكـرموهـا يُكرمِ المـرءُ نفسَه ... وكلُّ امْرِىء من قومه حيث يَنـزلُ

---

(1) في ب: المراقبة، وهو تصحيف.
(2) خِماص جمع خَميص، من خَمَصَ البَطنُ أيْ خلا وضَمُر.

قلت : « هذا نَظْمٌ حَسَنٌ في هذا المعنى ، وأَحسنُ منه قولُ ابنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - :

إذا مَا الخيلُ ضَيَّعها أُناسٌ ربطناها فشاركتِ العِيالا
نُقاسِمُها المَعيشةَ كلَّ يومٍ ونكسوها البَراقعَ والجِلالا[1]

باب تفسيرِ اسم الخيل واشتقاقه وما يرجع إلى ذلك

اسمُ الخيلِ مُشتقٌ من خال يَخِيل خَيلاً ، واختال يَختال اختيالاً ، إذا كان ذا كِبْرٍ وخُيَلاَء ، وذلِكَ أنَّ الخُيلاء صفةٌ في الخيلِ ثابتةٌ لا تكاد تُفارقها ، وسُئل أَعرابيٌّ بمَحْضر أبي عَمْرو ابنِ العلاء عن اشتقاق الخَيْل ، فقال : « اشتقاقُ الاسم من فِعْل المُسمَّى » ، فلم يعرِف الحاضرون ما أراد ، فسألوا أبا عَمْروٍ بنِ العلاءِ فقال : « ذَهَبَ إلى الخُيلاء الذي في الخيل » .

والخيلُ على قِسمين : عِرَابٌ وبَراذين ؛ **فالعِراب** هي الخيل العتيقة ، **والبَراذين** التي هي على خِلاف ذلك ؛ والبَراذين على قِسمين : هَمَاليج وزوامِل ، **فالهَماليج** هي السريعةُ السَّير المُعَدَّة لذلك ، **والزوامل** هي التي تُوكَف[2]ويحْمَل عليها المَتَاع ، والواحد من الهماليج : هِملاج ، الذكر والأنثى فيه سواء ؛ والواحد من الزَّوامل : زَامِل للذكر ، وزاملة للأنثى . والفرس واحدُ الخيل ، وهو لفظٌ يَقع عند العرب على المذكَّر والمؤنَّث عموماً ؛ يقال : هذا فرسٌ ذَكَرٌ وهذه فرسٌ أنثى ، فإن أردْتَ المذكَّر خصوصاً ، قلتَ : حِصان بكسرِ الحاء ، والعامَّة تَغلط فيه فتقول : حُصان بضمِّ الحاءِ ، وإن أردت المؤنَّث قلتَ رَمَكَةٌ أو حِجْر .

والفرق عندهم بينَ الحِجْر والرَّمَكَةُ أن **الحِجْرَ** من الخيل هي الأنثى

(1) البراقع جَمع بُرقُع وهو القِناع ، ومعناه أيضاً : سِمَةٌ في فخذ الدابة . والجِلال (بكسر الجيم) : الغطاء ، وجَمْعُه جُلّة (بضم الجيم) .
(2) أَوْكَفَ الدابَّة ، وضع عليها الوِكاف ، وهو البرذعة ؛ وجمعه وُكُف .

المتَّخذَةُ للركوب خاصَّةً ، **والرَّمَكَةُ** هي الأنثى المتَّخذَة للنَّسل وقد تُركَب .

ونظير لفظِ الفرسِ في كَونه يَعُمُّ المذكَّرَ والمؤنَّث ، والمذكَّرُ له لفظٌ يَخصُّه ، والمؤنَّثُ له لفظٌ يخصُّه ، كما ذكرنا ، نظيرُ ذلك لفظُ البَعير : فإنه لفظٌ يَعُمُّ المذكَّر والمؤنَّث من الإبل ، فإنْ أردت المذكَّر خصوصاً قلتَ : جَمَلٌ ، وإن أردت المؤنَّث خصوصاً ، قلت : ناقة ؛ وكذلك لفظُ الإنسان يَعُمُّ المذكَّر والمؤنَّث ، فإن أردت المذكَّر خصوصاً قلت : رَجُل ، وإن أردت المؤنَّثَ خُصوصاً ، قلتَ : امْرأة .

وأما لفظُ الدَّابة فإنه اسمٌ يقع على كلِّ ماشٍ على الأرض من إنسانٍ أو بهيمةٍ وقوعاً عامّاً في أصلِ اللُّغة، لكنْ كَثُرَ استعمالُه في العُرْف واقعاً على المركوبات من الخيلِ والبِغال والحَمير على الخصوص .

والدليل على وقوع الدَّابةِ على كلِّ ماشٍ في أصل اللغة قولُه تعالى: **﴿ والله خلق كُلَّ دابَّةٍ من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنِه ، ومنهم من يمشي على رِجْلَيْن ، ومنهم من يمشي على أربع ﴾** فأوقع ـ سبحانُه ـ لفظَ الدابةِ على ما يمشي على بطنه كالحياتِ وشبهها ، وعلى الماشي على رِجلين من الإنسان وعلى الماضي على أربع من المركوبات وبهائِم الأنعام .

تنبيه نبيه : أقولُ : لِسائلٍ أن يسأل في هذه الآيةِ المذكورة فيقول : ما الحكمةُ في أن قَدَّم الله ـ سبحانه ـ في الذِّكْر الماشيَ على بَطنِه كالحياتِ وشبهها على الماشي على رِجْلين مع كَوْن الماشي على رِجلَيْن له المَزِيَّةُ والشرفُ على الماشي على بطنه .

الجوابُ عن ذلك أنَّ الآيةَ مَسوقةٌ للدَّلالة على كمالِ قُدرة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإحاطتِها ؛ ولا شك أنَّ الماشيَ على بطنِه من غيرِ استعانةٍ بِرجلَين ولا بأربع أعجبُ في باب القُدرة وأكملُ في شأنِ الدَّلالة ، فَقُدِّم في الذِّكْر لقُوتِه في الاستدلال وظهورِ القُدرة فيه على الكمال .

ونظيرُ ذلك مما تقدم من الألفاظ لِحكمةٍ بيانية اقتضت ذلك ، وظاهرهُ أن يكون مؤخَّراً ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وسَخَّرنا مع داوود الجبالَ يُسبِّحْن والطير . . .** ﴾ (الآية) . فَلِسائل أنْ يسألَ عن الحكمةِ في تقديم الجبالِ على الطير معَ أنَّ الطَّيرَ له المزيةُ على الجبالِ لأنَّه من جِنسِ الحيوانِ والجبالُ من جنسِ الجَماد ، ولا شكَّ أنَّ الحيوانـاتِ لها المـزيَّةُ على الجَمادات لِما خَلَقَ الله لها من الإدراك والإحساس كما قدَّمنا .

الجواب عن ذلك أن تسبيحَ الجِبال مع داوودَ ـ عليه السلام ـ مع كونها مِنْ جِنْس الجَمادات ـ [أَعجبُ وأغربُ من تسبيح الطَّيرِ لِكَونه][1] من صِنْفِ الحَيوانات ، لأنَّ الحيوانَ ، على الجملة ، أقربُ إلى النُّطق من الجماد ، ألا ترى أنَّ بعضَ الطيورِ يُعَلَّمُ النُّطقَ فيَنطقُ ولا يُتَصَوَّرُ ذلك في الجَماد ، فقـدَّم ـ سبحانه ـ ما نُطْقُه أغربُ وكلامُه أَعْجَب، وحُجَّتُه أَبْهَر، ودلالتُه أَظْهَر.

ونظير ذلك [أيضاً] قولُه ـ تعـالى ـ : ﴿ **ثمَّ أوْرثنا الكِتـابَ الذين اصْطَفَيْنا من عبادِنا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِه ومنهم مُقْتَصِد ، ومنهم سَابِقٌ بالخيراتِ بإذْنِ الله** ﴾ ، فَلِسَائـل أنْ يَسألَ عن الحكمـةِ البيانيـة في تأخيـر السابِق بالخيرات، وظاهِرُه أنْ يكون مقدَّما، وتقديمِ الظَّالِم لنفسِه، وظاهرُه أنْ يكونَ مؤخَّراً.

الجوابُ أنْ يقال : قَدَّم الله ـ سبحانه ـ الظَّالمَ لنفسِه ، وهو العاصِي ، رِفقاً به لئلا يَيْأَسَ ، وأخَّرَ السابقَ بالخيراتِ ، وهو المطيعُ لِئَلَّا يُعْجَبَ بنفسه وبعَمَلِه ، وبقيَ المقتصِدُ ، وهو الذي يَخلِطُ عملاً صالحاً وآخـرَ سيئاً ، متوسطاً في اللفظِ كما هو متوسِّطٌ في المعنى .

ونظيرُ ذلك [أيضاً] قولُه ـ تعالى ـ : ﴿ **يَهَبُ لِمَن يشاء إناثاً ويَهَبُ**

(1) جملة ساقطة في أ .

لِمَن يشاءُ الذُّكُور ﴾ . لِسائلٍ أنْ يَسأل عن الحِكمةِ في تقديمِ الإناثِ على الذكورِ ، مع أنَّ المَزِّيةَ الدينيةَ والدُّنيويةَ إنَّما هي للذُّكور .

الجواب عن ذَلك أنَّه لَمَّا كانتِ العادةُ جاريةً بِحُبِّ وِلادةِ الذكورِ واستثقالِ وِلادةِ الإناث ، وكان ذلك أمراً طبيعياً قَلَّمَا يَخلو إنسانٌ عنه بقلبِه وإن لم يُظْهر ذلك بلسانِه ، قَدَّم الله ـ سبحانه ـ الإناثَ اعتناءً بهنَّ وتأنيساً وتَسليةً لِمَنْ وَهَبَهُنَّ له ، ولذلك قال بعضُ العلماء : مِنْ يُمْنِ المرأة تبكيرُها بأُنثَى قبلَ الذَّكَر ، لأنَّ الله ـ سبحانه ـ بدأ بالإناث .

ونظيرُ ذلك قولُه ـ تعالى ـ في وصفِ الأنعام من الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعِز : ﴿ **ولكم فيها جَمالٌ حينَ تُريحون وحينَ تَسْرحون** ﴾ وذلك أنَّ مَعنى قوله : ﴿ **تُريحون** ﴾ : تَردُّونها بالعَشِيِّ إلى المنازل ، ومعنى قولِه : ﴿**تَسْرحون**﴾ : تُخرجونها بالغَدَاة إلى الرَّعْيِ ، ولا شكَّ أنَّ إخراجها بالغَداة إلى الرَّعْيِ مُتَقَدِّمٌ على رَدِّها بالعَشيِّ إلى المنازل ، فظاهرُ قوله : ﴿ **وحينَ تسرحون** ﴾ : أنْ يكونَ متقدِّماً في اللَّفظ كما هو متقدّمٌ في المعنَى والحِسِّ ، وظاهرُ قولِه : « وحين تُريحون » : أن يكونَ مُتَأخِراً في اللَّفظ كما هو مُتَأخِّرٌ في المعنى .

الجوابُ عن ذلك أنَّ الآيةَ مَسُوقَةٌ في وَصْفِ الأنعامِ بالجَمَال وحسُنِ المنْظرِ، ولا شكَّ أنَّ جَمالَها بالعَشِيِّ حين تَرجع منَ الرَّعْي إلى المنازلِ أكثرُ من جَمالِها حين تَخرُجُ بالغَداةِ إلى الرَّعْي ، لأنها تَرجِع إلى المنازلِ وبُطونُها مَلأى ، وضُروعُها حافلةٌ ، فلذلك قَدَّم حالةَ الرجوعِ إلى المنزلِ بالعَشِيِّ على حالةِ الخروج منه بالغَداة .

فهذه جُملةٌ من المسائلِ البيانية في التَّقديم والتَّأخير ، منها ما ظَهَرَ لنا ومنها ما استفدْنَاه من العُلماء ، وإن كان ذلك خروجاً عن مَقْصدِ الكتاب ، ولكنَّ الحديثَ شجون ، والمسائلَ العلميةَ يستدعي بعضُها بعضاً .

فائدةٌ عارضة على ذِكر الفَرس والخيل في ذكر فَرس الماء

أقولُ : إنَّ هذَا الفرسَ مِنْ أعجَب الحيواناتِ وأَغرب المخلوقات ، وصِفَتُه أنَّ ناصيته كناصيةِ الفَرس البرِّي ، وصَوْتُه أيضاً صوتُ الفرس البَرِّي ، وجِرمه جِرْمُ حِمار ، وذَنَبُه ذَنَبُ خِنزير ، وحافِرُهُ مشقوقٌ كأَظلاف البَقَرِ ، وهو يُوجد في النِّيلِ بمصر ، وهو يَأكل التماسيحَ وغيرَها . وخاصَّتُه أنه يُؤذِن بِمَبلَغ النيلِ ، إذ حيث وُجِد وَطْءُ حافِرِه يبلغ إليه النيلُ في تلك السنة .

ويذكر بعضُ أهلِ العلم أنَّ خيلَ سليمانَ ـ عليه السلام ـ التي وصفها الله ـ تعالى ـ في كتابِه العزيز **بالصَّافنات الجِياد** أنها لم تكن على خِلْقَةِ خَيْلنا ، ولا على هيئتِها ، وإنَّما كانت خيلاً ذواتِ أَجْنِحةٍ أخرجَتْها له الشياطينُ من البَحْرِ ، وكانت ألفَ فرس ، وقيلَ أكثر من ذلك .

وقد خَرَّجَ أبو دَاوود في سُنَنِه عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ ما يُشبِهُ ذلك، قالت : **«قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من تَبوك أو خَيْبر ، وفي سَهْوَتها[1] سِتْرٌ، فهبَّت ريحٌ فكشفت ناحيةَ السِّترِ عن بناتٍ لعائشةَ لُعَبٍ[2]، فقال: «ما هذا يا عائشة؟» فقالت: «بناتي» وَرأى بَيْنَهُنَّ فرساً له جناحان من رِقاع. فقال: «ما هذا الذي أرى وَسَطَهُنَّ؟» قالت: «فَرَسٌ»، قال: «وما هذا الذي عليه؟»، قالت: «جناحان»، قال: «فرسٌ له جناحان!» قالت: «أَمَا سمعتَ أنَّ لسليمانَ ـ عليه السلام ـ خيلاً لها أجنحة؟»، قالت: «فضَحِك ﷺ حتى بدت نواجِذُه»** .

فعلى هذا لم تكن خَيلُ سليمان ـ عليه السلام ـ من جِنْسِ خَيلنا ولا

(1) معنى السَّهوة هنا : شِبْه خزانة صغيرة يكون فيها المتاع .
(2) المقصود بالبناتِ اللُّعَبِ : الدُّمَى .

علَى صِفَتِها، وقيل إنها كانت من جِنسِ خَيلنـا وعلى خِلْقَتها ، وإنَّ سليمانَ كان وَرِثَها عن أبيه داوودَ ـ عليهما السلام ـ وإن فحولَ خيلِ العربِ من نِتَاج بعضِها ونَسْلِه ـ كما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ في بابِ أسماء الخيلِ الأعلام وفُحولِها المشهورة .

باب الألوان

قال المؤلِّفُ ـ رحمه الله ـ : « اللَّوْنُ هَيئةٌ كالسَّواد والبياضِ وما يَتركَّب بينهما ، والجَمعُ : الألوان » .

قلتُ : « الألوان ـ وإن كَثُرَت أصنافها ، وتعدَّدت أنواعها ـ تَرْجع إلى قسْمين : **القسم الأوَّل** : الألوانُ الأصلية ، **القسم الثاني** : **الألوانُ** الفرعية المركَّب بعضُها مَع بعض .

فأما الألوانُ الأصلية ، فهي خمسةٌ وهي : البياض ، والسـواد ، والحُمرة ، والصُّفرةُ ، والخُضْرة . وأمَّا الألوان الفرعيةُ المـركَّـبُ بعضُها معَ بعض ، فهي ـ ماعدا تِلك ، كالأزرقِ ـ مثلاً ـ فإنه مركَّب ما بينَ السوادِ والبياض ، وكاللَّون الزبيبي ، فإنه مركَّب ما بَيْن السوادِ والحُمرة ، وكالنَّارنجي ، فإنَّه مركَّب ما بين الحُمرة والصفرة إلى غير ذلك .

ولمَّا كانت الألوان الأصليةُ لها ـ على غيرها من الألوان ـ المزيةُ خَصَّتْها العربُ ، بألفاظٍ تابعةٍ لها إذا أرادت استحكامَها وقصدت تَمكُّنَها ، فقالوا : أبيضُ ساطعٌ ، وأسودُ حالكٌ وأحْمَرُ قانيء ، وأصفرُ فاقعٌ ، وأخضرُ ناضِرٌ ، ولم يفعلوا ذلك في الألوانِ الفرعية .

وأفضلُ الألوانِ كلِّها وأشرفُها : لونُ الخُضرة لأمْرين : **الأمرِ الأول** : أنَّ الله ـ سبحانَه وتعالى ـ وصف في كتابِه العزيز أهلَ جَنَّتِه المخصوصين بتقريبه ومَزِيَّتِه بلباسِ الثّياب الخُضْر ، فقَال ـ تعالى ـ في وصْفهم : **﴿ عَالِيَهم ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٍ وإسْتَبْرَق ﴾** وقال ـ سبحانه ـ في موضع آخر : **﴿ ويلبسون ثياباً**

خُضْراً من سندسٍ وإستَبْرق﴾ ، فلو كان في الألوانِ أفضلُ من الخُضرة لوَصَفَهم الله ـ سبحانه ـ بذلك ؛ **الأمر الثاني** : ما في لونِ الخُضرة من تقويةِ النظر والزيادةِ في حاسَّة البصر ، وسببُ ذلك فيما يقوله أهلُ الطبّ ، أنَّ اللونَ الأخضرَ يَجمع الروحَ الباصرَ جمعاً رفيقاً مستلَذّاً غيرَ عنيفٍ وإن كانَ اللونُ الأسود يجمع الروحَ الباصرَ أيضاً ، لكنَّه يجمعُه بعُنفٍ واستِكْراهٍ على ضِدٍّ ما يجمعُه اللَّونُ الأخضر .

وقد جاء في الحديث عن رسولِ الله ﷺ ما يؤيِّدُ ما ذكرنا ويصحِّحُ ما قرَّرنا من اختصاصِ الخُضرة بتَقْويةِ النَّظر حيث قال ﷺ : « النظرُ إلَى الخُضرة يزيد في البَصَر » .

هذا في غير الخَيل، وأمَّا الخيلُ فأفضلُها وأشرفُها هي الشُّقْر، يَدلُّ على ذلك ما جاء عن رسولِ الله ﷺ من ميلِه إليها وثنائه عليها. وجاء عنه ﷺ أنه كان يُحِبُّ الخيلَ الشُّقْر. وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**يُمْنُ الخيلِ في شُقرها**». وجاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: «كان رسولُ الله ﷺ بطريق تَبوك، وقد قلَّ الماء، فبعث الخيلَ في وجهٍ يطلبون الماءَ، فكان أولَ من طلع بالماء صاحبُ فرسٍ أشقر، والثاني صاحبُ أشقر، والثالث كذلك، فقال ﷺ: «**اللَّهمَّ بارِكْ في الشُّقر**».

وجاء عنه ﷺ أنَّه قال: «**لو جُمِعَتْ خَيلُ العربِ في صعيدٍ واحدٍ ثُمَّ أُرْسِلَتْ لكان سابقُها أشقر**».

ولما قَدِمَ موسى بنُ نَصَيْر من الأندلسَ بعد افتتاحها على سليمانَ ابنِ عبدِ الملك بنِ مروان سأله سليمانُ بنُ عبدِ الملك : « أيُّ الخيل رأيتَ في تلك البلاد أصْبَر ؟ » ، قال : « الشُّقْر » .

هذا وفضلُ الشُّقْر كثيرٌ ، ويلي الشُّقرَ في الفضلِ والمزيَّة **الكُمْتُ والدُّهْمُ** ، فقد جاء عن رَسول الله ﷺ الحضُّ على الفرس الكُمَيْتِ والحَضُّ

على الفرس الأدهم، رُوِي عنه ﷺ أنَّه قال: **«الْتَمِسوا الحوائجَ على الفرسِ الكُمَيْتِ الأرثَمِ المُحَجَّلِ الثلاث المُطْلَقِ اليُمنى»**؛ والأرثَم هو الذي يكون في شَفَتِه العُليا بَيَاضٌ. ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال: **« إذا أردْتَ أنْ تغزوَ فاشترِ فرساً أدهمَ مُحجَّلاً مُطلَقَ اليُمنى فإنَّك تَسلَمُ وتَغْنَم »**.

والعربُ تقول في فَضلِ الخيلِ الكُمْتِ: «الكُمتُ أقوى الخيلِ وأشدُّها حَوافِر». قال الأصمعي ـ رحمه الله ـ: « أشدُّ الخيلِ جلوداً وحوافرَ هي الكُمْتُ الحُمُّ، وهي التي اشتدَّت حُمْرتُها »، يقال: « كُمَيْتٌ أَحَمُّ » أي كُمَيْتٌ شديدُ الحُمرة. والعَرب تقول: « ملوكُ الخَيلِ دُهْمُها »، وقالوا: « دُهْمُ الخيلِ ملوكُها وشُقْرُها جِيادها، وكُمتُها شِدادها ».

وعلى ذكر الألوان نقول:

ـ إن الله ـ سبحانه ـ خَلَقَ الألوان نُزهةً للأبصار، ومجالاً للاعتبار فإذَا اجتمعتِ الألوانُ تَضاعَف حُسنُها وازداد بَهاؤها، وقَوِيَ الإعجابُ بها حتَّى إن الألوانَ عند أربابِ البلاغة وأصحابِ الفصاحة إذا اجتمعت في اللفظِ وتألَّفت في النطقِ فإنَّه يَحسُن بهَا الكَلامُ ويتأنَّق باجتماعِها النثرُ والنِّظام ويُسمُّون اجتماعَ الألوان في مَساقٍ واحد في النَّظْم والنثرِ بالتَّدبِيج وهو فَنٌّ من فُنونِ البَديع وأسلوبٌ من أسَاليب البَيَان.

ومن مُستحسَنِه قولُ سيفِ الدولةِ في قِطْعةٍ وَصَفَ فيها قوسَ قُزَح:

وساقٍ صبيحٍ للصَّبوح دَعَوْتُه فقام وفي أجفانِه سِنَةُ الغَمضِ
يَطوف بكاساتِ الوَقارِ كأَنْجُم فَمِنْ بينِ مُنْقَضٍّ عليها ومُنفَضٍّ
وقد نَشَرتْ أيدي الجنوبِ مطارفاً على الجَوّ دُكناً والحواشي على الأرضِ
يُطَرِّزُهَا قوسُ السَّماء بأصفر على أحمر في أخضر فوق مُبْيَضٍّ
كأذيالِ خَوْدٍ أقبلت في غَلائل مصبَّغةٍ والبعض أقصرُ من بعضِ

أردتُ البيتَ الرابع . ومن مستحسَن التدبيج أيضاً قولُ الشاعر :

ومُـدامـةٍ حَـمـراءَ فـي قـارورةٍ زرقـاءَ تَـحملُهـا يـدٌ بـيضـاءُ
فـالـرَّاحُ شمسٌ والحُبـاب كـواكبٌ والـكَـفُّ قُـطْبٌ والإنـاءُ سَـمـاءُ

أردت البيتَ الأول . ومن مستظرَف التدبيج قولُ بعضِ الملوك في وصفِ الغَرام وتَشكِّي السقام :

أنا مَعدِنُ اليـاقوتِ جسمي أصفـرُ ومـدامـعي حُـمْـرٌ وقـلبـي أزرقُ

فَجَمَعَ بين ألوانِ الياقوت على اختلافِها، لَمَ يَفُتْه منها إلا الأبيضُ خاصَّةً وهو أقلُّها قيمةً وقَدْراً ، وأسرعُها تَكوُّناً ، فإنَّ العُلماءَ الأقدمين يقولون إنَّ الياقوتَ الأبيضَ يتكوَّن في سَنَةٍ ، وإنَّ الأصفرَ يتكَوَّنُ في مائةِ سنة ، وإنَّ الكُحْلي ـ وهو الأزرق ـ يتكوَّن في أربعِ مائةِ سَنَة ، وإنَّ الأحمرَ ـ وهو أشرفُها وأعلاها ـ يتكون في ألفِ سنة ، وإنما أصلُ الياقوتِ كلُّه أبيضُ ـ فيما يَزْعمون ـ ثم يَصيرُ أصفرَ بعد مائةِ سنة ، ثم يصيرُ كُحلياً بعدَ أربعِ مائةِ سنة ، ثم يَصير أحمرَ بعد ألفِ سنة .

فائدةٌ عارِضة : الياقوتُ يتكَوَّن ـ بإذن الله تعالى ـ من الشمسِ والهواءِ وظلٍّ ينزل من السَّمَاء ، ولا يتكوَّن إلا في أعدلِ البُلدان بالهند وأحسنِها هَواءً ، خاصِّيتُه أنه مَنْ تَختَّم به نَفَعه من الوبَاء ـ بإذن الله تعالى ـ وشَجَّع قلبَه وجَلَّ في أَعيُنِ الناس .

وكذلك ذَكَرَ العلماءُ في جملةٍ من الأحجار النفيسة خواصَّ ومنافعَ لا توجد في غيرِها ، فَمِنْ أعظم تلك الأحجارِ حَجَرُ **الياقوت** ـ كما ذكرنا ـ ومن أرفعِها حَجَرُ **الزُّمُرُّدِ** ، ومن خواصِّه توقيرُ الناس للمُمْسِكِ له وتسكينُ وَجَع المَعِدة لِمَن عَلَّقَه عليه . وإذا شَرِب منه المسمومُ زِنَةَ تِسْعِ حَبَّاتٍ ، لم تَنَلْه مَضَرَّة من السُمّ ـ بإذن الله ـ والمتَخَتِّمُ به تنافره ذَواتُ السُّموم مِنَ الحيوانات وتجتنِب مكانَه . ومن أعجب خواصِّه أنَّ الأفعى إذا قُرِّبَ الزُّمرُّدُ الفائقُ من



فرس يـرعى

من مَخْطوطة كتاب غرناطي في تربية الخيل محفوظة بالخزانة الحسنية في القصر الملكي بالرباط، رقم 6126.

بَصَرِها سالت عيناها ـ بإذن الله ـ.

ومن أشهرِ الأَحجار حَجرُ الدُّرِّ، ومن خواصِّه أنَّ مَن أَمسكَه في الفَم يُقَوِّي القلبَ، ومَنْ تَختَّم به مالَت قلوبُ الناسِ إليه، ولذلك كان الملوك يستعملونه.

ومن أنفع الأحجارِ حَجر البازْهْر ـ وهو اسمٌ فارسي ترجمتُه بالعربية: نافِي الضَّرَر، وقيل مُمْسِكُ الروح ـ وهو لَونان: منه أصفَر، ومنه مُجَزَّع[1] ومعدِنُه بالصِّين، وقيل بأنَّه يوجد في مَرَارَة الثَّعابين، ومِنْ خواصِّه أنه ينفَعُ من السُّموم كلِّها الحيوانيةِ والنباتية. وإذا شَرِبَ المسمومُ منه زِنَةَ اثنتَيْ عَشْرة حَبَّة أخرجَ السمَّ من الجسد بالرَّشْح والعَرَق، ومَنْ تختَّم به هابه الناسُ وكلُّ من نظر إليه.

ومن أعجبِ الأحجارِ حجرُ البَهْت، ومن خَواصِّه أنه يَبْهتُ الناظر إليه فلا يكاد يُزيل بصرَه عنه، وإن أمسكه مُقاتلٌ لَم يُقْدَم عليه.

ومن أشرف الأحجارِ وأعظمِها حجرُ الفَيْرُوزَج، وهذا الحجرُ لم تَزلِ الملوكُ الأعاظمُ تستكثر منه وتُفاخرُ به، وخاصَّتُه العُظمَى أنَّه مَنْ تَختَّم به لم تُصِبْه آفةٌ من قَتْلٍ ولا غَرَقٍ، وَسَلِمَ ـ بإذن الله ـ ما دام متخَتِّماً به ـ إن شاء الله ـ هذا إلى غير ذلكَ مما ذكَرَ العلماءُ من الأحجار وخواصِّها، واستيفاءُ ذلك يطول.

فَلْنَرجع إلى ما كنَّا بسبيلِه فنقول:

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: فأعمُّ ألوان الخيلِ عَشْرة، وهي: الدُّهمة، والخُضرة، والصُّدْءَة، والكُمتة، والوُردة، والشُّقرة، والصُّفرة، والصِّنَابية[2] والشُّهْبَةُ، والبَلَق. وكلُّ واحد من هذه العشرةِ الألوانِ يتنوَّع إلى

---

(1) المُجَزَّع (بفتح الزاي وكسرها مع التشديد): ما اجتمع فيه بياضٌ وسواد.

(2) في أ: العنابية، وهو تصحيف؛ والصِّنابية من الصِّنَاب (بكسر الصاد) طعام يُتَّخذُ من الخردل والزبيب، والصِّنابي لون بين الحُمرة والصفرة.

أنواع ، ويتفرَّع إلى أقسام ، فابتدأ المؤلِّف منها بلون الدُّهمة، ونحن نبتدىء بلونِ الشُّقْرة لِمَا ذَكَرنا من مَزيَّتها ، وقرَّرْنا من فضيلتها ، ونُتبِعُها بلونَيْ الدُّهمة والكُمتة لأنهما يَليَان الشُّقرةَ في الفضل ويَتْبَعَانها في الوصف ـ حسبما قدَّمنا ـ .

وقد اعتنى الشعراءُ بهذه الألوانِ الثلاثةِ في الخيلِ ووصفوها فابتدعوا ، وامتدحوها فأَحسنوا؛ فَمِنْ بديع ما قيل في ذلك قولُ أبي إسحاق بنِ خَفاجة في وَصْف فرسٍ أشقر :

وأَشقَرَ تُضرَمُ منه الوغَى ... بشُعلةٍ من شُعَلِ الباسِ
مِنْ جُلَّنارٍ ناضِرٍ[1] لونُه ... وأُذْنُه من وَرَقِ الآسِ
يُطلِع للغُرَّة في شُقْرَةٍ ... حَبابةً[2] تَضْحك في كاسِ

ومن ذلك قولُ ابنِ وضَّاحٍ في فرسٍ أَشقرَ أغرَّ أيضاً :

ولقد غَدَوْتُ مُشَرِّقاً حتى إذا ... ما لم أَشِمْ[3] برقاً لأُفْقِ المغربِ
بأغرَّ أوجسَ للسَّماء بِسَمْعِهِ ... فَرَمتْه بين المُقلتيْن بكوكبِ
وتفتَّحت أوضاحُه[4] في شُقرةٍ ... فأتاك بَيْن مُفَضَّضٍ ومُذَهَّبِ

وقد أَحسن أبو العلاء المَعَرِّي في قوله في فرسٍ أشقرَ مُحَجَّلٍ :

وقد أغتدي والليلُ يَبكي تأسُّفاً ... على نفسِه ، والنجمُ في الغربِ مائلُ
بريحٍ أُعيرت حافراً من زَبرجدٍ ... لها التِّبر جِسمٌ واللُّجَيْن خلاخلُ

ولأبي الطيب المتنبي في فرسٍ أدهمَ أغرّ :

---

(1) في ب : ناظر .
(2) الحَبابة واحدة الحَباب وهي فقاقيع على وجه الماء أو الشراب .
(3) أَشِمْ ، من شام يشيم شَيْماً : نظر إلى السحاب والبرق ليعرف هل يأتيان بمطر .
(4) الأوضاح ، جمعُ وَضَح (بفتح الواو والضاد) ، وهو الضوء والبياض ، وهو في الفرس : اللُّمعة من البياض .

ويــومٍ كليـل العـاشقين كَمَنْتُـه[1] أراقبُ فيـه الشمسَ أيَّـانَ تَغـرُبُ
وعـينـي إلى أُذْنَـيْ أَغَـرَّ كـأنَّـه من الليـلِ باقٍ بين عينَيْه كوكبُ

وللأستاذ أبي محمّد بن السِّيد في فرسٍ أدهمَ أغرَّ محجَّل :

وأدهمَ من آل « الوجيه » و«لاحقٍ» له الليلُ لـونٌ والصَّباح حُجُـولُ[2]
تَحَيَّـر مـاءُ الحُسنِ فـوق جَبينِـه فولا التهابُ الحُصرِ[3] ظلَّ يسيـلُ
كـأنَّ هـلالَ الفِـطْرِ لاح بـوجهِـه فـأعيُنُـنـا شــوقـاً إليــه تـميـلُ

وما أبدع قولَ ابنِ حَمْدِيسَ في وصف فرسٍ كُمَيْت :

ومُجَـرِّرٍ في الأرض ذيـلَ عَسيبِـه حمـل الزَّبـرجـدَ منـه جسمُ عقيقِ
يجـري ولَمْـعُ البـرقِ في آثـارِه من كثـرة الكَبَـوات غيـرُ مُفيقِ
ويكـاد يَخْـرُج ســرعـةً من ظِلِّه لـو كـان يَـرْغَب في فـراقِ رفيقِ

فهذه نبذةٌ كافية من بديع ما قيل في وصف تلك الألوانِ الثلاثةِ المعتَمَدَة، ولو تتبَّعتُ ما على حفظي مِمَّا قيل في ذلك لطال القولُ ، وخرج بنا على القَصد ، فنعود إلى ما قَصَدْنا من تفصيلِ ألوان الخيلِ ونعوتِها وتمهيدِ أقسامها العَشَرة المترجمةِ وفروعِها باباً باباً ولوناً لوناً ـ بحول الله تعالى ـ.

باب الشُّقْرَة

الشُّقرة لونُ الأشقر ، وهو في الإنسانِ حُمرةٌ صافيةٌ وَبَشَرَتُه مائلةٌ إلى البياض ، وفي الخيلِ حُمرةٌ صافية يَحمَرُّ معها العُرْفُ والذَّنَب ، فَإنِ اسْوَدَّ

---

(1) جاء في النسختين « كُمَيْتُهُ » ؛ وفي ديوان المتنبي : كَمنتُه ، وهو من كَمَنَ بمعنى توارى واستخفى . انظر الديوان ص 464 وزهر الآداب لأبي اسحق الحصري 2 :368.

(2) الوجيه ولاحق من أسماء أعلام الخيل عند العرب وسيأتي ذكرهما في باب « أسماء الخيل الاعلام » . والحجول جمع حِجْل وهو الخلخال أو القيد ، والمقصود، هنا التحجيل : بياض في قوائم الفرس .

(3) في ب : الحُضْر ؛ والحُصْر (بالصاد) احتباسُ الفضلات ؛ وحَصَرت الناقة ضاق إحليلها ؛ وحُصِرَ فلان : احتبس ما في بطنه من فضلات فهو محصور .

فهو الكُمَيْت . والفرسُ وغيرُه أشقَرُ وقد شَقِرَ شُقْرَةً وشقراً ، وجَمْعُ الأشقر شُقْر . وقال أبو عبيدة في كتاب الديباجة في ألوانِ الخيل : أشقرُ سِلَّغْد ؛ قال: هو الذي خَلُصَتْ شُقْرَتُه .

والخلوقي : هو الذي تُشبِه شُقرتُه في صُفرتِها لونَ الزَّعفران المُذابِ ، وربَّما كانت له غَمامةٌ تُخالِف سائرَ جسدِه تضرِبُ إلى السَّواد .

وَالمُدَمَّى : هو الأشقرُ الشديدُ الحُمرة ، وقال أبو عبيدة : هو الذي لونُ شُقْرتِه تعلوه صُفرةٌ كلونِ الكُمَيْت المُذَهَّب وهي أقرب إلى الصُّفرة .

والأَدْبَسُ : هو الذي اشتدَّت حمرةُ شُقرتِه حتَّى علاها سَوادٌ ، وناصيتُه وعُرفُه وذَنَبُه أقلُّ سواداً من لونِ شَعْرِ جِلده ، والغالب عليه حُمرةُ الشَّعر .

والأَمغَرّ : من شُقرِ الخيلِ هو الذي على لونِ المَغْرَة ، وهي الطِّين الأَحْمر ، يعلو شُقرتَه كُدْرةٌ ، وشَعرُه وجِلدُه كلونِ المَغْرة . وقال أبو عبيدة : هو الأشقر الذي ليس بناصع الحُمرة ، لونُه كلون المغرة، ولون ناصيتِه وعُرفِه وذَنَبِه كلون الصُّهبة ليس فيه من البياض شَيء، وقيل: إنه الذي في وَجهه حُمرةٌ في بياضٍ صاف .

والأفضح من الخيل : هو الأشقرُ الذي شُقرتُه إلى البياضِ وناصيتُه وعُرفُه وذنَبُه البياضُ فيها أفشى مِنَ الحُمرة .

والأصبَح : وهو الذي قد تَشَرَّب [. . .] كأنها[1] لهب جمرة .

والأَقْهَبُ: هو الأشقرُ الذي عَلَت شُقرتَه كلُّها من جسده وعُرفِه وذَنَبِه

---

(1) كذا في النسختين كلتيهما ، ولعلَّ الصواب : استشرب كأنَّه . . . ومعنى استشربَ اللونُ : اشتدَّ . أما تَشَرَّب فمعناه : امتص على مَهَل ، والجملة لا تستقيم بهذا اللفظ إلا إذا قرأناها : قَد تَشَرَّب [حُمرةً] كأنها لهب جَمْرة » ، وبذلك يكون لفظ « حُمرة » قد سقط من النسختين .

حُمْرةٌ دون المَغْرة وفوق الفُضْحة، قاله أبو عبيدة، وقال غيره: القُهبة بياضٌ تعلوه كُدرة؛ قال الأصمعي: هي غُبْرةٌ إلى سَواد.

باب الدُّهمة

الدُّهمة: هي السَّوادُ الخالِصُ، والفرس الأدهمُ الخالصُ هو الذي تشتَدُّ خُضرتُه حَتَّى يخلُصَ سَوادُه ويَذهبَ ما يخالطُ الخُضرةَ من الغبرة، وهذا الأدهم الخالِص هو أشدُّ الخيلِ الدُّهْمِ سواداً وأصفاها شعراً ولوناً، وقد ادْهَمَّ ادْهِماماً وادهَامَّ أيضاً، والأنثى، دَهماء، والجَمع: دُهْمٌ ودُهمان.

والجَوْنُ من الخيلِ: أقلُّ سواداً من الأدهَم الخالص، وفَرَسٌ جَوْن: بَيِّنُ الجُؤْنَة - بالضم - من خيلٍ جُونٍ - بالضمّ أيضاً.

والأَحَمُّ: هو الأدهم الذي [هو][1] أقل سَواداً من الجَوْن، إلا أنه أحمرُ المَنْخِرين والخَاصِرتين؛ ويقال فيه: أدهمُ أحمُّ، وأدهمُ أحمرُ أيضاً.

والأَكْهب من الخيل: هو الأدهمُ الذي لم يشتدّ سوادُه ولم يَصْفُ لونُه.

والأحوى: هو من الدُّهم أقلُّ سواداً من الجَوْنِ، وتَحْمَرُّ مَنْخِراه وتصفَرُّ شاكِلته صُفرةً تُشبِه الخُضرة، فإذا كان كذلك فهو الأدهمُ الأحْوى.

والأَصْبَح من الدُّهم: هو مِثْلُ الأحوى، وتكونُ مَنْخِراه إلى الكُمْتةِ، وقيل هو الذي تَقِلُّ حُمرةُ مناخِره فتصيرُ إلى السَّواد، ويكون البياضُ غالباً على أطرافِ المَنْخِرين، وتكون أقرابُه، ما ظَهَر منها وما بَطَن، بِيضاً تعلوها كُدْرةً صفرة، فذلك هو الأدهم الأصبح.

والغَيْهبيُّ من الخيل: هو الأدهمُ الحالكُ السواد.

(1) هو، ساقط في ب.

والدَّجوجيُّ من الخيل : هو الأدهمْ الصافي اللون .

باب الكُمْتة

الكُمتة في ألوانِ الخيل : حُمرةٌ يَدخَلُها[1] سوادٌ ، والفرس منها : كُمَيْت ، مُصغَّراً لا غَيْر ، ويستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث ، والفَرْقُ عند العرب بين الكُمَيت والأشقرِ بالعُرف والذَّنَب ، فإن كانا أَحمريْن : فهو أشقر ، وإن كانا أسْودين : فهو كُميْت ؛ قد اكْمَتَّ وكَمُتَ كُمْتَةً وكَماتَةً ، والجمع : كُمْت .

والأَحَمُّ من الكُمتِ : هوَ الأقرب إلى السوادِ ما هو .

والأحوى : هو الذي احْمَرَّت مناخِره وأقرابُه ومَراقِه ، وشَعْرُ جسدِه أقلُّ سواداً من شعرِ الأَحَمّ .

والأصْحم : أظهرُ حُمْرةً في سَراته من الأحْوى ، غيرَ أنَّ حُمرتَه ليست بصافية .

والمُدَمَّى من الكُمت : هو الشديدُ الحُمرة في صفاءِ لَوْنٍ ؛ وقال أبو عبيدة : الكُميت المُدَمَّى هو الذي سَراتُه كلُّها أشدُّ حُمرةً : شَعْرُه وكلُّ ما انحدر إلى مَراقِه ازداد صفاءً ليس فيه من الصُّفرة شيء .

والمُذْهَب : هو الذي يُخالطُ حمرتَه صُفرةٌ تُشبه لونَ الذهب .

والكُمَيْت الأحمرُ : مثلُ المُدَمَّى ، إلا أنَّه أشدُّ حُمرةً من المَدمَّى ، وهو الذي اشتدَّت حُمرتُه واستوت في أطرافِ شَعره وأصولِه .

والمُحلِف : هو أدنى الكُمتةِ إلى الشُّقرة وما ظهر من شَعرِ ناصيتِه وعُرفِه وذَنَبِه من الشَّكير وما وارَى الشَّكير من قِصَرِ الشَّعر هو على لونِ

(1) كذا في النسختين . ولعل الصواب : يداخلها . ومعنى دخِله : أصابه عيب أو فساد.

جَسده ، وما سِوى ذلك مما بَطَن من الشَّعر فاسودٌ ، وأَوظِفَتُه حُمْرٌ ؛ وقيلَ إنه الذي لم يَخلُص لونُه فيختلف النَّاظرون إليه فيقول بَعضُهم : هو أَشقرُ ، ويقول بعضُهم : هو وَرْد ، ويقـول بعضهم : هو كُمَيتٌ ، حتَّى يَحْلِف المتماريان .

والكُميت الأكلَف: هو الذي لم تَصْفُ حمرتُه، ويُرَى في أطرافِ شَعرِه سوادٌ إلى الاحتراق.

وَالكُميت الأَصْدأ : هو الذي فيه صُدْأَةٌ وكُدْرةٌ ، وفيه صُفرة قليلةٌ شُبِّهَت بِصدإِ الحديد.

باب الوُرْدَة

الوُردةُ في ألوانِ الخيلِ : هي الحْمرةُ الخالصة ، وجِلده وأصولُ شَعْره سُودٌ ، وفي وسطِ ظَهْره مِنْ حارِكه إلى ذَنَبِه خَطَّةٌ صَهْباء هي أقربُ إلى السَّواد ، وذلك الخطُّ يسمَّى القَهامة ، والفرس منها وَرْدٌ وهو ما بين الكُميْت والأشقر .

وَالمُصامِص: هو الخَالص ، وقيل هو الذي تَعلو سَراتَه جُدَّةٌ[1] سوداءُ ليست بحالكةِ السواد .

وَالوَرْدُ الأسودُ : هو الذي تعلوه صُفرةٌ مشاكلةٌ لِلَوْنِ الكُمتة المُذْهَبة تعلوها كُدرةٌ وغمامتُه سوداءُ حالكةٌ ، وربما كان في وظيفَيْه[2] وذراعيْه وساقيْه شُطَبٌ[2] سودٌ شديدةُ السَّواد ، وقلَّ ما يخلو هذا اللونُ من هذه الشُّطَب .

(1) الجُدَّة (بضم الجيم) : جزء الشيء يخالف لونُه لونَ سائره .

(2) في ب : وطيفَيْه بالطاء المهملة وهو تصحيف ؛ والوَظيف (بالمعجمة) : مستَدَقُّ الذّراع والساق من الخيل والإبل وغيرها . وسيشرح المؤلف كل ذلك في المكان الذي يذكر فيه أعضاء الفرس وسائر أقسام بدنه .

(3) الشُّطب جَمْعُ شُطْبَة (بضم الشين المثلثة) ، والمقصود بها الخطوط .

والأغبس : هو الذي تُسمِّيه الأعاجمُ السَّمَنْد ، وهو الذي لا تَخلُص حُمْرتُه ؛ عليه حُمْرةٌ ليست بالصافية تُخالطها شَعْرةٌ من السَّواد فيها حُمرة ، وقيل **الغُبسة** : بياضٌ فيه كُدْرة كلونِ الذِّئب ؛ **والغُثْرة** في الألوان :شبيهةٌ بالغُبسة يُخالطها حُمرة ، ويقال لهذا الأغبس من الدواب **الأدْلَم** ؛ قالوا : والغُبسة مثلُ الدُّلمة ، وقيل في الأدلم إنه الأسود .

باب الخُضرة وما شاكلَها

الخُضرة في ألوانِ الخَيل ونحوِها : غُبرةٌ يُخالطها دُهمةٌ حتَّى تَضرب إلى الخُضرة ؛ والخُضرةُ : هي لونُ الأخضر من الزَّرع والعُشب وغيرِه ؛ **والخُضرةُ** هي السَّواد في قول بعضهم ؛ **والأخْضر** من الخيل : لونُه الخُضْرة وهو الدَّيزَجُ عند الفُرْس ، في قولِ بعضهم ؛ **والأخضر الدَّيْزَج** : هو الذي يكون وجهُه وأُذناه ومَنْخِراه لونَ الرَّمادِ الأسود ، وقد تُسمّيه العربُ **الأدغمَ** أيضاً .

والأَحَمُّ من الخيل الخُضر : هو أدناهنَّ إلى الدُّهمةِ وأشدُّهن سَواداً ، غير أنَّ أقرابَه وبطنَه وأُذُنيْه مخضَرَّةٌ ، ويقال فيه : **الأخضر الأحمّ** .

وَالأحوى من الخُضْرِ : هو المُشَاكِل للدُّهمة ، وهو أهونُ سواداً من الجَوْن ، ويقال فيه : **الأخضر الأحوى** .

والأصحم من الخيل : هو الأخضر الذي فيه سوادٌ إلى الصُّفرة .

والأطحَل من الخيل : هو الذي يَعلوه في خُضْرته قليلُ صُفْرةٍ كَلْونِ الحَنظل ؛ يقال [فيه] :[1] فرسٌ **أخضرُ أطحلُ** ، وقيل في **الطُّحلَة** : إنها على لونِ الطِّحال؛ وقيلَ: الطُّحلة بين الغُبرة والبَياض؛ وقال قومٌ: إذا اشتدَّ سوادُ الأزرقِ فهو أَطحل .

(1) فيه : ساقطة في أ .

والأورق من الخَيل، في قَول أبي عُبَيدة : هو الأخضر الذي لونُه كلونِ الرَّمادِ ودخان الرِّمث[1] ، وهو الذي تَخضَرُّ سَراتُه وجِلدُه كلُّه ويكون من حارِكه إلى أصلِ ذَنَبِه خطٌّ أسودُ ، ويسمّى ذلك الخطُّ منه ومن أي الألوانِ كان : **الغَمَامَة**[2] ؛ **والوُرْقَةُ** : سوادٌ في غُبرة ؛ وقال أبو عبيدة : هو الذي يَضرب لونُه الى الخُضرة .

والأطخم من الخيل : هو [الأخضر][3] الذي لونُ وجهه ومناخِره وأُذُنَيْه لونُ الذي يُسمَّى **الدَّيْزَج** بالفارسية، قاله أبو عُبَيدة؛ وقال غيرُه: **الطُّخمة** سوادٌ في مُقَدَّم الأنف ، وفرسٌ أطخمُ لغةٌ في الأدغم ، قيل : الطُّخمة والطُّهمةُ تُجَاوِزِ السُّمْرة إلى السَّواد ؛ قال أبو عبيدة : **والأدغم** من الخيل : هو الأطخم ، وهو الأخضر الذي لونُ وجهِه ومناخِرِه وأُذُنَيه لونُ الذي يُسمَّى الدَّيزَج بالفارسية ؛ وقيلَ في الأدغم إنه [الذي] لونُ وجهِه وما يلي جَحافِلَه يَضرِبُ إلى السَّواد مخالفاً لِلَوْن سائِره ؛ قال أبو عبيدة ، وقد يكونُ من الخَيلِ أدغمُ خالصٌ ليس فيه من الخُضرة شَيء ، وقال الحجَّاج يوماً لسائس دوابِّه : أَسْرِجْ لي الأدغمَ ، فلم يَدْرِ السَّائسُ ما هو ولا قَدَرَ على مراجَعتِه ، فخرج سائلاً فَلقِي أعرابياً فسأله ، فقال : أعِنْدَك دَيْزَج ؟ فقال : نَعَم ، قال : فَأَسْرِجْه . والدَّغم اليومَ لا يوقع على الخيلِ وإنما يوقعُ على البِغال والحَمير ، على هذا مضت أقلامُ الكُتَّاب وبه سالت أَمِدَّتُهم[4] فإنَّهم وجدوا ذلك في الخيلِ قليلاً ووجدوه في البِغال والحَمير كثيراً فأوقعوا الصفةَ على الحيوانِ المستَحِقِّ لها بالكثرة .

والدَّيزَج من نعوتِ الخُضْرِ وهو فارسيٌّ مُعَرَّب ، وهو أسودُ الظَّهر

(1) الرِمْث : نبات بَرّي من الحمض .

(2) في ب : القهامة .

(3) الأخضر : ساقطة في ب .

(4) الأمدّة : جمع مِداد وهو سائل يكتب به ، معروف .

والقوائِم والناصيةِ والعُرف والذَّنَب يَخْضَرُّ بطنُه وباطنُ أفخاذِه وآباطِه ومَحْجِرُ عينيْه ، وقيل في الدَّيزج إنه الأسودُ في دُكنةٍ ورأسُه أشدّ سواداً .

والأربد منَ الخيلِ : هو الذي لَونُه دون لونِ الأكهب في السوادِ وهو إلى الغُبرة يُشبِه لونُه لونَ الرَّماد .

وَالأخضبُ من الخيل : هو الذي لونُه لونُ الرَّماد ، **وَالأرمد أيضاً** هو الذي على لونِ الرَّماد ؛ **والطُّلسة** نحوُ الرُّبدةِ والرُّمدة وهي غُبْرةٌ في سَواد .

باب الشُّهْبة

الشُّهْبَةُ في ألوانِ الخيلِ هو البياضُ الذي غلبَ عليه سوادٌ ، وقد اشْهَبَّ واشْهَابَّ وَشَهُبَ شُهْبَةً فهو أشهبُ والأنثى شَهباء والجمع شُهْب.

وقال أبو عبيدة : الشُّهبة في الفرس أن تكون الشَّعرةُ على لونيْن ثُمَّ تَفْرُق شَعرتُه فلا يجتمع من كلِّ واحدٍ منَ اللَّونين شَعَراتٌ فهوَ لا يَخلُص لِلَونٍ واحد .

والحديديُّ هو الذي غلب على شُهبته السَّوادُ كأنَّه في لَوْنِ الحديد .

والخَلَجوني هو الذي يكون في بَدنِه شعراتٌ بيضٌ وسودٌ ويكون السوادُ أكثرَ من البياض ، وإذا شَمِلَ بياضَ الأشهبِ شعراتٌ سودٌ مُفَرَّقة ، كثرت أو قلَّت ، قيل فيه **أَشْهَبُ أَحَمُّ** بسواد ، وإذا شَمِلَ البياضَ شعراتٌ حُمْرٌ ، على ما وصفت في السَّوادِ ، قيل فيه **أشهبُ أحمُّ بحمرة** ، وإذا غلب بَيَاضُ الأَشْهَبِ سَوادَه فهو **الأشهب الكافوري**، نُسِبَ إلى طَلْع النَّخل ، وهو أيضاً الأشهب الواضح وهو أشدُّ ما يكون من البياضِ وأصفاه وليس يُخالطه شيء مِنَ الألوان ويكون جِلْدُهُ أبيض .

والأضْحى من الخيل : هو الأبيض ولا يقولون للفرس الأبيضَ(1) .

---

(1) في ب : بيض ، وهو تصحيف .

وَالقِرطاسيُّ : وهو الذي خَلَصَ بَياضُه من السواد ونَصَعَ وهو مثلُ الواضِح والأضحى إلاَّ أنَّ القِرطاسيَّ يكون أكحلَ والأضحى أزرقَ ، والواضح يكون عيناه شَهلاوَيْن ، وإذا كان [بياض الأشهب][1] بصفرةٍ تُشبِه الوُردة أو صُفْرةٍ تَضْرب إلى الحُمرة وتكون عيناه شهلاويْن ، وربما كان أزرقَ ، فهو **الأشهبُ السوسي**، ولا يكون هذا اللونُ أكحلَ البَتَّة، والأكحلُ من الخيلِ لا يكون أكحلَ حتى تَسْوَدَّ أشفارُ عينيْه أو جفونُه ، فإنْ كانت شُهْبته طرائقَ[2] فهوَ **الأشهب المُجَزَّع** ، فإن اشْهَبَّ الفرسُ ولم يَخْلُص بياضُه وبقيت فيه نُكَتٌ تَبْيَضُّ أو تَسْوَدُّ كالفُلوسِ فهو **الأَشْهَبُ المُفَلَّس** ، وقيل في المُفَلَّس إنه مثلُ لَوْنِ الخَلَجُوني ، إلا أنه أكثرُ ألواناً منه من الخُضرةِ والسَّواد ، وإن كانت تلك النُّكَت كِباراً فهو **الأشهب المُدَنَّر** .

والأشهب المُدَنَّر في قول بعضهم : هو الذي فيه تَدنيرُ سَوادٍ تُخالطه شُهبة ، والمدنَّر يكون في سائِر الألوان أيضاً ، وهو الذي يكون فيه نُكَتٌ صِغارٌ فَوْقَ البَرَشِ[3] تخَالف لَوْنَه ، وإذا كان في الأشْهب لُمَعٌ كِبَارٌ أكبرُ من نُقَط المُدَنَّر بيضٌ أو حُمْرٌ مخالفةٌ لِلَّون قيل فيه **أَشْهب مُلَمَّع** ، فإن كانت اللُّمَع قليلةً كالإثْنين والثَّلاثةِ كانت شاماً[4] ودُعِيَت بالأمكنةِ التي تكون بها ، فإن شئتَ قلتَ في الأَشهب الحديديّ المذكور أولاً : **الأشْمَط** مِنَ الشَّمَط ، وهو بَيَاضُ الشَّعر يُخالطه سَواد؛ وهو أيضاً **الأشهبُ المُخْلِس**، من أَخْلَسَ الرأسُ إذا خَالَط سوادَه بياضٌ، **والأشهب الخَليس** أيضاً مِثْلُه.

---

(1) في ب : بياضُ لأشهب .

(2) الطرائق (جمع طريقة) : طبقات بعضها فوق بَعْضٍ .

(3) البرش : من بَرِشَ يَبْرَشُ بمعنى اختلف لونُه فكانتْ فيه نقطة حمراء وأخرى غبراء وأخرى سوداء ، فهو أبْـرَش.

(4) الشام : جمع شامة وهي علامة في البَدن يخالف لونها لون سائره .

باب الصُّفرة

الصُّفرة لونُ الأصفر وقد اصْفَرَّ الشيءُ واصفَارَّ ؛ **والأصفر** من الخيلِ هو الذي يُسمَّى بالفارسيةِ رزده ، والأصفر الخالص منها هو الذي تُشبِه صفرتُه لَوْنَ الذَّهب ، وربما كانت عليه شَعراتٌ سودٌ تُخالِط الصُّفرة ليست بغالبةٍ للصُّفرة وَعُرفُه وناصيتُه وذَنَبُه أصهبُ وهو إلى البياضِ أَقربُ منه إلى الصُّفرة .

وقال **الأصمعي** : لا يُسمَّى أصفرُ حتى يَصفَرَّ عُرفُه وذَنَبُه ، وقال أبو عبيدة : الأصفرُ النَّاصع من الخَيلِ هو الأصفرُ السَّراةِ[1] تعلو مَتْنَه غَمامةٌ غَبساءُ وهُوَ أَصْفَرُ الجَنْبَيْنِ والمَرَاقِّ تَعلو أُوظِفتَه غُبسَةٌ وشَعْرُ ناصيتِه وذَنَبِه أَسْوَدُ غيرُ حالِك .

والأصفر الذي تُسميه الملوك **الهَرَوي** هو الذي يكون بين الأصفرِ والسّوسنِي وعُرفُه وذَنَبُه أَصْهَبان إلى السوادِ كلونِ المِسكِ .

وقال أبو عبيدة : الأصفرُ الأعفر من الخيلِ هو الأصفر الجَنْبين والعُنُقِ وتَعلُـو أَسْراتِه كُلُّها ومَتْنَه وعُنُقَه وعَجُزَه عُفْرَةٌ وهي بياضٌ ليس بالشديد ، وجَنْباه ونَحرُه وجِرَانُه[2] ومَراقُّه وَوجْهُه أصفرُ ، وناصيتُه وعُرفه وذَنَبُه أسودُ فِيهِ صَهَبٌ ، وإن كان من هذه الصِّفة العُرْفُ والذَّنَب إلى البياض فهو **الأصفر الفاضح** ، وإن كان العُرف والذَّنَب أسودَيْن ليس فيهما صُهبة فهو **الأصفرُ المُطرَّفُ**[3] .

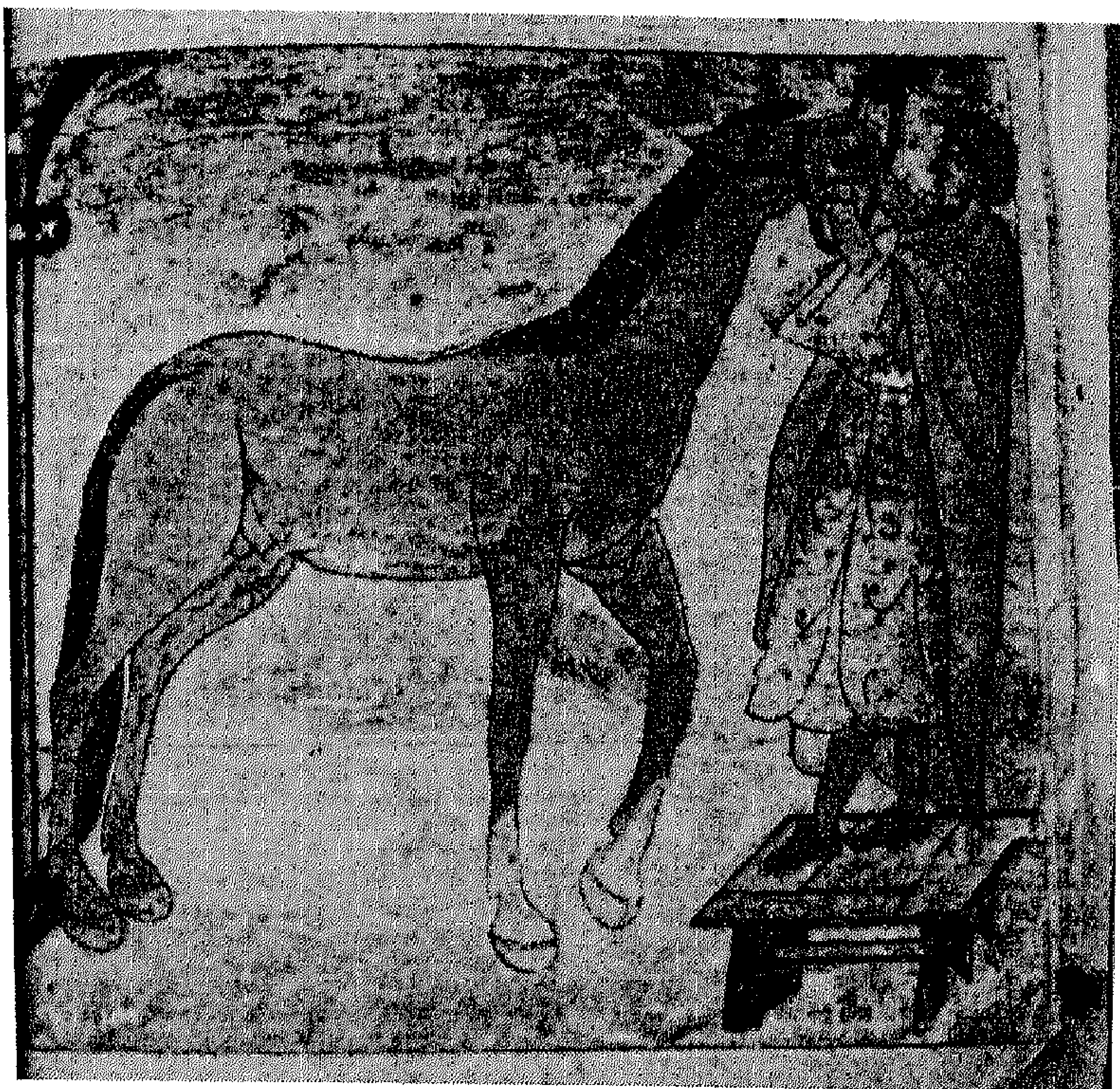
والأَصْفَرُ المُدَنَّر : هو الذي في بَدنه مثلُ الدَّنانير صُفْرةً ولونُها ولونُ جَسدِه واحدٌ وناصيتُه وعُرفه وذَنَبُه بِيضٌ .

---

(1) في ب : السرارة وهو تصحيف ؛ والسَّراة : أعلى متن الفرس .

(2) الجِران (بفتح الجيم) باطنُ عنق الدابة .

(3) في ب : المطرق (بالقاف) ، وهو تصحيف ؛ والمطرَّف من الخيل هو الأسود الرأس والذنب وسائره مخالف لذلك ، أو أبيضهما وسائره مخالف لذلك .



بيطري يفري أستان فرس

من مخطوطة كتاب غرناطي في تربية الخيل محفوظة بالخزانة الحسنية في القصر الملكي بالرباط، رقم 6126.

والأصفرُ الصّافي : هو الذي يَشتدُّ بياضُ ناصيتِه وعُرْفِهِ وذَنَبِه .

واعْلَم أنَّ جِلْدَ الفرس إذا كان أسودَ أَنْبَت الشَّعرَ أسودَ وإذا كان أبيضَ صَفَتِ الصُّفرة وأَنبتَ الشَّعر أبيضَ ولَيْسَ تَخْلُصُ الصفرةُ إلاَّ ببياضِ الجِلْدِ .

ومن أنواعِ الصُّفرِ **السَّمَنْد** ـ وهو فارسيٌّ مُعَرَّب ـ وهو الأصفرُ الذي ليس بخالصِ الصُّفرة ، لونُه كَلَوْنِ الرَّماد ، بياضٌ فيه كُدْرةٌ شبيهةٌ بلونِ الذِّيبِ ، وهي إلى الصُّفرةِ أَميلُ وجلدُه وأصولُ شَعره سُودٌ ، وقد اسوَدَّت ناصيتُه وعُرفُه وذَنَبُه سـواداً شديداً وتَشْهَلُ عَيْناه شُهْلَةً ليستْ بالزُّرقةِ .

وَالسَّمَنْدُ المُدَنَّر : هو أن يكون مُدَنَّرَ الجَسدِ وربَّما كان تدنيرُه أكبرَ من استدارةِ الدَّنانيرِ له وتُشْبِهُ لَوْنَ البُقَعِ مِنْ لَوْن صُفْرته والشَّامَاتُ منه لونَ الغُبْرة ، وهو أسودَ الناصيةِ والعُرْفِ والذَّنبِ .

والسَّمَندُ الغِرْبيبي : هو الذي شَمِلَت صُفرتَه شَعـراتٌ سودٌ وبيضٌ واشتدَّت الصُّفرةُ مع تلك الشَّعراتِ السودِ ، وإذا شَمِلَ هذه الصُّفرةَ شعراتٌ سودٌ وبيضٌ واشتدَّت خُضْرَةُ الصُّفرةِ مع الشَّعراتِ السود قيلَ فيـه **سَمَنْدٌ عَدَسي** .

باب الصُّدأة

الصُّدأةُ في ألوانِ الخيلِ كُدْرةُ صُفْرَةٍ تَضْرِب إلى السوادِ وتَعلو كلَّ لونٍ من ألوانِ الخَيلِ ما خلا الدُّهمة ، والفرسُ منها : أَصْدأ (مَهموزٌ مقصورٌ) ، والأنثى صَدْءَا ؛ وصَدِيَ وصَدُؤَ وصَداً صَداءَةً وصُدوءاً ؛ ويقالُ في الصُّدْأة إنها شُقرةٌ يُخالطها سَوادٌ ؛ وقيل هي سَوادٌ مُشْرَبٌ حُمْرَةً ، وقيل إنها لَونٌ بين الشُّقرةِ والدُّهمة .

والأصبحُ من الخيل : هو الأَحْوى الذي تَقِلُّ حُمرةُ مَنَاخِرِه فتصير إلى السَّوادِ وتصيرُ المَنْخِران الغالب عليهما البياضُ وتكون أقرابُه ، ما ظَهَر منها وما بَطَن ، بِيضاً تَعلوها كُدْرةُ صُفرة .

والأجْأَى من الجُؤْوَة : وهي لونٌ من ألوانِ الخيلِ وهي حُمرةٌ تَضرِب إلى السَّوادِ والغُبرة؛ وقال الأصمعي : الجُؤْوَةُ أن يُخالِطَ الكُمتَةَ مثلُ صَدَإِ الحَديد وقد جِيءَ جَأْيٌ وجُؤْوَة ، والأنثى جَأْواء .

والأهدأ من الخيل : مثل الأصدأ ، فالأصدأ اشَدُّهما سَواداً ، والأهدأ أصفاهما لوناً إلى الحُمرة وهو الكامِد ؛ والأهدأ يُشبه الأدْبَسَ ، إلا أنَّه أصفى لوناً من الأدبس .

باب الصِّنَابية

الصِّنابي من الخيل : هو الذي يُخالط لونَه شَعرةٌ بيضاءُ لا تختلط مع لونِه ولا تَجتَمِع فتكون شُهْبَةً ولا بَلْقاً ويكونُ ذلك البياضُ أقلَّ من الشُّهبة ، ويقال فيه أدهمُ صِنابيٌّ إذ كان عَمودُ لونِه الدُّهمةَ ، وكذلك في الكُمتةِ والوُردةِ والشُّقرة فَيدعَى بأيِّ لونٍ كان عموداً له .

وقيلِ في الصِّنَابيِّ الذي لونُه بين الحُمرةِ والصُّفرةِ منسوبٌ إلى الصِّناب وهو صِبَاغٌ يُتَّخَذُ من الخَردَل والزَّبيب[1] .

والأسْفَى من الخيلِ - في قَول ابنِ الأعرابي - الذي تَنْزِعُه شَعرةٌ بيضاءُ كُمَيتاً كانَ أو غيرَ ذلك ، وأُنثاه سَفْواء ، وخُصَّ مرةً به الأدْهَم والأشقر .

(1) يقصد المؤلف بلفظ الصِّباغ : الإدام المائع ، ذلك أن الصِّناب إدام يتخذ من الخردل والزبيب .

باب البَلَق

البَلَق في الفَرسِ وغيرِه سوادٌ وبياضٌ ؛ **وقال أبو عبيدة : البَلَقُ** ظهورُ البياضِ في أيِّ لونٍ كان من الألوان ، والبَلَق كلُّه يُعَدُّ بَلَقاً إذا أخَذَ البياضُ في الظَّهرِ والعُنُق والكَفَل ؛ والبَلَقُ في الخيلِ يُدْعَى بما يخالِطُه من الألوان ، يقال : كُمَيْتٌ أَبلقُ وأَشقَرُ أبلق . . . وكذلك في سائرِ الألوان ، وإذا أصابت وَجْهَ الأبْلقِ غُرَّةٌ أو قُرْحَة أو زُرقَةٌ دُعِيَ بجميع ما يُصيبُه من ذلك ثُمَّ تُختَمُ الصِّفةُ بذكرِ البَلَق ، ومن البَلَقِ : الأبلق الأدْرَعُ ، والأبلق المُطرَّفُ ، والأبلَقُ المُوَلَّع ، **فالأدْرَعُ** هو الذي ظَهَرَ البياضُ في جَسدِه وخَلَصَ من البياض عُنُقُه ورأسُه أو رأسُه خاصَّةً ، وإذا كان في هَامَتِه بياضٌ وكانت عنقُه مع ذَنَبِه لا بياضَ فيها فهو أيضاً أَدرع ، والأُنثى : دَرعاء ، والجمع : دُرْعٌ على غيرِ قياس .

والمُطَرَّفُ : هو الأبيضُ الرأسِ والذَّنَبِ ، وسائرُ جسدِه يُخالف ذلك ، كذلك إن اَسْوَدَّ أو احْمَرَّ وسَائرُ الجسدِ على خِلافهما ، وإذا ابْيَضَّ الذَّنَب كلُّه وحدَه من غيرِ رأسٍ ولا عُنقٍ فهو مُطَرَّفٌ أيضاً ؛ وقيلَ في المُطرَّف إنَّه الأبيضُ الأذنينِ والقوائِم والعُرفِ والذَّنَب ، وسائرُ الجسدِ يُخالف ذلك ، وكذلك إذا اسْوَدَّ الرأس والذَّنبُ وخالف سائرَ الجسدِ فهو مُطَرَّفٌ أيضاً .

والمُوَلَّع : هو الذي في بَلَقِه استطالةٌ ، وإذا كان الأبلقُ غيرَ مستطيلٍ وكان دَارَاتٍ فهو **الأبلَقُ المُلَمَّع** ، وقيل في المُلَمَّع إنه الذي تكونُ في جَسدِه بُقَعٌ تخالف سائِرَ لَونِه ـ أيَّ لونٍ كان ـ فإن كان في تلك البُقَع استطالةٌ فهو مُوَلَّعٌ أيضاً ويُدعَى المُلَمَّعُ بلونِه إذا كانت فيه لُمَعٌ مثل الدِّرهم وأَكْبَر ، فيقال : أدهمُ مُلَمَّعٌ وكُمَيْتٌ ملمَّعٌ ، وأَكثر اللُّمع تكون بالكَفَل .

وَالمُوقَّع من البَلَق : هو الذي يَكون تَلميعُ جَسدِه مستطيلاً ، وإذا ابيضَّ بَطنُ الأبلق وظهرُه قيل فيه : **أبيض مُنَطَّق** .

والأبلَقُ المُجَوَّز : هو الذي أَخَذ البياضُ جَوْزَه[1] ؛ **والمُرَيَّش** هو الذي اسْوَدَّت أُذُناه وناصيتُه أو كانت على لونٍ آخر من سائرِ الألوانِ وسائرُ جسدِه أبيضُ .

ومن أنواع البلقِ **الأنمرُ** : وهو من الخيلِ الذي على شِبْهِ النَّمِر وهوَ أن تكون فيه بُقْعةٌ بيضاءُ وبقعةٌ أخرى على أيِّ لونٍ كان .

والأرقط : من الرّقْطَة : وهو سوادٌ تشوبه نُقَطٌ بِيضٌ.

والأَبْرش من الخيل : مثلُ الأَرقط ، والبَرشُ في شَعر الفرس نُكَتٌ صِغار تخالف سائرَ لونِه ؛ **وقال أبو عبيدة** : الأَبرش من الخيل : هو الذي تجتمع فيه شَعَراتٌ من لونٍ حتى تكون نُكَيْتَةٌ صَغيرة ؛ وقيل : البَرش لُمعُ بياضٍ في لـونِ الفرسِ من أيِّ لونٍ كان إلا الشُّهبة ؛ وقيل البرش أنْ تكونَ في الفرسِ نُقَطٌ صِغارٌ وشَعراتٌ بيْن ذلك كثيرة .

والأَرْبَشُ : مقلوب الأبْرش وهو المختَلِفُ اللَّونِ نُقَطُهُ حَمراءُ وَأخرى سَوداءُ أو غَبراء ونحو ذلك . والأربَشُ لغةٌ في الأَبْرش ، **والأرمش** : مثلُ الأبرش .

والأَنمش : أكثرُ نُقطاً من الأَبْرش ، والنَّمَش : نُقَطٌ بيضٌ وسودٌ كَالوَشْي .

وَالمُدَنَّر : هو الذي تكون فيه نُكَتٌ صِغارٌ فوق البَرَشِ تخالف لونَه ، أيِّ لونٍ كان ، وقد تَقَدَّم تَفسيرُ المُدَنَّر في باب الصُّفْرَة والشُّهبة .

والأَشيمُ من الخيل : مثلُ المُلَمَّع ، وهو الذي تكون فيه شَامَة أو شامٌ وبُقَعٌ متفرِّقَةٌ تُخالِف سائرَ لونِه .

وَالأرشَم : هو الذي في لونِه وَشْمٌ وخطوطٌ ، ويقال : هوَ المرشوم .

---

(1) جاء في النسختين كلتيهما: جوْره (بالراء المهملة)، وهو تصحيف واضح، والصواب: جوزه (بالمعجمة)، والجوز من كل شيء وسَطه، ومن هنا وصف «المجوَّز».

وإذا كان بِجَسدِ الفرسِ نُقَطٌ صِغارٌ تُخالف سائِر لونِه ـ وأكثرُ ما تكون في الكَفَلِ ـ قيل فيه : مُنَقَّط ، ودُعِيَ بأَيِّ لونٍ كان ، وهذه النُّقَطُ تُصيب الفَرسَ من العطشِ وهو مُهْرٌ .

انتهى الكلام على البَلَق ، وهو آخر ألوانِ الخيل .

قلت : إنَّما أَخَّرنا الأَبلَق من الخيلِ ، لفظاً وذكراً ، لِتَأخُّرِه معنًى وحِسّاً وذلك من وجهيْن :

- **الـوجْـه الأول** : ما يتَّصِفُ به الأَبلَق من ضُعفِ القُوّة ونَقْصِ الشدَّة ؛ قال محمد بن سلام : لَم يَسْبِقِ الحَلْبَة فرسٌ أبلقٌ ولا بَلْقاء .
- **الوجه الثاني** : ما يتَّصِف به من البَلادة ، وذلك أنَّه كثيراً ما تكون أُذن الأبلقِ مُنتَصِبةً إلى خَلْف فلا تُصغِي عند الصِّياحِ ولا تَسمعُ حين النُّعاس ، وهذا الوصفُ الذَّميم قد يوجد في غيرِ الأَبلَق لكنه في الأَبلق أكثرُ وأَشْهَر .

باب الشِّيَاتِ والأَوضاحِ والغُرَرِ والتَّحجِيل

أقول : إنَّه لَمَّا تقدَّم الكلامُ في أَلوانِ الخيلِ على اختلافِها وتَعَدُّدِ أصنافِها وبيانِ أَحوالها وأوصافِهـا اقتضى ذلك أَنْ أَذكرَ هذا البابَ تَالِياً لها ومتَّصِلاً بها لتناسُبِ البابيْن وتشاكُلِ الأمرين .

أما الشِّيَاتُ : فهي جَمْع شِيَة ، والشِّيَة : هي كلُّ لونٍ يُخالف معظمَ لونِ الفرسِ من أيِّ الأَلوانِ كان : إمَّا بياضٌ في سواد ، وإمَّا سوادٌ في بياضٍ أو غير ذلك ، وأصلُها من وَشيتُ الشَّيءَ إذا زينته . وقوله ـ تعالى ـ في وَصفِ بَقَرَة بني اسرائيل : لَا شِيَةَ فيها : أي لا لونَ فيها يُخالف سائرَ لَونِها .

وأما الأوضاح : فهي جَمْعُ : وَضَح ، والوَضَح : هو الضَّوءُ والبياضُ ؛ فالفرقُ بين الشِّيَةِ والوَضَح أن الوَضَح هو : اللُّمعةُ من البَياضِ ، خاصَّةً ،

وَأَنَّ الشّيَةَ هي اللُّمعةُ التي تُخالف مُعْظَمَ لونِ الفرسِ في أيٍّ الألـوانِ كَانت .

وأمّا الغُرَرُ : فهي جمعُ : غُرَّة ، والغُرَّةُ : بَياضٌ بجَبْهةِ الفرس .

وأما التَّحجيل : فهو بياضٌ دائرٌ بقوائِم الفَرس ؛ فتَبَيَّن من هذا أن الشّيَاتِ أعمُّ من الأوضاح ، فَكُلُّ وَضَحٍ شِيَةٌ ، وليس كلُّ شِيَةٍ وَضَحاً ، وأنَّ الأوضاحَ أعمُّ من الغُرَر والتَّحجيل ، فكلُّ غُرَّةٍ وتحجيلٍ وَضَحٌ ، وليس كلُّ وَضَحٍ غُرَّةً ولا تحجيلا . فإن لم يَكنْ في الفَرسِ لونٌ يخالِف معظمَ لونه فذلك هو الفرسُ البهيم ويستوي في لفظِه المذكَّر والمؤنَّث .

وقد ثَبَتَ عن رسولِ الله ﷺ تمثيلُ أمَّتِه بخيلٍ غُرٍّ مُحَجَّلَةٍ، وتَمثيلُ غيرهم بخيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ؛ روينا عن جماعةٍ من أشياخنا ـ رحمهم الله ـ بأسانيدِهم إلى أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ **أنَّ النبيَّ ﷺ أتى المقبرة فقال: «السَّلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنَّا ـ إن شاءَ الله ـ بكم لاحقون وَدِدْتُ أنَّا قد رأينا إخوانَنا . قالوا : يا رسولَ الله ، أَولَسنا إخوانَك ؟. قال : أنتم أصحابي وإخوانُنا الذّين لم يأتُوا بَعْد . . فقالوا : يا رسولَ الله ، كيف تَعِرف من يأتي بعدكَ من أُمَّتِكَ ؟ فقال ﷺ : أرأيتَ لو كان لرجلٍ خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ في خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يَعْرِفُ خيلَه ؟. قالوا: بَلَى يا رسولَ الله ! . قال : فإنَّهم يَأتون يومَ القيام غُرّاً مُحَجَّلين من الوُضوء وأنا فَرَطُهُم[1]على الحَوْض ، ألاَ لَيُذَادَنَّ رجالٌ عن حَوضي كما يُذَادُ البعيرُ الضالُّ ، أُناديهم : ألاَ هَلُمَّ فيُقالُ إنهم قد بَدَّلوا بعدَك فأقولُ : فَسُحْقاً فسحقاً »** .

تكْميل : البياضُ الذي في جَبْهةِ الفرسِ لا يُسمَّى غُرَّةً عندَ طائفةٍ من أهل اللُّغة حتَّى يكون فَوْقَ الدِّرهمِ ، فإنْ كان قَدْرَ الدِّرهمِ أو أقلَّ من ذلك

(1) الفَرَط والفارِط: السابق المتقدم، والفَرَطُ: من يسبق القوم إلى الماء ليُهيِّئه ويُعِدَّه.

فلا يُسمَّى عندهم غُرَّةً، وإنَّما يُسمَّى قُرحةً (بضمِّ القاف) ، ويُقال منه فَرس أَقْرح .

وقال بَعْضهم : تُطلَقُ الغُرَّةُ على ما قَلَّ وكَثُر من البيـاضِ بجَبهةِ الفرسِ ، لكنْ إذا كان البياضُ يسيراً يقال فيه أَغَرُّ أَقْرحُ فَيَدُلُّ : أَغَرُّ على البياضِ ، ويدلُّ : أقرحُ على قِلَّتِهِ.

تنبيه : القُرحةُ (بضَمِّ القاف) ، والقَرحةُ (بفتحها) : من الكلمات التي تَقارب لفظاهُما وتباعدَ معناهُما ، فالقُرحة (بضم القاف) : هي البياضُ القليل في وجْهِ الفرس ، والقَرحة (بفتح القـاف) : هِي الجَرْحَة ، وكذلك أيضاً الأقرح والقَارِح : مِمَّا تقاربَ منهما اللَّفظُ وتباعدَ المعنى ، فالأقرحُ من الخيل : هُو الفرسُ الذي في جَبهتِهِ قُرحةٌ وهي البياض اليَسير كما قلنا . **والقارح** : هو المُسِنُّ من الخَيل وغيرِها من ذواتِ الحافِرِ ، ولاستثقال لفظةِ القُرحَة تَجنَّبها الشعراءُ وعبَّروا عنها بلفظ الكَـوكَب أو النجْم على سبيل التَّشبيه ـ كما قال المتنبيّ ـ :

وعَـينـي إلى أُذُنَـيْ أَغَـرَّ كَـأَنَّـهُ من اللَّيـلِ باقٍ بَيْنَ عَينَيْـه كوكبُ

وقد تقدم البيت مع ما قَبله في معرض آخر.

تلخيصٌ مفيد وتمهيدٌ أكيد

المكروه من الغُرَرِ نَوعانِ :

الأول ـ الغُرَّةُ التي تَتَّسِع حتى تسيلَ تحت إحدى أُذُنَي الفرسِ ، وذلك مما يُتشَاءم بِه .

النَّوع الثاني : أن تكونَ الغُرَّةُ نَاتِيةً كَأَنَّها وارمةٌ وذلك بِأَنْ يكون موضِعُها دونَ غُرة فَيُنتَف الشَّعر من الموضِع لينبت أبيضَ وتسمَّى تلك الغُرَّة بالمغْدِ ، والمَغْدُ في اللُّغة : هو النَّتف .

والمكروه من التَّحجيل نوعان أيضاً :

الأَول ـ الرَّجَل ويقال له الترجيلُ : وهو البياضُ في إحدى الرِّجلين من الفَرس دونَ الأخرى ، ويقال منه فَرسٌ أَرجَلُ، لكنَّه لا يُكرَه إلَّا إذا لم يكنْ في الفرسِ بياضٌ غيرُه ، فإنْ كان فيه بياضٌ غيرُه فإنَّه لا يُكره ولا يُذَمّ ، قال الشاعر :

أسيــلٌ نبيــلٌ لَيس فيــه مَعــابــةٌ كُمَيْتٌ كلونِ الصِّرف أَرجلُ أَقـرحُ

فَمَدَحه بالرَّجَلِ لَمَّا كان أَقْرحَ ، والرَّجَلُ في الرِّجْلِ اليُمنى أكـره عندهم من الرَّجَلِ في اليُسرى ، وقيل: لا يُكْرَه الرَّجَلُ إلا في الرِّجْلِ اليُسرى فقط فإن كانَ في اليُمنى فهو غيرُ مكروهٍ ، ويقال إن الرَّجَل كان عندهم ممدوحاً مَع الوَضَحِ وغيرِ الـوَضَـحِ حتَّى كان الحسينُ بنُ عليّ ـ رضي الله عنه ـ يومَ قُتِلَ على فَرسٍ أَرْجَلَ فتشاءَمَتِ الشِّيعةُ به فكَرِهَه الناسُ لذلك .

النوع الثاني ـ من التَّحجيلِ المكروهِ : الشِّكال ، ويقال منه فَرسٌ مَشْكول .

وقد اختَلَف أهلُ العلم في مَعنى الشِّكالِ المكروهِ في الخيل ، فالقولُ الصحيحُ في ذلك أنْ يكونَ الفرسُ في رِجْلِـه اليُمنى بياضٌ ، وفي يَدِه اليُسرى أو في يده اليُمنى ورجلِه اليُسرى فيكون البياضُ مخالفاً .

وقيل : الشِّكال : أن تكونَ ثلاثُ قَوائم مُحَجَّلَةً وواحدةٌ مُطْلقةً أو تكونَ الثلاثُ مُطْلَقَةً وواحدةٌ مُحَجَّلَة . قاله أبو عبيدة ، قال : وليس يكون الشِّكالُ إلاّ في الرِّجْل ولا يكون في اليَد ، إنّه إنّما يكون الشِّكالُ إذا كانت الرِّجْلُ هي المُطْلَقَةُ وحْدَها أو المقيَّدَةُ وَحدَها .

وقيل : الشِّكالُ بياضُ الرِّجْلِ اليُسرى واليدِ اليُمنى[1] ؛ فهذه جملةٌ من

(1) جاء في النسخة ب: «وقيل: الشُّكال بياض الرجل اليمنى واليد اليمنى، وقيل بياض الرجل

أقاويلِ العلماءِ في معنى الشِّكالِ ، والقول المعتمَد هو ما قدَّمناه أولاً أنَّه البياضُ الذي يكون بيدٍ ورِجلٍ من خلافٍ قل أو كَثُر .

وقد جاء في الحديثِ الصَّحيحِ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه كان يَكْرَه الشِّكالَ من الخيلِ ، وسنتكلم على هذا الحديثِ فيما بَعْدُ ـ إن شاء الله ـ.

فصل نذكر فيه ـ بحول الله ـ ما يُستَحَبُّ وما يُكرَه من ألوان الخيلِ وشِياتِها ما عدا ما ذكرنا في الغُرَّةِ والتَّحجِيل

فنقول :

قد تَقرَّر قبلَ هذا في ضِمْنِ كلامِنا استحبابُ الشُّقْرِ من الخيلِ بالأَدِلَّة المتقدِّمةِ وكذلك الدُّهمُ والكُمْتُ لا سيما إذا كانت على الشِّيَاتِ الواردةِ عن رسول الله ﷺ حَسَبما تقدَّم ، كقولـه ﷺ : « **الْتَمسوا الحَوائجَ على الفرسِ الكُمَيْتِ الأَرْثَمِ المُحَجَّلِ الثلاثِ المُطلَقِ اليُمنَى** » وكقوله ﷺ « **إذا أردت أن تَغزوَ فاشترِ فرساً أدهمَ مُحجَّلاً مُطلَقَ اليُمنى فإنَّك تَسْلَمُ وتَغْنَم** ».

وقد جاء عن رسولِ الله ﷺ استحبابُ الفرسِ الأغرِّ المُحجَّل المُطلَقِ اليُمنى من غيرِ تَعيينٍ لِلَونِهِ . فَرُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال : « **إذا أردْتَ أن تَغزوَ فاشترِ فرساً أغرَّ مُحجَّلاً مُطْلَقَ اليمنى فإنَّكَ تسلم وتغنم** » .

ويُستَحَبُّ في ألوانِ الخَيلِ الصفاءُ والبريقُ والخُلُوصُ في أيِّ لَوْنٍ كان .

ويُكْـرَه في الألوانِ كلِّهـا قلةُ النُّصوعِ والصَّفـاءِ واختـلاطُ بعضِهـا ببَعْض .

ويُكْرَهُ من الألوانِ الأصفرُ الفاضحُ ، وقد تقدم بيانُه في بابِ الصُّفرة ،

= اليسرى واليد اليسرى» وواضح أن في هذا النص اختلاف مع ما جاء في النسخة أ الذي أثبتناه في المتن.

وهو أدلُّ شيءٍ على ضُعفِ الفَرَس ، وكذلك الأبلقُ غيرُ محمودٍ عندهم لِمَا قدَّمنا في بابِه .

وَيُكرَه في الأشْيَمِ مِنَ الخيلِ أنْ يكونَ به شَامةٌ بيضاءُ أو غيرُ بيضاءَ في مُؤَخَّرِه أو شِقِّهِ الأَيْمَن.

وَتَكْرَهُ العربُ من شِيَاتِ الخيل **الصَّبغ** وهو ابيِضَاضُ الناصية .

وكذلك يُكْرَهُ **الكَسَع** وهو ابْيِضَاضُ الثِّنَن إذا لم يتَّصِلْ بَياضُها ببياضِ التَّحجيلِ أو لم يكن ثَمَّ تَحجيل ، **والثَّنن** شَعَرَاتٌ على أرسَاغِ الدابَّة مُشرِفَاتٌ مِنْ خَلْف .

وكذلك يُكرَه اسْوِدادُ الثِّنَنِ والأشاعِرِ أو بعضِها في بياضِ التَّحجيل ، والأشاعِرُ ما استدار بالحافِرِ من منتهى الجِلْدِ ، وكذلك يُكْرَهُ **الشَّعَلُ** وهو ابْيِضَاض عُرْضِ الناصيةِ أو عُرضِ الذَّنَب .

وكذلك يُكره **التَّجويف** ، وهو أَنْ يَصعَدَ التَّحجيل أوِ البَلَقُ حتَّى يبلغَ البطْنَ .

وكذلك **التَّجبيب** (بباءَيْن) غيرُ محمودٍ ، وقيل في التَّجبيب إنَّ معناه أنْ يَبلغَ البياضُ من الفرسِ رُكْبَةَ اليد وعُرقوبَ الرِّجْلِ اوْ رُكْبَتَي اليدينِ وعُرقوبَيْ الرِّجلَيْن .

بابُ الدوائرِ التي تكون في الخيل

الدَّائرةُ في الفرس هي الشَّعْرُ المختلِف الذي يكون في مواضعَ من جَسدِه تَنبعثُ نَبْتَتُه من موضعٍ واحدٍ كالذي يكون في وسطِ رأسِ الصَّبِيِّ .

والدوائرُ المسمَّاةُ في جَسدِ الفرسِ عَدَّها قومٌ أربعَ عَشْرَةَ دائرة وهي : دائـرةُ **المُحَيَّا** ، **واللَّطاة** ، **والنَّطيـحُ** ، **واللاَّهِـزُ** ، **والمُعَوَّذ** ، **والسَّمـامـةُ** ، **والبَنيقَةُ** ، **والنَّاخِر** ، **والهَقْعَةُ** ، **والقالِعُ** ، **والصَّقر** ، **والخَرَبُ** ، **والخُطاف** ،

والنَّاخس ؛ وعَدَّها آخرون ثماني عَشرة دائرة ، عَدُّوا الدّوائرَ المذكورةَ وجَعلوا البنيقَةَ دائرتَيْن ، ودائرةَ الصَّقْر دائرتَيْن ، ودائرةَ الخَرَبِ دائرتين ، وزادوا دائرةَ النَّافِذة .

وعَدَّ أبو عبيدةَ معمر بنُ المثنَّى ثماني عَشْرَةَ ولم يَعُدّ الخُطَّاف، وقال في الهَقْعَةِ إنها تكون في الشِّقَّيْنِ جميعاً، والخُطَّاف عَدَّها أبو القاسم الزجَّاجي.

وذَكَر صاحب (كتاب العَيْن) في الدَّوائرِ الكَشَفَة وهي دائرةٌ تكون في قُصَاصِ شَعر النَّاصية ، قال : وربَّما كانت شَعَراتٌ تَنْبُتُ صُعُداً ولم تكن دائرةً ، يريدُ الدوائرَ كلَّها . فأما دائرةُ المُحَيَّا ، فهي التي تكون في أعلى الجَبهةِ تَحتَ قُصاصِ شَعْرِ النَّاصية لاصقةً بأسفَلِها حيث انْفَرَق اللَّحمُ هنالك ، وهذا هو حَدُّ موضِع الكَشفة التي ذكرها صاحبُ العين ؛ والفَرس منها أَكْشَف[1].

ودائرةُ اللُّطاة هي التي تكونُ في وسطِ الجَبهة، ويقال لها أيضاً دائرةُ اللُّطمة، والفرسُ منها لَطيم.

ودائرةُ النَّاطِح ـ ويقال النَّطيح ـ وهي أن تكون اللُّطَاة دائرتين ، والفرسُ منها نطيح .

ودائرةُ اللاَّهِزِ: وهي التي تكون على اللُّهْزَمة .

ودائرة المُعَوَّذ : هي التي تكون في موضِع القِلادة من عُنُقِ الفَرسِ ، وقال فيها كُراع : دائرة العمود[2] .

ودائرةُ السُّمامة : هي التي تكون في وَسَطِ العُنُقِ في عُرضها.

---

(1) جاء في القاموس المحيط أنَّ الكَشَف (بتحريك الشين): انقلاب من قصاص الناصية كأنها دائرة، وهي شعيرات تنبت صُعُداً، وذلك الموضع كَشَفَةٌ. والأكشف من الخيل الذي في عسيب ذنبه التواء.

(2) في ب: المعوذ.

والبنيقتان : هما الدائرتان اللّتان في نَحْرِ الفَرَس ؛ وقال فيهما كُراع : دائـرة البنيقَيْن والواحدة : بَنِيقَةٌ : بالهاء كما يقولون خصية ، فإذا ثَنَّوْا لم يُلحِقوا التاء وهيَ من النَّوادر .

ودائرة الناجِر : هي التي تكون في الجِران الى أسفل مِنْ ذَلك .

والهَقعةُ : هي الدائرة التي تكون في عرضِ زَوْرِ الفَرس ويقال منها هُقِعَ الفرس على ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُه ، فهو مَهْقوع ؛ وقال أبو عبيدة : إنها تكون في الشقَّين جميعاً ؛ وقيل في الهَقعة هي دائرةٌ تكون بجَنْبِ بعض الدوابِ وهي يُتَشاءم بها .

ودائرة القالع : هي التي تكونُ تَحْتَ اللِّبْدِ[1] بِمِلْبَدِ الفَرس.

وأمَّا دائرةُ النافِذة : فهي دائرةُ الحِزام ، وقيل في دائرة الحِزام إنها الهَقعة وهي تُستَحَبُّ .

ودائرتا الصَّقرين : هما الدائرتان اللَّتان في مُؤَخَّرِ اليَدِ دون الحَجْبتين والقُصريين .

والخطّاف : هي الدَّائرةُ التي تكون في المرْكِضِ من الفرسِ ويقال لها اليَعسوب .

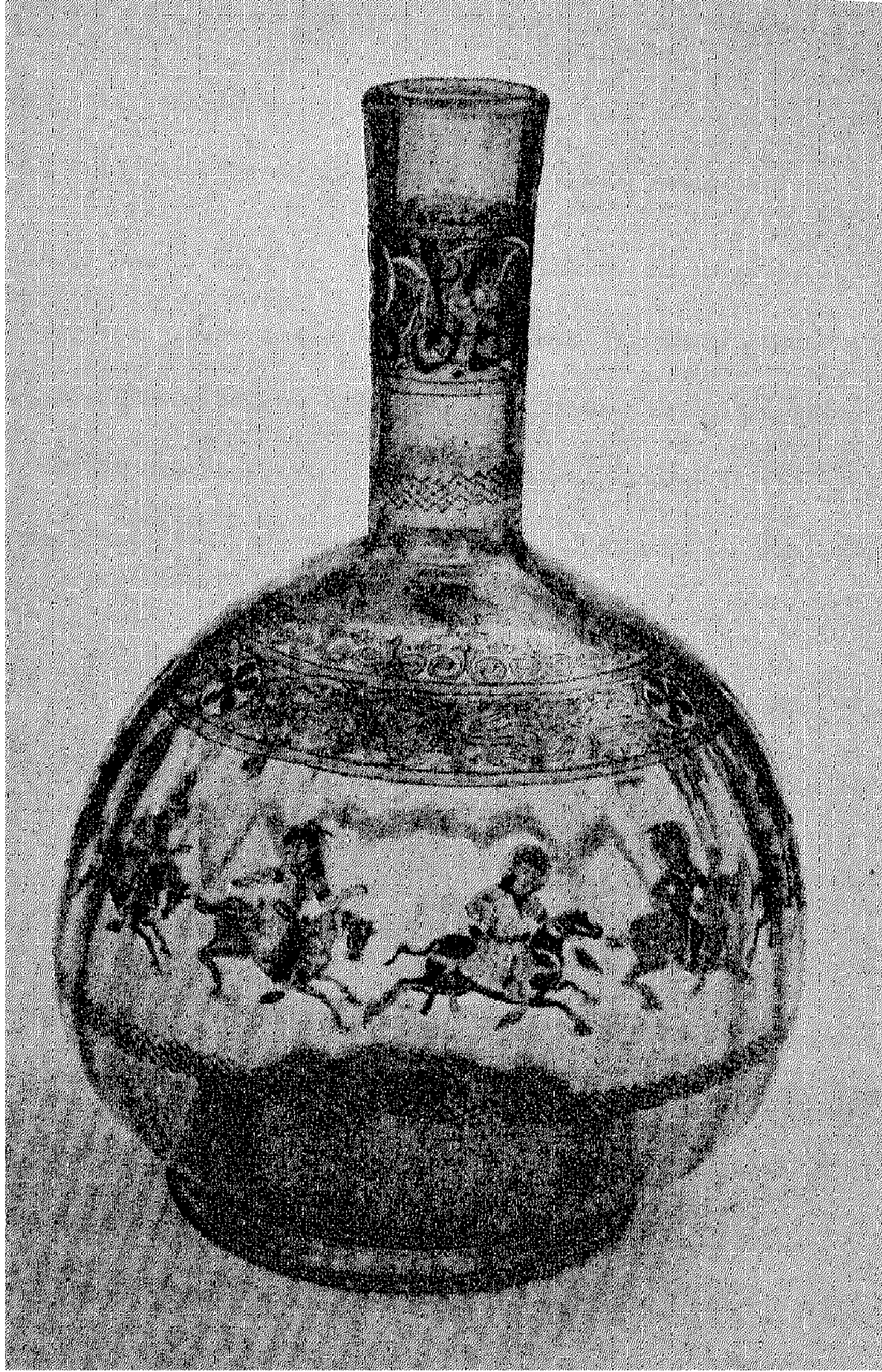
وَدائرتا الخَرب : هما اللّتان تحت الصَّقْرين[2] في مَرفِقَي الفَرس .

ودائرةُ الناخِس : هي التي تكون تحتَ الجاعِرتين إلى الفائلين ، والفرس منها مَنخوس ، وأسماؤ ها عشرون اسماً وهي : دائرة المُحَيَّا ، والكشفة ، واللَّطاة ، واللَّطمة ، والنَّطيح ، واللاَّهز ، والمعوَّذ ، والعمود ، والسَّمامة ، والبنيقة ، والناجِر ، والهَقعة ، والقالع ، والنافذَة ، والصقر ، والخطاف ، واليَعْسوب ، والخرب ، والناخِس ، ووِقاع على مثال حِزام.

---

(1) اللِّبد (بكسر اللام): ما يوضع تحت السرج.

(2) في ب : السقرين ؛ وقد سبق التعريف بدائرتي الصَّقرين.



فروسية وفَـنّ

دورق من زجاج ملوَّن مُذهب تحيط به صورة خيول يركبها فرسان من المماليك. صنع الدورق بدمشق في القرن الثامن الهجري ـ متحف الفن الإسلامي ببرلين.

قال أبو عُبَيْدة : وِقاع من الدوائر التي في الفرس ، قال : وهي الدَّائرةُ التي تكون على الجاعِرتين ؛ وقال أيضاً : وحيث ما كانت فلا تكونُ إلا دائرة ـ يعني أنها مُحكَمةُ الاستدارة وليس لها موضعٌ مخصوصٌ .

وكانت العربُ تَكرهُ من هذه الدوائر وتتشاءم بها دائرةَ المُحَيَّا ، وهي الكَشَفة ، ودائرةَ النطيح ، ولم تَكُنْ تَكره اللَّطاةَ إذا كانت واحدةً ، وكذلك كانت تَكْرَه اللاَّهزَ والقالِعَ والناخِس ؛ فهذه خمسُ دوائرَ مكروهةٌ ، وكانوا يستِحبُّون دائرةَ المُعَوِّذ ، وهي دائرةُ العمود ، والسمامةَ ، وما سوى هذه الدوائر فغيرُ مكروهةٍ [ولا مستَحَبَّةٍ ، وقومٌ يكرهون دائرةَ اللَّطمة ، وهي اللَّطاة] .[1]

وقال أبو عُبَيْدة: وكانوا يستحِبُّون الهَقعةَ ويقولون أَبْقَى الخيلِ المَهقوع حتى أراد رجلٌ من العَرَبِ شِراءَ فرسٍ مهقوع فامتنع صاحبُه مِنْ بَيْعِه فقال ذلك الرجل فيه:

إذا عَرِقَ المهقوع بالمَرء أنعظت حليلتُه وابتلَّ منها إزارُه[2]

فصار المهقوعُ عندهم مكروهاً بعد أن كان مستحبّاً وصاروا يقولون إنَّ المهقوعَ إذا ركِبَه صاحبُه فَعَرِقَ تحته استنخبت[3] حَليلتُه وطَلبت الرِّجالَ ، فكان الرَّجُلُ منهم إذا ركِبَ الفرسَ المهقوع نزل عنه قبلَ أنْ يَعْرَقَ تحته وصاروا يقولون إن المهقوع لا يَسْبِقُ أبداً .

ويُروَى أنَّ رجلاً اشترى فرساً مهقوعاً فخاصمَ بائعَه منه إلى شُرَيْح فأوجب شُرَيْح على البائِع أَخْذَ الفرسِ وَرَدَّ الثَّمَنِ فقال له البائع : أَيمنعُ هذا العيبُ من مَطْعَمٍ أو مَشْرَبٍ أو يُنْقصُ من قُوَّةٍ أو جَرْيٍ قال: لا ، فقال له البائع : أَفَمِنْ

(1) جملة ساقطة في ب .

(2) في أ : إزارها .

(3) استنخبت : طلبت النُخْبَ من نَخَب ينخُب بمعنى باشر المرأة ، والاستنخابُ طَلَبُ المباشرة والنخب ضربٌ من المباضعة .

أجْلِ شاعرٍ زَعَم ما زَعَم وتَقَوَّلَ ما شاء تردُّه عليّ ؟ وقد قال الآخر :

وقَدْ يركبُ المَهْقوعَ من لستَ مِثلَهُ   وقد يركب المَهقـوعَ زوجُ حِصانِ

فقال شُرَيْح : قد صار ذلك عيباً عند النَّاسِ فَخُذْ فَرَسَك ودَعْني من هذا !

قُلْتُ : تلخيصُ جميع ما تقدم في دَوائرِ الخَيلِ - وهي التي تُسميها العامة بالنَّخَال - أنَّها على ثلاثةِ أقسامٍ : قسمٍ مستَحبٌّ، وقسمٍ مكروهٍ، وقسمٍ غير مستحَبٌّ ولا مَكروه.

أما القسم الأول - وهو المستحَبُّ منها - فذلك اثنتان : **دائرةُ المُعَوَّذ** ويقال لها دائرة العمود ، وهي التي تكون في موضِع القِلادة من عُنُقِ الفرس ،**ودائرةُ السّمامةِ** : وهي التي تكون في وسَط العُنق .

وأما القسْمُ الثاني - وهو المكروه منها - فذلك سبعُ دوائـر : **دائرةُ المُحيًّا** ، ويقال لها **الكَشَفَة** ، وهي التي تكـون في أعلى الجبهةِ تَحت قُصاصِ شَعرِ النَّاصية لاصقةً بأسفَلِها حيث انفرق اللَّحمُ هنالك ، **ودائرةُ اللَّطاة** عند بعضهم وَيُقال لها **دائرة اللَّطمة** : وهي التي تكون في وسطِ الجَبهة، **ودائرة الناطح** ، ويقال **النَّطيح** : وهي التي تكون اللَّطاة دائرتين ، ودائرة **اللاَّهز** : وهي التي تكون على اللَّهزمة ، واللهزمة مُضْغَةٌ صغيرةٌ في أصل الحنك وهما لهزمتان: **ودائرة القالع** وهي التي تحت اللِّبد بِمِلْبد الفرس، **ودائرةُ الناخِس** : وهي التي تكون تحت الجاعِرتين - والجاعرة حَرْف الورِك ، وهما جاعرتان - إلى الفائلين والفائلُ : اللَّحم الذِي على الوَرِك ، وهما فائلان والفرس منها مَنخوس ، **ودائرة الهَقعة** : وهي التي تكون في عرضِ زَوْرِ الفَرس ، والزَّور : وَسَطُ الصَّدْر وكانوا يستحبُّونها حَتَّى جَرى فيها ما تقدَّم فصارت عندهم مكروهةً .

وأما القِسم الثالث - وهو ما ليس بِمُستَحبٍّ ولا مكروه - فهو باقي

الدوائرِ المذكورةِ ، ومعتَمَدُ الفائدةِ ومُنصَرَفُ القصدِ إنما هو القسم الأوَّل المستحَبّ ، والثاني المكروه ، وأما الثالث الذي لا يتعلَّق به استِحبابٌ ولا كَراهةٌ فلا اعتبارَ به ولا كبيرَ فائدة في ذِكْرِه ، وإنما ذكرناه استيفاءً للأقسام وتتميماً للكلام .

تذييل :

نَقل المؤلِّف ـ رحمه الله ـ عن رَجُلٍ يقالُ له جُلُّ الهندي مسائلَ عِدَّةً فيما يُتيامَن به أو يُكْره من شِيَاتِ الخيلِ ودوائرِها ، ونحن إنَّما ذكرنا ما صحَّ عندنا من العُلماءِ وتحـقق لدينا من الأدباء ، لكنَّـا نذكـر الآن في هذا التذييلِ ـ بحول الله ـ ما نقلَه المؤلِّفُ ـ رحمه الله ـ عن جُلِّ المذكورِ مُتبرِّئين من عُهدَتِه غيرَ مرتَهنين في صحَّته ، وإنما نذكرُهُ ليقعَ به التجريب فيَتَوجَّه له أو عليه التصديقُ أو التكذيب ، فإنَّ ذلك الرَّجلَ ـ وهو جلُّ الهندي ـ لا أُثبِتُ معرفتَه ولا أعرف صفتَه ولا أُحقِّقُ ثقتَه .

قال المؤلِّف ـ رحمه الله ـ ذكرَ جلُّ الهنديُّ أنَّه ما كان من الخيلِ أدهم حالِكَ اللَّونِ صافيَ الأديم بوجهِه لُمعٌ بيضٌ أو بعنُقه أو في ظهرِه أو به شُعلةٌ في ذَنَبِه ، وكذلك ما كان من الدُّهْمِ وفي هامتِه طرائقُ ولُمَعٌ بيضٌ فذلك هو الروحانيّ وهو أجْودُ الخيلِ وأيْمَنُها ولا يعتقِد أحدٌ من هذه الصفةِ شيئاً إلا كان أَجْودَ الخيلِ وأَيْمَنْها ولا يعتقِد أحدٌ من هذه الصفةِ شيئاً إلا كان في الحروب مظَفَّراً وحاجَتُه تُنْجَزُ ولا يزالُ يَرى الزيادةَ في أمورِه والنماءَ في جميع حالاتِه .

وذَكَرَ أنَّه ما كان منها أشهبَ أبيضَ شبيهاً بالبيضاءِ من طيرِ الماء فهوَ من أجودِ الخيلِ وأرفعِها في النَّعت وأشرفِها فِعَالاً وهو أولاها درجةً وهو أنفَعها في الحروب فلا تَلْقَى صاحبَه إلا مظفَّراً، وهو من المراكبِ التي تَصلحُ للملوكِ إلاَّ أن يكون فيه شيءُ من الأوصاف المذمومةِ المذكورة في آخِر هذا الفصل .

وما كان أيضاً من الشُّهْبِ كلونِ المِسكِ كان لاحقاً بالأبيض أيضاً .

وما كان منها لونُه لونَ حِمارِ الوحشِ وقوائمُه سودٌ كان في حَدِّه يُعَدُّ في الدرجة الثالثة ؛ وكذلك ما كان منها لونُ شَعرتِه كلونِ زهرةِ الكتَّان فهو في حَدِّ الدرجةِ الثالثةِ منه ، وكذلك ما كان في عُنقه أو على خَطْمه أو على أُذنَيْه شَعَراتٌ ناتئة كزهرةِ النباتِ كان أيضاً مما يُرتَبَط وتُقضَى عليه الحوائج ، وإذا استُعمِلَ في الحرب كان صاحبُه مظفَّراً ولم يَرَ في أمورِه إلَّا خيراً .

وما كان من الخيل أصفرَ أزرقَ العيْنَين وما كان منها لونُه كلونِ المِسك وعَيناه تضربَان الى الصُّفرة .

وما كان منها في جميعِ أُذنَيْهِ نُقَطٌ صِغارٌ بيضٌ حُمْرٌ وكان فيه مثل مَخَالِبِ العُقَاب .

وما كان منها أشهبَ أحمَّ .

وما كان أدبسَ أغرَّ ،

وما كان أصدأَ أو كُمَيتاً فهو في درجتِه من هذه الصِّفات كِلّها لاحقٌ بالدَّرجةِ الأولى والصِّنفِ الأولِ المذكورِ إلَّا أن يكونَ فيها كُلِّها ما نُتِجَ وهو نابتُ الأسنان أو يكونَ ظاهرَ الخُصيَيْن أو في مِنْسَجه[1] دائرة وليست في رأسه دائرةُ أو يكون بِلَحْيه[2] الأسفل أو في رُكبَتِه دائرةٌ أو كانت بأُذنِه زوائدُ تشبهُ الأُذُن عليها شَعَراتٌ أو كانت أسنانُه أكثرَ من أربعين فإنه، إذا كان به من هذه العيوبِ شيءُ مع أيِّ صفةٍ مستحسنةٍ كانت أو غيرِ مستحسَنةٍ، فإنه من شرِّ الدوابِّ ولا يصلح لشـيءٍ من الأعمال.

(1) في ب : منهجه ، وهو تصحيف ، ومعنى المِنْسَج : أسفل الحارِك أو هو ما بين العرف واللبد .

(2) اللَّحْي (بفتح اللام) : منبت اللحية من الإنسان وغيره .

وقال في موضع آخر : وذَكَر جُلٌّ الهندي أنه لا ينبغي أن يُرتَبَط من الدوابِّ الذي يكون لونُه كلونِ الدَّرَّاج ، والذي يكون في لونِه لُمَعٌ عِراضٌ كِبارٌ مختلفةٌ ، والذي لونه كلونِ ابنِ آوى وابنِ عرس ، وكلون الدبِّ ، وكلون القِرْد ، وكلون الأسدِ ، وكلون الفيل . فهؤلاء من الأجناسِ المكروهة التي لا ينبغي أن يُرتَبَط منها شيء .

وكذلك قال جُلٌّ المذكور : ما كانَ من الدوابِّ أدبسَ أو أبيضَ أو أصفرَ أو أشهبَ وتَعلوه في هذه الألوانِ حُمرةٌ وداخلُ جحافِله ولَهواتِه وخارجُ لَحْيَيْهِ أسودُ ، وما كان منها أدهمَ وداخلُ جحافِله أبيض وفي لَهواتِه وداخلُ شَدْقَيه نُقَطٌ سودٌ وداخل جَحْفلته وخارجها مُنَقَّطٌ كَحَبِّ السِّمسِم ، فهذه العلامات ، زعم جُلٌّ المذكور ، أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يَرْتبِط دابّةً بها شيء منها .

وتقدَّم في آخر أبواب الألوان والشيَاتِ الدوائر التي تكون في الفرسِ وما كانت العربُ تستحِبُّ منها وما كانت تَكْرَه .

وقال جُلٌّ الهندي المذكورُ في ذلك : إنَّه ما كان من الدوابِّ في موضع حَكْمَته[1] دائرةٌ أو على جَحفلتِه العليا دائرةٌ كان مما يُرتَبَط ويُغتَبَط به ، وكذلك ما كان في رأسِه دائرتان وعلى خَاصِرتَيْه ومذبحه دائرةٌ وفي عنُقه دائرةٌ وما كان ليس في رأسِه دائرتان وليس في وجْهه ولا في صَدْره دائرةٌ فمكروهٌ ارتباطُه ، وما كان منها في صَدره دائرةٌ إلى التَّربيع فهو مِمَّا يُرتَبَط وتُقْضَى عليه الحَوائج . وكذلك ما تقدَّم من ذكرِ أنه مما يُرتَبَط إذا كانت فيه الدوائرُ المذكورة فإنه تُقضَى عليه الحَوائجُ وإذا استُعمِل في الحرب كان صاحبُه مظفَّراً ولم يَرَ إلَّا خيراً .

وأَمَّا ما لا يُرتَبَط منها إذا كانت فيه الدوائرُ المكروهة أو بعضُها ـ فيما زعم جلٌّ المذكور ـ فهو ما كان على أسفل عَينيْه دائرةٌ أو على محجرهِ أو في

(1) الحَكمة (بفتح الحاء المهملة) : اللّجام .

خَدِّهِ أو في جَحفلته السفلى أو على ملتقَى لَحْيَيْه أو على سُرَّته أو في مُقَدَّم يدِه أو في أصلِ ذَنَبِه من الجانبين دائرتان أو على مَأْبِضه[1] دائرةٌ أو على مَنْخِرَيْه دائرتان فهذه الأعضاءُ المذكورةُ متى كان فيها دائرةٌ أو بعضُها دائرتان ـ كما تقدَّم ـ فإنه لا ينبغي لأحد أن يَرتَبِطَ دابةً بها شيءٌ منها.

وزَعَمَ جُلّ المذكورُ أنه يُستَحَبُّ منها ما كان في صدرِه أربعُ دوائر أو ثلاثُ دوائر أو شَعرٌ ملتفّ عَرْضاً وطولاً أو شَعرٌ مُلتقٍ .

وقال جُلّ أيضاً : إنَّه مَا كان من الدوابّ في جَبهته شَعَراتٌ سودٌ مخالفةٌ أو في بطنِه شَعرٌ منتشِرٌ أو كان في خُصْيَيْه وَبَرٌ أسودُ مخالفٌ لِلَوْنِهِ أو كان حين ينتج تُرى خِصْيَتُه ظاهرة فإنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يرتبِطَه .

بابٌ في معنى ما جاء عن النبي ﷺ من شُؤْمِ الخَيْل وكراهية شِكالها

هذا البابُ من الأبوابِ التي انفردْت بذكرها لتأكُّدِ أَمرِها ولم يتعرَّض المؤلِّفُ ـ رحمه الله ـ لها ولا تكلَّم في شأنها .

جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **الشُّؤم في الدارِ والمرأةِ والفرسِ ، وفي رواية : إنما الشُّؤم في ثلاثةٍ : الدارِ والمرأةِ والفرس .**

وقد اختلَف العلماءُ في معنى هذا الحديثِ ، فمن أهلِ العلم من حَمَلَه على ظاهرِه وذلك أنَّه قد يوجد الشُّؤمُ في الدارِ والمرأةِ والفرسِ وهو تكرُّرُ الأذى على ساكِن بعضِ الدورِ أو ناكحِ بعضِ النِّساءِ أو مُتَّخِـذِ بعضِ الخيلِ بقضاءِ الله وقَدَرِه على ما أخبَر به في كتابِه العزيز حيث يقول : « **ما أصابَ من مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسِكُمْ إلا في كتابٍ مِنْ قَبْلِ أن نَبْرأها** » .

(2) المأبِض : باطن الركبة والمرفق .

وقال بعضُ أهلِ العِلْمِ شؤمُ المرأةِ إذا كانت غيرَ ولودٍ وشؤمُ الفرسِ إذا لم يُغْزَ عليه وشؤمُ الدَّارِ ضَيْقُها وسوء جوارها .

وقال بعضُ أهلِ العِلم قد يكون الشؤمُ هنا على غيرِ المفهومِ منه من معنَى التطيُّرِ لكن بمعنى قلَّةِ الموافقة وسوءِ الطِّباع كما قال ﷺ : « **مِن سعادةِ ابنِ آدمَ ثلاثةٌ ومِن شَقْوَةِ ابنِ آدمَ ثلاثةٌ ، من سعادةِ ابنِ آدمَ : المرأةُ الصَّالحةُ ، والمسكَنُ الصالحُ ، والمركبُ الصالحُ ؛ ومن شَقْوةِ ابنِ آدمَ : المرأة السّوءُ ، والمسكَنُ السّوءُ ، والمركَب السّوء** » .

وسُئِلَ سالم بنُ عبدِ الله ـ رضي الله عنه ـ عن معنى هذا الحديثِ مع أنه قد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **البركَةُ في ثلاثٍ : في الفرسِ والمرأةِ والدارِ** ». فقال: قال النبي ﷺ: **إذا كان الفرسُ ضَروباً فهو مشئومٌ وإذا كانت المرأةُ قد عَرَفَتْ زَوجاً قبل زوجِها فحنَّت إلى زوجِها الأولِ فهيَ مشئومةٌ ، وإذا كانت الدارُ بعيدةً من المسجدِ لا يُسمَع فيها الآذانُ والإقامةُ ، فهي مشئومةٌ ، وإذا كُنَّ بغيرِ هذا الوصفِ فهنَّ مباركات** .
انتهى الكلام على معنى الحديثِ ويتعلَّقُ به سُؤالان :

السؤال الأول : أَنْ يُقالَ هذا الحديث ، وهو قوله ﷺ : « **الشؤمُ في المرأة والدارِ والفرسِ** إنْ حُمِلَ على ظَاهره، وهو مذهبُ مالك ـ رحمه الله ورضيَ عنه ـ فيعارضُه قولُـه ﷺ **لا عَدْوى ولا طِيرة** . . الحديث ، وكيفَ الجَمْعُ بينهما ؟

الجوابُ أنَّ قولَه ﷺ : « **لا عَدوى ولا طِيرة**» مما جاء بلفظ العُموم ، والمرادُ به الخُصوص ؛ وهذا الحديث ـ وهو قوله ﷺ الشؤمُ في الدارِ والمرأةِ والفرسِ مُخصِّصٌ له كأنَّه قال ﷺ : « لا عدوى ولا طيرةَ إلا في هذه الأشياءِ الثلاثةِ ، والعمومُ كثيراً ما يجيءُ والمرادُ به الخُصوص ، حسبما تقرَّر في علم الأصول ، كقوله ـ تعالى ـ في وَصْف ريح عادٍ « **تُدَمِّرُ كلَّ شَيءٍ بأمرِ ربِّهَا** »

فهذا ممَّا لفظُه لفظُ العُمومِ والمرادُ به الخصوصُ لأنها لم تُدَمِّرْ نفسَها ولا السمواتِ ولا الأرضَ ولا كثيراً من الموجوداتِ ، وإنما المُرادُ تُدَمِّرُ كلَّ شيءٍ سُلِّطتْ عليه ؛ وكذلك قولُه ـ تعالى : ﴿ **حُرِّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولَحمُ الخنزير** ﴾ (الآية) ؛ فالمَيْتَةُ مما جاء بلفظِ العمومِ والمرادُ به الخصوصُ بدليلِ جوازِ أكلِ ميتةِ البحرِ لقوله ﷺ حين سُئِلَ عن ماء البحر ـ فقال: « **هو الطهُورُ ماؤه الحِل مَيْتَتُهُ** » وكذلك الدَّمُ لفظُه عامٌ والمرادُ به التَّخصيص بما كان دماً مسفوحاً ، كما ورد في سورةِ الأنعامِ ، إذ لا خِلَاف في إباحةِ ما خَالَـطَ اللَّحمَ من الدم .

السُّؤال الثاني : أنْ يقالَ ما الحكمةُ في مَنْعِ الشريعةِ من التطيُّـرِ بخلافِ التفـاؤلِ فإنها أجازتْه واستحسنَتْهُ مع كونهما نَظيريْن في الاستدلالِ على أمُور الاستقبال أحدُهما باعتبارِ ما يُرجَى وهو [التفاؤل][1] والآخَرُ باعتبارِ ما يُخاف وهو التطيُّر.

والجواب عن ذلك من وجهين:

الوجهُ الأول : أن التفاؤلَ فيه حُسْنُ ظنٍّ بالله ـ عـزَّ وجلّ ـ وقد قال الله ـ تعالى ـ فيما رواه عنه نبيُّـه ﷺ « **أنا عندَ ظنِّ عبدي بي** » بخلافِ التطيُّرِ فإنَّ فيه سوءَ ظنٍّ بالله ـ عز وجلّ وشَتَّانَ ما بينَهما .

الوجه الثاني ـ أنَّ التفاؤلَ فيه تَنشيطٌ للإنسان وَتَقْوِيَةٌ له على ما هو بسبيلِه مما انصرفَ إليه غرضُه وتوجَّهَ نحوَه قَصدُه بخلافِ التطيُّر فإنَّه يَصرِف الإنسان عن مَقْصدِه ويردُّه عن معتَمَدِه فكأنَّ فيه معارضةً للقَضاءِ ومغالبةً للقَدَرِ فلذلك افترقَ حُكْمُ التطيُّرِ من حكمِ التفـاؤلِ ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

وجاء في الحَديث الصَّحيح عن رسولِ الله ﷺ **أنه كانَ يكرهُ الشِّكَال**

---

(1) التفاؤل : ساقطة في ب .

مِنَ **الخيل** ، وقد تقدَّم الكلامُ في معنى الشِّكال وأنَّ القولَ الصحيحَ أنه البياضُ الذي يكون بيدٍ ورِجْلٍ من خلافٍ قَلَّ أو كَثُرَ وهو الذي ذَكَرهُ أبو عبيدةَ وغيرهُ ، وكراهيتُه ﷺ للشِّكـالِ في الخيلِ يَحتمِلُ وجهَيْن :

الوجهَ الأوّلَ ـ أن تكونَ كراهيتُه له لشَبَهِ الفرسِ المتَّصِف به بالمُقَيَّدِ المشكولِ ، من خلافٍ ، الذي لا نهوضَ فيه .

الوجه الثاني ـ أن يكونَ هذا النوع قد جُرِّبَ فلم توجدْ فيه نجابةٌ ، وقيل إذا كان مع ذلك الوصفِ أغرَّ زالت الكراهَة .

بابُ أسماءِ الخيل الأعلام وفُحولها المشهورة

قلتُ إنَّ المؤلِّفَ ـ رحمه الله ـ احتفل في هذا البابِ فيما احتَشده وأطنب فيما أَوردَه من أسماءِ خيلِ العربِ والتعريفِ بها وتسميةِ أربابِها وهو مَحَلُّ الاحتفالِ واتساعِ المجالِ وإطنابِ المقال لاعتناءِ العرب بالخيلِ وأسمائها واهتمامِهم باختيارِها وانتقائها حَسَبما دَلَّت على ذلك أخبـارُهم ونَطقت به أشعارُهم .

لكنَّا نرى أن نُقَدِّمَ قبلَ ذِكْرِنا أسماءَ خيلِ العرب ما في حفظنا وعلى ذِكْرِنا من أسماءِ خيلِ رسول الله ﷺ تَبَرُّكاً بذكِرها وتَيَمُّناً بتَقْديمها.

فقد كان لِرسولِ الله ﷺ عِدَّةٌ من الخيلِ وكان لكلٍّ واحدٍ منهما اسمٌ يَخُصُّهُ في نفسه ويتميَّزُ به عن أبناءِ جنسِه ، ونحن ـ بحول الله ـ نذكرُ من أسماءِ خيلِه ﷺ ما نَعْرفه مع بيان اشتقاقها والحكمةِ في تسميتِها .

فمن خَيْله ﷺ **السَّكْبُ** ، وهو أوَّلُ فرسٍ تَمَلَّكَه ﷺ اشتراه بالمدينةِ مِنْ رَجُلٍ من فَزارة بعَشْر أواقٍ من الفضَّةِ وكانَ اسمُه عند مالِكه قبلَ ذلك **الضَّرِسَ** فسمَّاه رسولُ الله ﷺ **السَّكب** ، لأنه ﷺ كان يُحِبُّ الحَسَنَ من الأسماءِ وَيَكْره القَبيحَ منها ، كما قال ﷺ : « **يُعجِبُني الفَالُ الكلمةُ الحسنةُ** »

وذلك لأنَّ الضَّرِسَ في اللُّغة هو الصَّعبُ السّيءُ الخُلُقِ ، والسَّكب من الخيلِ هو السريعُ الجَريِ الخفيــفُ شُبِّهَ بفَيْض الماءِ وانسكابه .

وكان السَّكْب فيما ذكَر بعضُ أهْلِ العلمِ كُمَيتاً أَغَرَّ محجَّلاً مُطلَقَ اليُمنَى.

وقد رُويَ عن رسولِ الله ﷺ الحَضُّ على اختيارِ هذا الوصفِ المبارَكِ والتَّيمُّنِ به حيث قال ﷺ: **«إذا أردتَّ أن تَغزوَ فاشترِ فرساً أغرَّ محجَّلاً مُطلقَ اليُمنى فإنَّكَ تَسلَمُ وتَغْنَم»**.

ومنْ خيلِه ﷺ **سَبْحة** : وهي فرسٌ شَقراءُ اشتراها مِنْ أعرابي من جُهَيْنَةَ بِعَشْرٍ مِنَ الإبلِ ، وكان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ الخيلَ الشُّقرَ ويُثني عليها ، كقوله : ﷺ **« خَيْرُ الخيلِ الشُّقْر »** وكقوله ﷺ : **« يُمْنُ الخيلِ في شُقْرِها »** إلى غير ذلك حَسَبما تقدَّم ، وسُمِّيت سَبْحَة من قولهم فرسٌ سَابِحٌ : إذا كان حَسَنَ اليديْن في الجَرْيِ ، وسَبْحُ الفرسِ : جَرْيُه .

ومِنْ خيلِه ﷺ: **المُرتَجِز** ؛ قال بعضُ العلماءِ إنَّما سُمِّيَ المرتجِـز لحُسن صَهيلِه وهو مأخوذٌ من الرَّجَز الذي هو ضَرب من الشِّعر ، يقالُ : رَجَزَ الراجِزُ وارتَجَزَ.

ومن خيلِه ﷺ فرسٌ يُسمَّى **البَحْرُ** ، وكان قد اشتراه من بعضِ التُّجارِ القادمين من اليَمن فَسَبَقَ مَرَّاتٍ فَجَثا رسولُ الله ﷺ على رُكبتَيْه ومَسَحَ وجْهَه وقال: **ما أنتَ إلا بَحْرٌ**، فَسُمِّيَ بحراً تشبيهاً بالبَحْرِ الذي لا ينقطِعُ ماؤه كما أنَّ ذلك الفرسَ لا ينقطع جَريُه.

وَمنْ خيلِه ﷺ فيما قاله بعضُ العلماءِ ـ **ذو اللِّمَّة** ، واللِّمَّـةُ : هو الشَّعرُ الذي يُلمُّ بالمَنْكِبين ، وذلك أنَّ الشّعرَ عند العربِ إذا وصلَ إلى شحمةِ الأُذنِ فهو وَفْرَةٌ ، فإذا زاد على ذلك حتى يُلِمَّ بالمَنكِبيْن فهو لِمَّة ، فإذا زاد عَلى ذلك فهو جُمَّة .

وَمنْ خيلِه ﷺ ـ فيما قاله بعضُ العلماءِ ـ فرسٌ يقال لـه **اللحيف**

وسُمِّيَ اللَّحيفَ لطولِ ذَنَبِه كأنَّه يَلحَفُ الأرضَ بذَنَبِه من أجلِ طوله ، وقيلَ : سُمِّيَ اللَّحيفَ من قولِك لَحفتُ الفرسَ وأَلحفتُه إذا جَلَّلْتَه لِحافاً ، وكان أهداه له فَروةُ بنُ عَمْرو منْ أرضِ البلقاء ، وقيلَ أَهداه له ابنُ أبي البَراء .

ومن خيلِه ﷺ فرسٌ يقال له : **لَزاز** ، يقال إنَّ المقوقِسَ ملكَ مِصْر أهداه إيَّاه، وسُمِّيَ باللّزاز لتلزُّزِ خَلْقِه وشِدَّتِه من قولك رَجُلٌ مُلَزَّزٌ : أيْ شديدُ الخَلْقِ مُنْضَمٌ بعضُه إلى بعض .

ومن خَيلِه ﷺ فرسٌ يقال لَه : **الظَّرِبُ** ، والظَّرِبُ في أصلِ اللغة : هو واحدُ الظِّراب ، وهي الروابي الصِّغارُ ، سُمِّيَ الفرسُ بذلك لِقُوتِهِ وصَلابةِ حَوافره ، وقيل سُمِّيَ بذلك لِكبرِه وسِمَنِه .

وَمِنْ خيلِه ﷺ فرسٌ يقال له : **الوَرْد** ، وسُمِّيَ بالوَرد لمكانِ لونِه ، وكان هذا الفرسُ لتَميمٍ الدَّاري - رضيَ الله عنه - فأهداه إلى رسول الله ﷺ فأعطاهُ رسولُ الله ﷺ عُمرَ بنَ الخَطّابِ - رضي الله عنه - فَحَملَ عليه عُمَرُ رجلاً في سبيلِ الله .

ومِنْ خيلِه ﷺ فيما قاله بعض العلماء **اليَعسوب** : على التَّشبيه بطائرٍ يُسَمَّى اليَعسوب ، وهو أعظَمُ من الجَرادةِ لا يَضُمُّ جناحَيْه إذا وقَعَ ، واليعسوبِ أيضاً أمير النَّحلِ ومنه يقال للسيدِ يعسوبُ قَوْمِه، وبالأَوَّلِ وقع التشبيهُ والتَّسمية .

ومِنْ خيلِه ﷺ **اليَعبوب** : وهو مشتقٌّ من عُبَابِ الماءِ ، سُمِّيَ بذلك لجَرْيه كما اشْتُقَّ السَّكبُ من انسكاب الماء .

ومِنْ خَيلِه ﷺ فرسٌ يقال له : **المِرواح**، أهداه بعضُ العربِ القادمين عليه من مَدحِج ، واشتقاقُه مِنَ الريح ، سُمِّيَ بذلك لسُرعتِه كالريح ، أو يكون مشتَقّاً من الرَّوْحِ وهو السَّعَة لتَوَسُّعِهِ في الجَريِ ، أو يكونُ مشتقّاً من الراحةِ لأنَّه يُستراح به أو من قولِهم راحَ الفرسُ يَراحُ راحةً إذا تَحصَّن أي صار فَحلاً .

وإذا[1] ذكرنا ما على حفظنا من مراكبِ رسول الله ﷺ من الخيلِ فلنذكُر ما على حفظِنا من مراكِبه ﷺ من البغال فنقول : من مراكبِه ﷺ من البِغال بَغْلَةٌ اسمها فِضَّة أهداها له فروةُ بنُ عَمْرو الجذامي فوهبها رسول الله ﷺ لأبِي بكرٍ الصَّديقِ ـ رضي الله عنه ـ.

ومِنْ مراكِبه ـ ﷺ من البغالِ بغلةٌ يقال لها : **الأيْلِيَّة** أهداها إليه ملكُ أيْلَة ، وكانت طويلةً حَسنةَ السَّيرِ فأعجبتْه وهي التي قال له فيها عليٌّ بنُ أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ حين خرج عليها : كأنَّ هذه البغلةَ قد أعجبتْك يا رسولَ الله ، قال نعم ، قال : لو شئتَ لكان لك مِثْلُها ، قال : وكيف ؟ قال : هذه أمُّها فَرسٌ عربية وأبوها حِمارٌ ولو أنْزَيْنَا[1] حِماراً على فَرسٍ لجاءت بمثلِ هذه ، قال: **إنَّما يفعلُ ذلك الذين لا يَعلمون** .

وكذلك رُوِيَ عَن دِحْية بنِ خليفة الكَلْبي أنه قال: قلتُ يا رسولَ الله ألا أحملُ لك حماراً على فرسٍ فَتُنْتَجُ لك بَغْلة فقال ﷺ **إنما يفعل ذلك الذين لا يعقلون** .

ومن مراكبه ﷺ من البِغال بغلتُه الشهيرةُ التي تُسمَّى **دُلْدُل** أهداها له المُقوقسُ ملكُ الإسكندرية لما بَعث إليه رسولُ الله ﷺ رَسُولَه حَاطِبَ ابنَ أبي بَلْتعة بكتابٍ منه يدعوه إلى الإسلام ، وذلك أنَّ النبي ﷺ في سنةِ ستٍّ من هِجْرته إلى المدينة اتَّخذَ خاتَماً من فِضَّة فَصُّه منه نَقْشُهُ «محمد رسول الله» في ثلاثةِ أَسطُرٍ وخَتَم به كُتبه ووجَّه بها رُسلَه إلى ملوكِ الأرض يدعوهم إلى الإسلام فخرج ستَّةُ نَفَرٍ من أصحابه ﷺ إلى ستَّةٍ مِن الملوكِ في يومٍ واحد .

فبعث عَمْرَو بنَ أمية الضمري إلى النَّجاشي ملكِ الحَبشة وبعث دِحيةَ ابنَ خليفةَ الكلْبي إلى هِرَقْلَ ملكِ الروم .

---

(1) كذا في النسختين .

(2) أنزى من نزا الفحل ينزو نزواً بمعنى وثب على الأنثى.

وبعث عبدَ الله بنَ حُذَافة السَّهمي إلى كسرى ملكِ الفُرْس وبعث شُجَاع[1] بنَ وهبٍ الأسدي إلى الحارِث بن شمر الغَسَّاني ملك دِمشق .

وبعث سليط بنَ عَمروٍ العامـري الى هوذة بن علي الحنفي ملكِ اليمـامـة ، وبعث حـاطبَ بنَ أبي بَلتعـة اللَّخمي الى المُقَـوقِس ملكِ الاسكندرية .

فلما وصلَ حاطبُ بنُ أبي بلتعة إل المقوقس دَفَعَ إليه كتابَ رسول الله ﷺ فقرأَه وقال له خيراً ، وأَخَذَ الكتابَ فجعلَه في حُقٍّ من عاجٍ وخَتَمَ عليه ودفعه الى جاريتِه وكتب إلى النَّبي ﷺ كتاباً فيه : « قَدْ عَلِمتُ أنَّ نبياً قد بقي وكنتُ أظُنُّ أنه يخرُج بالشَّام ، وقد أكرمتُ رسولَك ووجَّهتُ إليـك بجاريتين لهما مكانٌ في القِبْطِ عظيمٌ وقد أهديتُ لك كِسوةً وبَغلةً تركبها » فقَبل رسول الله ﷺ هَديته ؛ والجاريتان اللتان ذكرهما إحداهما ماريةُ سَريَّةُ رسول الله ﷺ وهي أمُّ إبراهيمَ ابن رسول الله ﷺ، وكان قد تُوفِّيَ طفلاً، والجارية الثانية اسمها سيرين أهداها رسولُ الله ﷺ لَمَّا أُهديتْ له لحسَّان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ فَتَسَرَّاها حَسَّانُ بن ثابت وهي أمُّ ولـده عبد الرحمن .

وأما البغلة فكانت بيضاء ولم يكن في العرب يومئذٍ غيرها .

وكانَ لرسولِ الله ﷺ من النُّوقِ **العَضباءُ والقصواءُ** ومروة .

وعلى ذِكْرِ خَيله ﷺ وبغالِه وإبِلِه فإنّي أذكر بحول الله ، ما على حفظي مما كان له ﷺ من السِّلاح وآلاتِ الحرب تتميماً للفوائد وتكميلاً للمقاصد .

فأقول :

كان لرسول الله ﷺ ثمانيةُ أسيافٍ : سَيْفٌ يُسمَّى : **العَضب** ، أهداه له

---

(1) في ب : شعاع .

سيدُ الخزرج سعدُ بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ ، وسيفٌ ثانٍ يُسمَّى : **ذا الفقار** ، استفاده ﷺ يومَ بدْرٍ ، وسيفٌ ثالثُ يُسمَّى : **البَتَّار** ، وسيف رابع يُسمى **النحيف** ، وسيف خامس يسمى : **المِخْذَم** ، وسيف سادسٌ يسمى : **الرّسُوب** ، وسيفٌ سابعٌ استفاده ﷺ من سلاح ابن قُنَيْقاع لا أعرفُ له اسماً ، وسيفٌ ثامنٌ وَرِثَه ﷺ عن أبيه ولا أذكر أيضاً لهذا السيفِ اسماً .

وكان له ﷺ أربعةُ أرماح : رُمْحٌ يقال له : **المُثَنَّى** أو **المتَثَنِّي** ، وثلاثةُ أرماحٍ استفادها من سلاحِ بني قَنيقاع لا أذكرُ لها اسماً .

وكان له ﷺ من القِسِيِّ أربعٌ : قوسٌ من عـودِ الشَّوحَط تُسمَّى : **الرَّوحاء** . وقوسٌ ثانية من شوحطٍ أيضاً تسمى : **البيضاء** ، وقوسٌ ثالثة من نَبعٍ تسمَّى : **الصفراء** ، وقوسٌ رابعةٌ تسمى : **الكَتوم** لا أعرف الآنَ عودَها .

وكان له من الدُّروع دِرْعٌ تسمَّى : **ذاتَ الفضول** ، ودرعان أصابهما ﷺ من بني قنْيقاع، ويقال كانت عنده درعٌ رابعة كانت درعَ داوود ، عليه السلام ، التي لَبِسها لمَّا قَتَل جالوت .

فَصْلٌ :

أَقولُ: مِمَّا ينبغي تقديمُه أيضاً قبلَ ذِكْرِ أسماءِ خيل العربِ ما اتَّصلَ بحفظي من أسماءِ خيلِ الملائكة مِمَّا ذكره أهلُ العلم رضوان الله عليهم .

فمن ذلك : **حيزوم** ، ذكر ابنُ اسحاق من حديثِ ابن عبَّاس ـ رضي الله عنه ـ يَحكي عن يوم بَدْر قال : حدَّثني رجلٌ من غِفار ، قال : أقبلتُ أنا وابن عَمَّ لي حتَّى أَصْعدْنا في جَبلٍ يُشرف على بَدْر ونحن مُشركان نَنْظر إلى الوَقْعة على من تكونُ الدَّبْرَة[1] فنَنْتَهِب ما يُنتَهَب ، قال : فبينما نحنُ في الجَبلِ إذْ دَنَت منا سحابةٌ فسمعنا فيهـا حَمْحَمةَ الخيل فسمعتُ قائلاً يقول :

---

(1) في ب : ننتظِرُ الوقْعَة : والدَّبرة : الهزيمة في الحرب .

أقدَمَ حَيْزوم ، فأمَّا ابنُ عمّي فانكشفَ قِناعُ قلبه فماتَ مَكَانَه وأمَّا أنا فكدْتُ أنْ أهْلِكَ ثمَّ تَماسكتُ .

ومن ذلك **فرسُ الحياة** ، وهو فرسُ جِبريلَ ـ عليه السلام ـ وسُمِّيَ بفرسِ الحياة لأنَه لا يُصيب شيئاً إلاَّ حَيِيَ ، وهو الذي قَبَضَ السامريُّ قبضةً من ترابِ مَوْطِئـهِ فألقاها على حَلْـيِ القوم فصارَ عِجْلاً له خُوَارٌ ، وهو معنَى قوله تعالى ، حكايةً عن السَّامري ﴿ **فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذْتُها وكذلك سَوَّلَت لي نفسي** ﴾ .

تقديرُ هذا الكلام : فَقبضْتُ قبضةً من ترابِ أثرِ حافرِ فَرَسِ الرسولِ ، يعنِي بالفرسِ : فرسَ الحَياة وهو فرسُ جبريل ، ويعني بالرسولِ جبريلَ ـ عليه السلام ـ لأن الله أرسلَه إلى الأرض وذلك أنَّ السامريَّ كان قد أطْلَع[1] على جبريل حين نزل الى الأرض فأخذ من موْطيء فرسِه قبضةً من ترابٍ وألقى الله في نفسه أنَّه إذا جَعَلها على شيءٍ مَواتٍ صارَ حيواناً فألقاها على الحَلْيِ فصار عِجْلاً له خُوار ، فحَمَل السامريّ بني إسرائيـل على عبادة ذلك العِجل لما قضاهُ الله ـ عز وجل ـ عليهم من الفِتنةِ بذلك،عَصَمَنا الله من عوارض الفِتَن وطوارق المِحَن بِمنّه .

فائدة :

كانَ هذا السامريُّ رَجلاً من بني إسرائيل ، ويقالُ إنه ابنُ خالِ موسى عليه السلام ، وقيل لم يكن منهم ، وهو مَنْسُوبٌ الى قريةٍ بمصر يُقال لها سَامِرَة ، وكان مُنافقاً ساحراً .

وإذْ ذَكَرنا ما استَحْضَرنا من خيلِ النبيِّ ﷺ ومن خيلِ الملائكة ـ عليهم السلام ـ فَلْنَرْجِعْ إلى ما ذَكَرَهُ المؤلِّفُ من أسماء خيلِ العرب .

---

(1) أطلعَ ، معناه هنا : أَقْبَلَ وأشرف ، وقد يكون المراد : اطَّلَع (بتشديد الطاء) ، والمعنى وَاحِد .

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ أَقْدَمُ فحولِ خيلِ العَربِ المشهورةِ وأَصْلُ نَتاجها كان من زادِ الرَّكْب ، فيما ذكره محمَّدُ بنُ السَّائبِ ، قال : وكان زادُ الركْب[1] من الصَّافِنات الجِيادِ المعروضة على سليمانَ بنِ داوود ـ عليهما السلام ـ وكان يُحَدِّث أنَّ الصافناتِ الجيادَ المذكورةَ في القرآنِ كانت أَلْفَ فرسٍ وَرِثَها سليمانُ عن أبيه فلَمَّا عُرضَت عليه أَلْهَتْهُ عَن صلاةِ العَصرِ حتَّى توارتِ الشمسُ بالحِجاب فَعَرْقَبها[2] إلا أفراساً مائةً لم تُعرَض عليه منها فوفَدَ على سليمان قومٌ من الأَزْدِ كانوا أصهارَه ، فلمَّا فَرغوا من حَوائجهم قالوا : يا نبيَّ الله إنَّ أرضَنا واسعةٌ فَزَوِّدْنا زاداً يُبْلِغُنا فأعطاهم فَرساً من تلك الخَيلِ وقال : إذا نزلتم منزلاً فاحمِلوا عليه غُلامـاً منكم واحتطبوا فإنكم لا تُورون نارَكم حتَّى يأتيَكم بطعامٍ ، فساروا بالفَرسِ وكانوا لا ينزلون منزلاً إلا ركبَه أحدُهم يتقنَّص فلا يُفلِتُ منه شيءٌ تقع عينُه عليه من ظَبيٍ أو بَقَرةٍ أو حمارٍ إلى أن قَدِموا بلادَهم[3] .

قلتُ : أنكرَ بعضُ العلماءِ ما تضمَّنَتْه هذه القِصَّةُ التي ذَكَرها المؤلِّـف ـ رحمه الله ـ عن سليمانَ عليه السلام من أنَّه تَشاغلَ بالنظرِ إلى الخَيلِ حتى توارت الشمسُ بالحجابِ وفاتَتْه صلاةُ العصر ، وقال : ذلك لا يَصِحُّ لأنَّ تفويتَ الصلاةِ لا يَفعلُه سليمانُ ـ عليه السلام ـ وعَقْرُ الخيلِ لغيرِ فائدةٍ لا يجوز فكيف يَفعلُه سليمانُ ـ عليه السلام ـ؟ .

والجوابُ عندي عن ذلك أنْ يقال : أما تفويتُ الصلاةِ فإنما يكونُ ذلك ذنباً إذا كان ذلك عن تَعَمُّدٍ وقَصْدٍ ، وأمَّا إذا كان ذلك عن نِسيانٍ أو نوم فإنَّه لا ذنبَ فيه ألا ترى أن نبيَّنا ﷺ وسـلم يقول : « **مَنْ نامَ عن صلاةٍ أو**

---

(1) وقد سَمّاه ابن الكلبي : زَاد الرّاكب (انظر أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام ، ص 14).

(2) عرقَبَ الدابة : قطع عروقها .

(3) حَدَّث ابن الكلبي بحديث كهذا ، مع اختلاف في اللفظ وتفاوت في التفاصيل (انظر أنساب الخيل ، ص 11 -12).

نَسِيَها فَلْيُصَلِّهَا إذا ذكَرها فذلك وقتُها» فسليمان ـ عليه السلام ـ إنّما كان ذلك منه عن نسيانٍ ، والنسيانُ موكَلٌ بالإنسانِ وهو خارجٌ عن باب الاختيار داخلٌ في حُكْم الاضطرار ، فَنَسِيَ سليمانُ ـ عليه السلام ـ عبادةً بعبادة وشَغَلَتْه قُربَةٌ عن قُربةٍ لأنَّ عَرضَ الخيل وتأملَهَا تأهباً للجهاد في سبيلِ الله واستعداداً لقتالِ أعداءِ الله من أفضلِ القُرباتِ وأعظمِ العبادات .

وأما عَقْرُ الخيلِ فقد قال بعضُ العلماءِ إنَّما عَقرها ليأكلَها الناسُ وكان زمان مجاعةٍ فعَقرها تقرُّباً إلى الله ـ عز وجل ـ على أنَّ بعض العلماءِ قال : لم تَفُتْهُ صلاةٌ ولا عَقرَ الخيلَ بل كان يُصلي فَعُرِضت عليه الخيلُ فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصْطبلاتها وهذا معنى قولِه ـ تعالى ـ **حتى توارت بالحجاب** أو حتى دخلت الخيلُ في اصطبلاتِها على هذا القول ، فلما فرغَ سليمانُ من الصلاةِ قال رُدُّوها عليَّ فطفِقَ يمسَح عليها بيده كرامةً لها ومحَبَّة .

وقيل إنَّ المسحَ عليها كان وسماً في سُوقِها وأعناقِها بوَسْمِ حُبُسٍ في سبل الله .

رَجْعُ الكلامِ الى قولِ المؤلف .

قال ـ رحمه الله ـ قد مَدَحتِ الشعراءُ الخيلَ بمعنى قولِ سُليمان ـ عليه السلام ـ يعني قولَه: إذا نزلتُم منزلاً فاحملوا عليه غُلاماً منكم واحتَطِبوا فإنكم لا تُورون نارَكم حتى يأتيكم بطعامٍ ، فقال عَدِيُّ بنُ زيد :

يستخفُّون بك[1] أزوادَهم ثقةً بالمُهْر من غَيْرِ عدم

وقال امْرُؤُ القَيْس:

إذا ما ركبنا قال وِلْدانُ أهلِنا تعالَوْا إلى أن يأتي الظبي نَحطِبُ

ولَمَّا قَدِمَ القومُ المذكورون بلادَهم بالفُرس أرادوا تسميتَه ، على عادةِ

---

(1) في أ : بلا .

العرب في تَسْميةِ ما كانوا يألَفونه ويعتنون به من خيلهِم وإبلِهم ، فقالوا : ما لفرسِنا هذا اسمٌ نُسمِّيه به إلا زاد الرَّكب فَسَمَّوْه زاد الرَّكْب وإيَّاهُ عَنَى الشاعرُ بقوله :

فَلَما رأوا ما قد أرَتْهُم[1]شهودُه تَنَادَوْا :ألَا هذا الجوادُ المؤمَّلُ
أبوه ابنُ «زادِ الرَّكْبِ»وهو ابنُ أُختِه مُعِمٌّ لعَمري في الجِياد ومُخْوِلُ[2]

فأصولُ خَيلِ العَرب من نَتاجِه ويقالُ إنَّ أَعْوَجَ من نَسلِه ، ويقال إنَّ أعوجَ هو فرسُ إسماعيلَ ذي الأعوج ، واسماعيلُ ذو الأعوج مذكورٌ فيما بينَ عَدنان واسماعيلَ النبيِّ ـ عليه السلام ـ من الآباء فيما ذكره أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرٍ الطَّبري وإليه تُنسَبُ الخيلُ الأعْوَجية.

وقال: إن أعوجَ كان لِمَلِكٍ من ملوكِ كِنْدَة؛ وقال الأصمعي : كان أعوجُ لبني آكِلِ المُرَارِ من كندة فغزَوا بني سُلَيْم يوم علاف فَهَزمهم بنو سُلَيْم وأخذوا أعوجَ فصار عندَهم ثمَّ انتقلَ إلى بني هِلالِ بن عامر .

وحُكِيَ عن الأصمعي أنَّهما أعْوجَان : فالأكبر منهما لغني ، وقيل إنَّ أعوج رُكِبَ صغيراً فاعْوَجَّت قوائمه فَسُمِّيَ أعوجَ لذلك، ويقال إنَّ أعوجَ نَتَجَتْه أمُّه وتَحَمَّلَ أصحابَه فحملوه في الكُرْزِ [فقيل لهم ما تصنعون؟ فقال أحدهم: رُبَّ شَدٍّ في الكُرْزِ][3] يعني عدوه فذهبت مثلاً ؛ وقيلَ إنَّ أعوجَ أُنْتِجته أُمُّه ببعضِ بيوتِ الحيِّ فنظروا إلى طِرفٍ يَضعُ جَحْفلتَه على كاذةِ الأم أيْ على فخذِها مما يلي الحَياء ، فقالوا : أدركوا ذلك الفرسَ لا ينْـزو فَرَسكم ، ظَنُّوه فرساً كبيراً لا مُهْراً، وذلك لِعِظَمِهِ وطولِ قوائمه، فقامُوا إليه فإذا هم بالمُهْرِ كما نَتَجَتْه أمُّه فسمَّوهُ أعوجَ لذلك.

---

(1) في أ : رأتهم .
(2) مُعِمٌّ: كثير الأعمام ، ومخْوِل : ذو أخْوَال .
(3) جملة ساقطة في ب . ومعنى الكُرْز : الجُوَالق ، وهو وعَاء كالغرارة .

وقال الأصمعي : أُغِيرَ يوماً على أهل النِّسار وأعوجُ موثَقٌ بثُمامة فجال صاحبُه في مَتْنِه ثم زَجَره فاقتلعَ الثُّمامةَ فخرجت تخبُّ وراءَه كالخُذروف فعدا بها بياض يومِه فأمسى يتعشَّى جَميمها، ولَما صار لبني هِلال فحلاً أنجبَ في نسلِه وأَجَاد وانتشرت منه الخيلُ العتيقة في العَرب فليس في العرب فحلٌ أشهرُ اسماً ولا أكثَرُ نسلاً ولا أنجبُ نجلاً ولا أَجْرى ذكراً في أشعارِهم منه.

وقال الأصمعي : **سَبَلٌ** اسمُ فَرسٍ مُنْجِبَةٍ في العِراب وهي أمُّ **أعوج** وكانت **لِغَنيّ** ؛ وقيل إنَّ أمَّ **أعْوج** اسمُها سَوادَة ، **وَسَبَلٌ** هو أبوه وفيهِ قيل :

إن الجَوادَ بنَ الجواد بن «سَبَـلْ»   إنْ دَيَّموا[1] جادَ وإن جـادوا وَبَلْ

وقيل إنَّ **سَبَلاً** كان لبني جَعْدَة وكان فرساً عتيقاً تُنسَب إليه الخيلُ العِتَاق كما تُنسَب إلى **أعوجَ** وغيرِه ، وكذلك **الفَيَّاضُ** وقد ذكرهما الجَعْدي في قَوله :

وعنـاجيـجُ[2] جِيـادُ نُجُـبٌ   نَجْـلُ «فيّاضٍ» ومن آل «سَبَـلْ»

ومن الفحولِ المشهورة من نسل **أَعْوَج الغُرابُ والوَجيه ولاحقٌ والمُذْهَبُ ومَكتوم**، وكُنَّ لِغَنِيّ بنِ أعصُرَ وفيهن يقول طُفَيْل الغَنَوي:

جنبنا من الأعراف أعراف عَمْرةٍ   وأعراف لبني الخيلِ يا بُعْدَ مُجنِبِ
وِراداً وحُـوّاً مشـرِفٌ حَجباتُهـا   بنـاتُ حِصانٍ قد تُعولِم مُنْجِبِ
بناتُ «الغرابِ» و«الوجيهِ»و«لاحقٍ»   «وأعـوجَ» تَنْمى نِسبةَ المُتَنَسِّبِ

وقال طفيل أيضاً :

وخيلُك أمثـالُ السـراج مَصـونـةٌ   ذخائرُ ما أبقى «الغُرابُ» و«مذهَبُ»
عَناجِيجُ من آلِ «الوجيهِ» و«لاحِقٍ»   مغـاويـرُ فيهـا لـلأميـرِ مُعقَّبُ

(1) في ب : داموا ، وهو تصحيف .
(2) العناجِيجُ (جمع عُنجوج) : وهو الفرس الرائع أو الطَّويلُ من الخَيْل .

والحَرُون فَرسٌ نجيب قديمٌ كان لباهِلة ،وفي ذِكْرِه قال ذُو الرُّمة :

حَـرونيـة الأنسـابِ أو أعـوجيـةٌ   عليهـا من القَهرِ المـلاء النَّواصِـعُ

وذو **الصُّوفة** بنُ أعوجَ فرس مشهورٌ من نسلِه **الحرونُ** فَرَسُ أبي صَالحٍ مُسلِمٍ بنِ عَمْرو الباهلي والدِ قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلم الذي يقول فيه الشَّاعر :

إذا مـا قُـرَيْشٌ خـلا مُـلكُـهـا   فـإنَّ الـخِـلافـةَ فـي بـاهِـلَهْ
لِـرَبِّ «الحَـرون» أبِي صـالـحٍ   ومـا تـلك بـالـسنَّـةِ الـعـادلـةْ

وقال الأصمعي : هو الحَرون بن الأثافي بنُ الحرن بن ذي الصوفة ابن أَعوج ، قال وكان الحَرُون يَسبِق الخيلَ ثُمَّ يَحْرُن حَتَّى تَلْحَقَه فإذا لَحِقَتْه سَبَقها ولذلك سُمِّيَ الحَرون ، وقيل : كانَ الحرونُ فرسَ عُقبة بـن مدلج .

وقال الأَصمعي : **والذائدُ** اسم فرسٍ نجيبٍ جداً من نسلِ الحَرون وهو الذَّائد بنُ البُطَين بن المِبطان بن الحَرون : **وعيلان** ـ في قول بعضِهم ـ اسمُ فرسٍ كانَ لِقَيْس عَيْلان غَلَبَ على اسمِه وعُرِفَ به كما عُرِف قيس كُبَّة من بَجيلة بفرسٍ كان لَهُ اسمُه كُبَّة ، وكان هو وقَيس عَيْلان متجاورِيْن فكان إذا ذُكِرَ أحدهما قيل : أيُّ القَيسيْن هو ، قيسُ عيلان أو قيس كُبَّة ؟ فَجَرَتْ عليهما وعُرِفا بذلك .

وخَصَاف اسم فرسٍ جاء فيه من المَثَلِ قولُهم : **أَجْرأ من فارس خَصاف وأجرأُ من خاصي خَصاف** .

فأما فارس خَصاف فإنه كان رجلاً من غَسَّان أَجْبَنَ أهلِ زمانه فكان يقفُ في أخريات الناس ويكون أوَّلَ منهزِمٍ وكان فَرسُه لا يُجارى ، فبينما هو ذات يومٍ واقفٌ إذ جاء سَهْم فسقط في الأرض مُرتَزّاً بين يديه فجعل يهتَزُّ ، فقال ما يهتَزُّ هذا السَّهمُ إلاَّ وقد وَقَعَ بشيءٍ ، فنزل وكَشَفَ عنه فاذا هو في ظَهْر يربوع ، فقال : أَترى هذا اليربوعَ ظَنَّ أنَّ هذا السهمَ يُصيبه في هذا



فارسان على صَهوة جوادين: أبيض وأدهم

من مخطوطة «كتاب البيطرة» لأحمد بن حسين بن الأحنف (606هـ/ 1210م)؛ مكتبة طوبقوسراي بتركيا.

الموضِع ؟ **لا الانسانُ شيءُ ولا اليَربوعُ** ، فذهبت كلمتُه مثلاً ، واستَقْدَم بعدُ فكان من أشدِّ الناسِ وأَجْرئهم ، هذا قول محمَّد بنِ حبيب .

وزعمَ ابنُ الأعرابي أنَّ أصلَ هـذا المَثَلِ أنَّ جُنْـدَ مَلِكٍ من ملوكِ الفُرس غَزَوْهُم وكـان عندَهم أنَّ جُنْـدَ الملكِ لا يمـوتـون فشـدَّ فارسُ خَصاف على فارسٍ منهم فطعَنَه فخرَّ صريعاً ورجعَ إلى أصحابِه فقال : ويْلكم ، القومُ أمثالُكم يموتون كما تموتون فتعالَوْا نُقارعُهم ، فشدّوا عليهم فهزموهم ، فَضُرِبَ بفارسِ خَصاف المثلُ في الجُرأة لإقدامِه على قِراع جُنْد المَلِك ، فأمَّا قولُهم أجرأُ من خَاصي خَصاف فإنَّه رجلٌ من باهلة كان له فرسٌ اسمُه خَصاف فطلبه منه بعضُ الملوك للفِحْلَة فَخَصَاه .

وأَخْدَر فحلٌ قَديمٌ وتُنسب إليه حُمُرُ الوَحْش ؛ قال الأصمعي : يقالُ إنَّ **أخْدَر** فَحْلٌ من عِرابِ الخيلِ أفلت قديماً وتوحَّشَ فَضَرب في الحميرِ الوحْشية ؛ **والأخْدريةُ** من الخيل منسوبةٌ إليه ، وقال الجاحظ في كتاب الحيوان إنَّ أَخدر فرسٌ كان لأَرْدَشير بن بابك فَتوحَّش وحمَى عِدَّة عانات[1] بناحية كَاظمة فضرب فيها فإليه تُنْسبُ الحُمُرُ الأَخدرية ، وفي ذِكره قال أبو العلاء المعرّي يصفُ القصر :

ونَسيتُ مـا صنـع الهـوى بِتَنُـوفـةٍ   عَقُمَ «الجديلُ» بها وأَعقَب «أَخْدرُ»

أراد أنَّها فَلاَةٌ لا يألَفها إلاَّ حُمُرُ الوحشِ وليست مِنْ مَوَاطِنِ الإبل التي لا تكون إلاَّ حيث يكون النَّاس ، ولذلك جعل « الجديل » فيهـا عَقيماً و« أَخْدَرَ» ذا نَسْلٍ ، **والجديلُ** فَحْلٌ مُنْجِبٌ ، تُنسب إليه الإبل الكَريمة .

والضُّبَيْبُ اسمُ فَرسٍ مُنْجِبٍ في العِراب كانَ لحسَّانِ بن حنظلة ابنِ

(1) العانة : القطيع من حُمُر الوَحْش . جاء في كتاب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون 1 :139 في معرض الكلام على الحمر الوحشية : « وإنما هي من نتاج الأخدر ، فرس كان لأزدشير بن بابك حمارٌ وحشيٌّ ، فحمَى عدة عاناتٍ فضربَ فيها» .

أبي رَهم الطائي فارس الضُّبَيْب ، فيما ذَكَرهُ ابنُ الكلبي ، وقال غيرُه كان فارسُ الضُّبَيْب قد حَضَرَ مع بعض ملوكِ الفُرس حَرْباً هُزِمَ فيها ذلك الملكُ وقَصَّرَ به فرسُه في الجَرْي فحَمَلَهُ حَسَّان علي الضُّبيْب فَعَرَفَ له الملكُ ذلك وأقطعه مواضعَ بالسَّوادِ ثم صار فحلاً تُنسَبُ إليه عِتاقُ الخيلِ .

وتَمَامُ القصَّةِ أنَّ أَبْرَويز انكشفَ عن خيلِ بَهْرام بن المرزُبان في بعضِ أيَّام الفُرسِ ، وكان أَبْرَويزِ المسمَّى شيبداز[1] فَبَلَحَ[2] به الفرس فَطَلَبَ من النُّعمان أنْ يَحمِله على فرسِه اليَحمُوم فأبى عليه، ولَمَّا أشرف أبْرويزُ على الهلاكِ وخانتْه الرجالُ نظر إليه حَسَّانُ بنُ حَنظلة فأعطاه فرسَه المعروف بالضُّبَيْب وقال : أيُّها الملكُ أنْجُ على فَرسي فإن حياتَك خيرٌ للناسِ من حياتي ، وأعطاه أبرويز فرسَه شيبداز ، فنجا عليه في جملةِ الناسِ ، وكان أبرويزُ في بعضِ الأيام على فرسِه شيبداز فانقطع عِنانُه فدعا بصاحِب سُروجه ولُجُمِه فأراد ضَربَ عُنقِه لَمَّا لم يتعاهَد العِنانَ ، فقال : أيها الملكُ ما بقاءُ شيءٍ يجتذِبه مَلِكُ الإنس ومَلِكُ الخَيْل فأَطلقه وأجازه ؛ والفُرْس تذكرُ في أشعارها هذا الفرسَ المعروفَ بشيْبداز وهو مُصَوَّر [في جبلٍ ببلاد قرماسين من أعمال الدينور ، وهو وأبرويز وغيره من الصور المعتنى][3] بتصويرها عندهم ، وهذا الموضعُ أحدُ عجائِب العالم ، وتقدم في هذه القِصَّةِ ذِكْرُ اليَحموم فرسِ النُّعمانِ بنِ المُنْذِر وقد ذكره لبيد في شِعْره ، فقال :

لَو كان حيٌّ[4] في الحياةِ مُخلَّداً ... للدَّهر ألفاه أبو يكسومِ
والحارِثان كلاهُما وَمُحَرِّقٌ ... والتُّبَّعانِ وفارسُ اليَحمومِ

وذُو العُقَّال وجَلْوَى وكانا لبني يَرْبوع وفي ذي العُقَّال يقول جرير:

(1) في ب : شيبدار . ولعل الصواب أن يقال وكان أبرويز على فرسه المسمَّى . . .
(2) بَلَحَ ، يَبْلَحُ بلحاً وبلوحاً : كَلَّ وعجز .
(3) جملة ساقطة في أ .
(4) في أ : لو كان حيّاً .

إنَّ الجيَـادَ يَبِتْنَ حـولَ بيـوتِنـا   من آلِ « أعْوَجَ» أو لذي «العُقَّالِ»[1]

وفي ذِكره قال الأخطل في هِجائه جريراً :

وكـأنَّمـا نَسَبت كُلَيبٌ غـيـرَهـا   بين «الـوجيهِ» وآل «ذي العُقّـالِ»

وكانت جلوى لِقَرواش بنِ عَوْف من بني يَربوع ، وكان ذو العُقَّال لِحَوطِ بنِ جابِر ، فخرجت به فتاتان له تَسْقِيانه فَبصر ذو العُقَّال بجلوى فأدلى حين رآها فَضَحِك غِلْمةٌ كانوا هنالك واستحيتِ الفتاتان فغلبهما الفَرس وأفلتَ منهما حتى نَزَا على جلوى ، وقيل ذلك لحَوْطٍ فأقبل غضبانَ وهو يسعى ، فضرب بيدِه في الترابِ ثم دَحَسَ بها في رَحِم جلوى فسطا عليها فأخرجَ ماءَ الفحلِ منها ، واشتملتِ الرَّحِم على بقيةِ الماء وحَمَلت بمُهْرٍ فَسَمَّوْه داحساً لأجلِ ذلك ، فاعلٌ بمعنى مَفعول ، فهو داحِسُ بنُ ذي العُقَّال بن أعْوج .

وداحسٌ هذا كان لقيس بنِ زُهيْرٍ العبسي صاحبِ حَـرْبِ داحسٍ والغَبْراء ، وكانت الغبراءُ من نَسلِ ذي العُقَّال ، وكانت لحمل بن بَدْر الفَزاري .

وداحس والغَبْراء كانا سَبَبَ الحربِ بين عَبْس وذُبيانَ ؛ كانَ داحِسٌ لقيسٍ والغبراء لحملٍ فتراهَنَا عليهما وقال أحدُهما للآخر : الغايةُ على حُكمي، قال: نَعم، فقال قيس: الغايةُ مائةُ غلوة[2]، فقال حَمل: أتَخْدَعُني يا قيس، فقال قيس: تَرَكَ الخداعَ مَنْ أجرى من مائة، فذهبتْ كلمتُه مثلاً ، ثم تواضعا الرِّهانَ على مائةِ بعيرٍ وجعلا الغايةَ مائةَ غلوةٍ والمِضمارَ أربعين ليلةً والمجْرى من ذاتِ الإصاد من أرض فَزارة ، ثُمَّ قادوا الفَرسيْن إلى راسِ الميدانِ بعد التَّضْميرِ أربعين ليلةً ، وكان في طرفِ الغايةِ شِعَابٌ

(1) في ب : «ذوي العقال»؛ جاء في أنساب الخيل (ص 24) : «إن الجيادَ يبتن حَول قبابنا...». وجاء في بعض الروايات: حول خِبائنا.
(2) الغلوةُ : مقدار رمية سَهْم ، وتُقدَّر بثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة .

لم يشعُر لها قيس لكونها كانت في غيرِ بلادِه فأَكْمَنَ حملٌ في تلكَ الشعابِ فتياناً من قومِه على طريقِ الفَرسيْنِ وأَمَرَهمْ إنْ جاء داحسٌ سابقاً أنْ يَردُّوه على الغاية ، ثُمَّ إنهما أَرسَلا الفرسيْن ، فلما أُحْضِرا خَرجت الأُنثى على الفَحل ، فقال حمل : سبقتُك ، فقال قيس : رُوَيْدك يَعْدوان الجَدَدَ إلى الوَعْثِ وتَرْشح أعطاف الفحل، فَلَمَّا أوغلاَ عن الجَدَدَ وخرجا إلى الوَعْث بَرَّزَ داحسٌ على الغبراءِ ، فقال قَيْس : جَرْيُ المُذكِيَات غِلابٌ[1]، فذهبت كلمتُه مَثلاً ، أَيْ كأنَّها تُغالب الجَرْيَ مُغالبةً ، ويُروَى غِلاَءٌ أي مُغالاةٌ في السَّيْرِ ، فلما شَارف داحس الغايةَ ودنا من الفِتْيَةِ وثَبوا في وَجْهِه فردُّوه عن الغاية فقال في ذلك قيسٌ :

مــا لاقيتُ من حمـلِ بـن بَــدْرٍ وإخــوتِــه عــلى ذات الإصــادِ
هــم فَخَـروا علـيَّ بـغيـرِ فَـخْـرٍ وَردُّوا دون غــايـتِــه جَــوادِ

ثم إنَّ حُذَيْفَةَ بنَ بَدْرٍ بعث ابنَه مالكاً إلى قَيسٍ يطلب منه السَبَـق [2] فقال قَيس : كلاَّ والله لا مَطَلتُك به ثم طَعَنَه فقتلَه فحمل الناسُ دِيةَ مالكٍ مائةَ عُشراء[3] من الإبلِ ديةَ الملوكِ، وسكَنَ النَّاسُ .

ثُمَّ إنَّ حُذَيفَةَ بنَ بَدْر عَدَا على مَالكِ بن زُهَيْرٍ فَقَتَلَه فقالت بنو جَذيمة : مَلِكُ بنُ زُهيرٍ يَبُوءُ[4] بمالكِ بنِ حُذيفة رُدُّوا علينا مَا لَنا ، فأبى حُذَيفةُ أن يَرُدَّ شيئاً فهاج الشـرُّ ؛ وقال في ذلك عَنترةُ يَرْثِي مالكاً ويُنْذِرُ بالشرِّ وتُروَى لِغَيره :

---

(1) في أ : المدكيات (بالدال المهملة) وهو تصحيف : والمُذْكيات (بالمعجمة) مِنْ ذَكَّى الفرس : أي ذهب حُضْرُه وانقطع .

(2) السبق (بفتح السين) والسُّبْقَة (بضمها) : الخطر الذي يوضع بين أهل السباق ، وهو الرهان من سَبق أخذه .

(3) العُشراء من الإبـل هي التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(4) باءَ فلان بفلان : قُتِل به وهو كُفْءٌ له .

لله عَينَــا مَنْ رأى مثـلَ مــالــكٍ عقيـرةِ قومٍ ،إنْ جـرى ، فُرســانِ
وكـان فَتَى الهيجاءِ يحمي ذِمـارها ويضـربُ عندَ الحـرب كـلَّ بَنَـانِ
فليتَهمـا لم يَجـريـا نصفَ غلوة وليتـهمـا لـم يُـرسـلا لِـرِهـانِ
وليتَهمـا مـاتـا جـميعـاً بِبَلْدةٍ وأخـطاهمـا قيس فـلا يُـريـانِ
لقـد جلبـا حَيْناً وحَـربـاً عـظيمـةً تُبيـد سراة الحيِّ من غَـطفـانِ

ثم إنَّ الحربَ هاجَت ودامت بينَ عبسٍ وذبيانَ عشرين سنةً ، وقيلَ أربعين سنة .

ويقال إنَّ حَربَ داحِسٍ دامت ثماني عَشْرَةَ سنة لم تَحْمِلْ فيها أُنثى لِشدَّةِ الحرب ولأنَّ العربَ كانوا لا يَقْربون النِّساء ما داموا محارِبين ، ولذلك قال يزيدُ بنُ عَمْرو بن الصعق :

فلا نشرَبنْ خَمراً ولا ناتِ حاصناً أبـا أنسٍ ، حتى يَـرَوْك منفعـاً[1]
وإن يك ظني يا بن رَيْطة صادِقي يقد نحوهم ألفاً من الخيل أقـرعا

وكذلك لا يَشربون خَمراً حتَّى يُدرِكوا ثَأرهُم ؛ ولذلك قال ابنُ أُختِ تَأَبَّطَ شَرّا بعدَ إدراك ثأْرِه :

حلَّتِ الخَمرُ وكـانت حـرامـا وبَـلائـي مـا أَلـمَّـت تَـحِـلُّ

وبهذا المعنى تَحَسَّسَ قَيْسُ بنُ زهير خبرَ الرَّبيـعِ بنِ زيادٍ لِيَعْلَمَ أمُحارِبٌ هو معه أم مُسالِمٌ بني بَدْرٍ وفَزارةَ فَدَسَّ إلى الربيعِ أَمَةً اسمُها دُعَيَّةُ فدخلت بينَ الكِفَارِ والنُّضْل فأتت الربيعَ امرأتُه تَعْرِضُ له فأعرضَ عنها ثم أنشأ قصيدتَه المشهورةَ في رِثاءِ مالكِ بنِ زُهَيْر التي يقول فيها:
أفَبعْـدَ مَقتَـلِ مــالـكِ بن زُهَيــرٍ تـرجـو النِّســاءُ عـواقِبَ الأطهار[2]

وأولُ هذه الأبيات في اختيارِ أبي تَمَّام حَبيب بنِ أوس الطائي :

---

(1) في ب : مقنَّعاً .

(2) راجع القصيدة في الأغاني 17: 129 وفي حماسة أبي تمام: 283

إنّي أَرِقْتُ فلم أُغَمِّضْ حَارِ   مِن سَيِّءِ النبإِ الجليلِ السارِي
مَنْ كان مسروراً بمقتَلِ مالكٍ   فَلْيأتِ نسوتَنا بوجْهِ نهارِ
يَجِدِ النساءَ حَواسراً يَنْدُبنَه   قد قمن قَبلَ تبلُّجِ الأسحارِ
قد كنَّ يَخْبأْنَ الوُجوه تستُّراً   فالآنَ حينَ بَدَيْنَ للنُّظارِ
يَضربن حُرَّ وجوههن على فتًى   عَفِّ الشمائِلِ طيبِ الأخْبَارِ

ومعنى هذه الأبياتِ أنَّ العربَ كانوا إذا قُتِلَ منهم القتيلُ خَبأَ النساءُ وجوهَهُنَّ ولم يَنْدُبنه ولا نُحْنَهُ حتَّى يُدْرَكَ ثأْره ، فإذا أُدرِكَ ثأْره حَسَرْنَ عن وجوههن ونَدَبْنَه ، فكان الربيعُ ضَمَّن في هذا الشعرِ إدراكَ ثأرِ مالكِ بنِ زُهَيْر .

وفي المعنى قال النَّابغةُ الجَعْدي في حِصْنِ بنِ حذيفة :

يقولون حصنٌ ثُمَّ تأْبى نفوسُهم   وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تَلْفظ الموتى القبورُ ولم تَزَلْ   نجومُ السماءِ والأديمُ صحيحُ
فَعَمَّا قليلٍ ثم جَاء نَعِيُّهُ   فَظَلَّ نَدِيُّ الحيِّ وهو ينوحُ

يقول أدركَ ثأْره عما قريب فبكَتْه البَواكي عند ذلك ؛ وقد أوضحَ هذا المعنى محمدُ بنُ يزيد بن مَسْلمَة بن عبدِ الملكِ بن مروان المعروف بالحصني في قوله :

إذا ما وُتِرْنا لَمْ نَنَمْ عن تِراتِنَا   ولم نَكُ أوغالاً نُقيم البواكيا[1]
ولكننا نُمْضي الجِيَادَ شوازيا[2]   ونَرمي بها نحو التِّراتِ المراميا

ولما أَخْبَرتْ دعيَّةُ قيساً بما فعلَ الربيعُ أعتَقَها وقال لها : « **سيجِي بَعْدَهَا دعيةُ أو اقْعُدِي فَرِّجْتِهَا والله** » فأرسَلَها مثلاً.

---

(1) وتَر فلاناً ، يتره وَتْراً وتِرَةً : أفجعَه في عزيز لديه أو أصابه بمكروه .
(2) في ب : شوارباً ؛ ولعل الصواب أن يكون : شوازياً من شَئِزَ بمعنى اهتم وقلق .

وقد مَدَح الأخْطَل بهذا المعنى المتقدِّم مِنْ فعلِ العرب في تَرْكِ النِّساءِ عند المُحاربة وطلبِ الثُّؤْرَة فقال :

قـوم إذا حـارَبـوا شَـدُّوا مـآزِرَهُمْ دون النسـاءِ ولـو بـاتت بـأَطهـارِ

وكان للربيعِ بنِ زيادٍ المتقدِّم الذكر فرسٌ يسمَّى اليعبوب ، صفة غالبة .

ومن نَسْلِ ذي العُقَّال أيضاً الخَطَّارُ وصَادِفٌ والحَنْفاءُ وكُنَّ لبني بَدْرٍ ، وصادفٌ والحَنْفاءُ هما اللَّذانِ اقتفى قَيسُ بنُ زُهَيرٍ أثَرَهُما يومَ جَفْرِ الهَبْأَةِ ، من أيَّامِ حَربِ داحِسٍ ، فقال لأصحابِه حينَ اقتفى الأثَرَ : هذا أثَرُ صَادِفٍ فَرسِ حُذَيفة ، والحَنْفاءِ فَرسِ حمَل فاتَّبِعوا الأثر فإنَّ الدَّليلَ أثَرُ الفَوارِس ، فذهبت كلمَتُه مثلاً ، فاقْتَفَوا الأثَرَ إلى الهَبْأةِ حَتَّى وقفوا على رؤوسِ القومِ فأَوْقَعُوا بهم الوَقْعةَ الشَّنعاءَ المشهورةَ .

وقال عَمْرو بنُ الأَسبغ في قَتْلِ بني بدر :

إنَّ السَّمـاءَ وإنَّ الريـحَ شاهـدةٌ[1] والله يَـشْهَـدُ والإنـسـانُ والـبَـلَدُ
أنِّي جـزيتُ بَني بَـدْرٍ بِـبَغْـيهِـمُ على الهَبَـاءة قَتْلاً مـا لـه قَـوَدُ
لمـا التقينا على أرجـاءِ جُمَّتِهـا والمَشْـرَفِيَّـةُ في أيمـانِنـا تَقِـدُ[2]
علوتـهُ بحُسـامٍ ثُمَّ قـلـتُ لـه: خُذْها حُذَيْفَ وأنتَ السيدُ الصَّمدُ

يَهْزأُ به لأنَّ حُذَيفةَ كان يقال له رَبُّ مَعَدّ ، ومن هذا البابِ هو قولُه تعالى: ﴿ ذُقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريم ﴾ .

---

(1) في ب: إن السماواتِ والأرياحَ.

(2) في أ : المشرقية (بالقاف) والصواب : المشرفية (بالفاء) : وهو نوع من السيوف يُجلب من المشارف ، ويقال : المشرفي نسبة الى ذلك المكان .

وَقال قَيْس يَرثي بَني بَدر:

شَفيتُ النَّفْسَ[1] من حَمَل ابنِ بدر وسيفي من حُـذَيفـةَ قـد شَفَـانِ
فـإنْ أكُ قـد بَـرَّدت بهم غليلي فـلـم أَقْـطع بـهـم إلاَّ بـنـانِ

وقال أيضاً يرثي حَمَلَ بنَ بَدْرٍ :

ولـولا ظُـلمُـه مـا زلتُ أبكـي عليـه الـدَّهـرَ ما طلع النجـومُ
ولكنَّ الـفتـى حَمَـلَ ابنَ بـدرٍ بَـغَى والـبـغـيُ مـرتَـعـه وخـيـمُ
أظـنُّ الـحِلمَ دَلَّ عَـلَيَّ قـومِـي وقـد يُستجهَـل الـرجـلُ الحليمُ
ألاقـي مـن رجـالٍ مُـنْـكَـراتٍ فـأنـكـرهـا ومـا ذاك الـظُّلومُ
ومـارستُ الـرجـالَ ومـارسـوني فـمـعـوَجٌّ عـليَّ ومـسـتـقـيـمُ

ولما قُتِلَ بنو بدر على جَفْر الهبأة استعظَمت غطفـانُ قَتْل حُـذيفة فتجمَّعوا وعرفت عَبْسٌ أنْ ليس لهم مُقامٌ بأرضِ غَطفانَ فخرجوا إلى ناحيةِ اليمامةِ واضْطربوا في الأحياء ، وفي ذلك يقول بشر بن أُبَيّ :

إنَّ الرِّباطَ النُّكْـدَ من آلِ داحِسٍ أبَيْنَ[2] فمـا يُفْلِحْن يـومَ رِهـانِ
جَلَبن ، بـإذنِ الله ، مقتلَ مـالِـكٍ وطَـرَّحْن قيسـاً من وراءِ عُمـانِ
لَطَمْنَ على ذاتِ الإصَادِ وجَمعكم يـرونَ الأذى مـن ذِلَّـةٍ وهـوانِ
سَيُمنَع منكَ السَّبقُ إن جئتَ سابقاً وتُقتـلُ إن زَلَّت بـكَ القـدمـانِ

وبعد أن انقضتْ بين الحَيَّيْنِ عَبْسٍ وذُبيانَ أيامٌ من أيام حَربِهم بعدَ قَتْلِ بني بدرٍ سُعِيَ بَيْنهم في الصُّلح فاصطلح الحيَّان عبسٌ وَمَنولة من بني فزارة ففارقهُم قَيْسٌ وقال : يا بني عبس شاعَكم السلامُ ـ وهي كلمةٌ يقولها

(1) في أ : الناس .
(2) في أ : أفيمن . وفي أنساب الخيل لابن الكلبي : أبَيْن (ص 25) ومعنى النكد (بضم النون) : قلة العطاء .

الرَّجُل لأصحابِه إذا أراد أن يفارقَهم ـ فأما أنا فلا نظرتُ في وجهِ ذبيانية[1] قتلتُ أباها أو أخاها أو ابنَها أو بَعْلَها أبداً ؛ فَرجَعَتْ بنو عبسٍ إلى محالِّها من بلادِ غَطْفَان وتَغَرَّبَ قيس عن قومه إلى ناحيةِ عُمَان وهناك بقيةٌ وَلَدِه ، وضُرِبَ بغُربتِه المثلُ حتّى قال أبو تَمَّام :

إن خيراً من الصفحِ عن النائرات والأَغْماضِ[2]
غربة تقتدي بغربة قيسٍ بنِ زُهَيرٍ والحارثِ بنِ مُضَاضِ

ويقال إنَّ الخَطَّار والحَنْفاء ، فَرَسَيْ حُذَيفة ، هما اللذان أجريا مع داحِس والغبراء وكانا فَرَسَيْ قيسٍ فكان ذلك سببَ الحرب وهلاكِ حُذَيفةَ وحَملٍ بن بَدْر .

وإلى ذلك أشارَ أبو فِراس الحَمْداني في قوله :

إذا كان غيرُ الله للمرءِ عُدَّةً أتته الرزايا من وجوه العوائدِ[3]
فقد جَرَّتِ الحَنْفاءُ قتلَ حُذيفةٍ وكان يراها عُدَّةً للشدائدِ

وكان لزهْيرٍ ـ والدِ قَيْسٍ صاحبِ حرب داحِس المذكور ـ فرسٌ تُسمَّى القَعْساء ، وكان زهيرٌ رئيسَ غطفان وكانت هَوَازِن تؤدِّي إليه الأَتَاوَة فلمَّا كان يومُ النَّفْزاواتِ ارْبَدَّت فيه فَرسُه القَعساء فلحِقَه خالدُ بن جعفر بنِ كِلاب وكعبُ بنُ معاوية الأَخْيَل فطعنَ الأَخيلُ القعساء فَقلبَتْ زُهَيراً وخَرَّ خالدُ فوقَه فنادى زُهير : يا آلَ عامِر اقتُلونا جميعاً ، وضربَه الأَخْيَلُ على مَفْرق رأسِه ضَرَبةً بلغت الدماغَ فمات منها لِثَلاثةِ أيام ؛ وكان ابنُه ورقاءُ بنُ زُهَير قد أراد قَتْلَ خالدٍ إذ بَرَكَ على[4] أبيه فَلَمْ يستطِعْ لِحَصانةِ خالدٍ بِدرْعَيْن كان ظَاهَرَ

(1) في ب : لِمانية .
(2) النائرات : (جمع نائرة) وهي العداوة والبغضاء ، والأغماض (جمع غَمض) : الشيء الذي لا وضوح فيه ، ولعله يقصد الخلاف الذي تختلط معه الأمور .
(3) وفي رواية : « من وجوه الفوائد » .
(4) في ب : بركَ عن .

بهما ، فقال ورقاءُ في ذلك :

رأيتُ زهيراً تحتَ كَلكلِ خالدٍ ... فأَقبلتُ أسعى ، كالفحولِ ، أُبادِرُ
فَشَلَّتْ يميني يومَ أضربُ خالداً ... ويمنعُني منه الحديد المُظاهِرُ
فيا ليتَ إنّي ، قبلَ أيامِ خالدٍ ... ويَوْمِ زُهَيرٍ ، لم تلدني تُماضِرُ
لَعَمْري لقد بُشِّرْتَ بي إذْ رأيتَني ... فما ذا الذي رَدَّت علي البشائرُ

وفي قَتلِ زهيرٍ يقول خالد :

قُلْ كيف تَكفُرني هَوازنُ بعدما ... أعتقتُهم فتوالدوا أحرارًا
وقتلتُ رَبَّهمُ زهيراً بعدما ... جَدع الأنوفَ وأكْثرَ الأوتارَا
وجعلتُ مَهْرَ بناتِهم ودِيّاتِهم ... عقلَ الملوكِ هَجائناً وعِشارا

وكان لخَالدِ بنَ جعفر فرسٌ يسميها حَذْفة وفيها يقول :

أريغوني إراغَتكُمْ فإنّي ... «وحَذْفةَ» كالشَّجَا تَحتَ الوريدِ

ويُقالُ إنَّ حَذْفَة فرسُ المُشمَعِل بنِ هَراةِ الغَنَوي، وهو فارسُ حَذْفة الذي قتلَ الشريديَّ من بني سُلَيْم يومَ الرَّملتين من شعبا[ء] يومَ يقودُهم خِرباقُ الشريديُّ؛ وأبوه هَراةُ بنُ معتب هو القائل:

أبلِغْ «نصيحةَ» أنَّ راعي أهلِها ... سَقَط العشاءُ به على سرحانِ
سقط العشاءُ به على متقمِّر ... سَارٍ بغيرِ الرّحل والفرسانِ

وكان أخوه سَرحانُ بنُ معتب الذي [يقود] له الأسدي[1]، ومَرَّ بمكانٍ مُكْلِيءٍ فقال أشهدُ لا يمنعني خوفُ سرحانَ أنْ أُعَشِّيَ إبلِي الليلةَ، فرعاها فمرَّ به سَرْحَانُ هذا فقتَله، فقال هراة يخاطبُ امرأةَ الأسدي ـ وكان اسمُها نصيحة ـ الشِّعْرَ المتقدِّم.

---

(1) في النسختين: يقول له الأسدي: ولعل الصواب ما أثبتناه.

ومثلُ قولِ خَالد بنِ جعفر في حَذْفةَ، فَرسِه، قال شَدَّادُ بنُ معاويةَ العَبسي والدُ عَنْتَرةَ الفوارسِ في جِرْوةَ فرسِه:

فَمَن يكُ سائلاً عنّي فإنّي وجِروةَ كالشَّجَا تحت الوريدِ
أقوتها بِقُوتي إنْ شَتَوْنا وألحَفُها رِدَائِي في الجَليدِ

والسّمي[1] فرسٌ كانت لهاشم بنِ حَرْملَة المُرِّي، مُرَّة غَطْفان، وعليها حَمَلَ على معاوية بنِ عَمْرو الشَّريدي يوم حَوْزة الأول، واختلفا بينهما وأجهز عليه دُرَيْد أخوه وغارت السمي في جيشِ بني سُلَيْم فصارت إلى صخرِ ابنِ عَمْرِو بنِ الشَّريد فغزا عليها صَخرٌ غطفانَ طالباً لثأرِ أخيه، فلَمَّا دنا منَ القومِ سَوَّدَ وجهَ السّمي وكانت غَرَّاءَ مُحَجَّلَةً فَخَفِيَ تحجيلُها وَغُرَّتُها ورأتْها بنتٌ لِهَاشم صاحبِ السّمي فقالت لعمِّها دريد: أين السّمي؟ قال: هيَ في بني سُلَيم، فقالت له: ما أشبَهها بهذهِ الفَرَسِ، وكَان مضْطَجعاً فاستوى جَالساً فقال: هذه فَرَسٌ بَهِيم، والسّمي غَرَّاءُ محجَّلةٌ، فعاد فاضطجعَ فلم يَشعُر حتَّى طَعَنه صَخْرٌ فقتله فتنادى الحيُّ وثاروا فَنَجَا صَخْرٌ على السّمي إلى قومه، وقال في قَتْلِه دريداً:

ولقد دَفعتُ إلى دُرَيْدٍ طَعنةً نَجْلاءَ تُزْغِلُ مثلَ عطِّ المَنْخِرِ[2]
ولقد قتلتهم ثُناءً ومَوْحَداً وتركْتُ مُرَّةَ مثلَ أمسِ المُدْبِرِ

وَعَلْوَى فرسٌ كانت لخُفافِ بنِ ندبة من بني الشَّريد، وكان نَقيلاً في بني مُرةَ من غَطْفان، فلما قتلَ هاشمٌ معاويةَ قال خُفاف: قَتلَني اللَّهُ إنْ بَرَحْتُ

(1) هكذا في النسختين: ولعلّ الصّواب: السُّماء؛ جاء في: «لسان العرب» لابن منظور أن السماء فرس لصخر أخي الخنساء.

(2) تُزغِل، من أزْغلت الطعنة بالدم: قذفته دُفعة دُفعة. والعَطُّ من عطَّ الثوبَ يعطُّه: شقه، وعطَّ فلاناً إلى الأرض: صرعه؛ وأظنه تصحيفاً وقد يكون صوابه: غَطٌّ (بالمعجمة) بمعنى صات ورددت النفس في خياشيمه.

مكاني حتَّى أَثْأَرَ به، فَشَدَّ على مالكِ بنِ حمار من بني شمخ فَقتلَه وقال في ذلك:

إنْ يكُ خَيلي قد أصيبَ صميمُها فإنّي على عَمدٍ تَيمَّمتُ مالكا
تَيَمَّمتُ كبشَ القوم لَمَّا عرفتُه وجَنَّبتُ شُبَّانَ الرجالِ الصَّعالكا
نصبتُ لَهُ «عَلْوَى» وقد خام[1] صُحبتي لأَبْنِيَ مجْداً أو لأَثأَرَ هالكا
أقولُ له والرمحُ يَخْطُر بَيْنَنَا تَأَمَّلْ خفافاً إنَّني أنا ذالكا

وكان للحَوفزان بنِ شريك فرسٌ يُسمَّى **الجناح**، وفيه قال يومَ ذي قَار:

لَمَّا رأيتُ الموتَ شَدَّ نحورَها حِرابٌ ونُشَّابٌ[2] صبرت جناحا
على الموتِ حتَّى أنزلَ الله نصرَه وَوَدَّ جناح لو قَضَى فأراحا
كأنَّ سيوفَ الهندِ فوقَ قَذالِه[3] بَوَارِقُ غَيْثٍ من تِهامةَ لاحا

وقيل: إن هذه الأبياتَ قالها رجُل آخر من شيبانَ ولم يُدرك الحوفزانُ يومَ ذي قار ولا شَهِده.

ورَعْلَة اسم فرسٍ أُنثى كانت لصخر بنِ عمرو بن الشريد أخي خَنساء، وقد ذَكرتها في قولها تَرثيه:

وخيلٍ قد زحفتَ لها بخيلٍ فدارت بين كَبْشيها رحاها[4]
ونرفعُ فضلَ سابغةٍ دِلاصٍ على خيفانةٍ خَفِقٍ حشاها[5]
فقد فَقَدتْك رعلةُ فاستراحت فليتَ الخيلَ فارسُها يراها

---

(1) خامَ يخِيم خَيْماً: كادَ لغيره فلم ينجح في كيده؛ وقد يكون الصواب: خان (بالنون).
(2) النُشاب: النَّبل، واحدته نُشَّابَة.
(3) القذال: جماع مؤخر الرأس.
(4) الكبش هنا معناه رئيس القوم.
(5) الفضل: الذيل. السابغة: الدرع الطويلة. الدِّلاص: اللينة. الخيفانة: يقصد بها الخيل الخفيفة الضامرة. خَفِقٌ حشاها: ضامرة، من خفقت الدابة تخفق: ضَمُرت.

تمنّت أن يكون حياً حتى يرى خيلَه إلى ما صارت من تعطيلها عن الغزو ومن سوء الحالِ وما بها من الضيعة، ولذلك قالت: «فاستراحت»، أي من العناء والتّعب الذي كان يُتعبها في الغزو وطَلَب الثّارات وشنّ الغارات.

وبَذْوه، (بالباء والذال المعجمة)، اسم فرسٍ كانت لأبي سُواج عُبَاد، بن خَلَف الضبيّ، وكان مجاوراً في بني يربوع، وفيها يقول:

إن الجيادَ على العِلّات مُتعَبة فإن ظلمناكِ بذوَ اليوم فاظّلِمي

ويأخذ بطرفٍ من معنى هذا البيت قولُ عُمرَ بنِ أبي ربيعة في فرسه الكُمَيت وكان أتْعبه في أمرٍ فاعتذر له منه:

تشكّى الكُمَيتُ الجريَ لما جَهدته وبيّن لو يستطيع أن يتكلّما
لذلك أُدني دون خيلي رباطَه وأوصي به ألاّ يُهان ويُكرما
فقلت له إن نَلق للعين قُرّةً لهان علينا أن تَكِلَّ وتَسأما

وكان القَطيب لصُرَدَ بنِ جمرة اليربوعي الذي سقاه أبو سُواج المَنِيّ، وكان سبب القصة أن أبا سواج وصُرَد بن جمرة تراهنا عشرينَ بعشرين فسبقت بَذْوَةُ القَطيب فطلب أبو سُواج السَّبَقَ وكان صُرد رجلاً مُطاعاً جميلاً له شرفٌ فمنَعَه السَّبَقَ وجعلَ يفخرُ بامرأتِه[1]، فأمرَ أبو سُواج غلاماً له أسودَ فنكح امرأةً له وعزلَ المنيَّ على نِطْعٍ، فلَمَّا أصبحَ جَعلَ ذلك المنيَّ في عُسٍّ ثم حَلَب عليه وقال لغلامه: إذا جَاءكَ صُردٌ فاستَسقَى فَاسْقِه من هَذا العُسِّ[2]، ففعل فَشرِبه صرد، فلما فرغ قال: ما لشرابِك يتمطّط، فلما وصلَ إلى جَوفِه وجَدَ الموتَ فانصرف إلى منزلِه هارباً وصارت بنو يربوعٍ تُعَيَّر بذلك.

وقال في ذلك عَمرو بن لَجاء يهجو بني يربوع:

---

(1) هكذا في النسختين ولعل الصواب: أن يفخر بإمْرته، كما يفهم من السياق.
(2) العُسُّ: القَدَح الكبير.

تَمَسَّحَ يَرْبُوعٌ سِبالاً[1] لئيمةً بها من مَنيّ العَبد رَطباً ويابسا

ولَمَّا عَيَّرَ جريرٌ الفرزدقَ بشُرب الخمر أجابَه الأخطلُ:

تَعيبُ الْخمرَ وهي شرابُ كِسرى ويشربُ قومُك العَجبَ العَجيبا
مَنِيُّ العَبدِ عبدِ أبي سُواجٍ أَحَقُّ من المُدامةِ أن تَعيبَا

وفي الإشارة إلى هذه القصةِ ولُحوق العارِ بغير جناية[2] قال أبو العلاء:

وكان العارُ مثلَ الحَتف يأتي على نَأْيِ المنازلِ والخِلاَج[3]
فإنَّ بني نويرةَ أدركتْهم مَسبَّتُهم بعبدِ أبي سُواجِ

وذو الخِمار فرسٌ لمالكٍ بنِ نُوَيرة، وكانَ يقالُ له فارسُ **ذو الخِمَار**، وسُمِّيَ بذلك لغُرَّتِه، وفي ذلك قال جَريرٌ يفخرُ بقومِه:

يا تَيْمَ هَاتُوا مثلَ أُسرةِ قَعْنَبٍ أو مثلَ بيتِ الحارث بنِ شِهَابِ
أو مثلَ فارسِ ذي الخِمارِ ومَعقِلٍ أو فارسٍ كعمارة[4] بنِ جنابِ

وفي مثل ذلك أيضاً قالَ:

بيربوعٍ فَخَرْتُ وآلِ سَعْدٍ فلا مَجْدي بلغتُ ولا فَخاري
بيربوعٍ فوارسُ كلِّ يومٍ يواري شمسَه وهجُ الغُبارِ
عُتيبةُ والأُحَيْمر وابنُ عَمْرٍو وعتَّابٌ وفارسُ ذي الخِمَارِ

فارسُ ذي الخِمار هو مالكُ بنُ نويرةَ اليربوعي، كان شاعراً فارساً وكان فيمن ارتَدَّ فقَتله خالدُ بنُ الوليدِ وتولَّى قتلَه ضِرارُ بنُ الأَزور الأسدي؛ وفي ذلك يقول مُتَمِّم أخوه:

---

(1) سَبلة الإناء: رأسُه.

(2) في ب: بغير جانبه.

(3) الخلاج (جمع خليج) من خَلِجَ البيت يخْلَجُ: انسدَّت ناحيته واعوجَّت.

(4) في ب: لعمارة.

نِعْمَ القتيـلُ، إذا الريـاحُ تناوحتْ وسطَ البيوتِ، قَتلْتَ يا بنَ الأَزْوَرِ

وَعَتَّاب هو عَتَّاب بنُ هرمي بن رياح صاحبُ الرِّدافة[1] في بني يربوع الذي يقول فيه الفَرزدق:

ومن آل عَتّـاب الملوكُ ولم تكـنْ لهم عنـدَ أبـوابِ الملوك مشـاهـدُ

والأُحَيْمر هو حُرَيْث بنُ عبدِ الله بنِ الحارث بنِ عاصم بنِ عُبَيد بنِ ثَعْلبة بنِ يربوع، كان فارساً وكان يقال له مُكَسِّر الرماح؛ وفي تميم ثم في بني سعد أُحَيْمرٌ آخر، وهو الأُحَيمرُ بنُ بَهْدَلة صاحبُ بُرْدَيْ محرق الذي يقول فيه الفَرزدق:

أيـا ابنـةَ عبـدِالله وابنـةَ مـالـكٍ ويا ابنةَ ذي البُردَيْن والفرسِ النَّهدِ
إذا مـا صنعتِ الـزَّادَ فـالتمسي لـه أكيـلاً فـإني لستُ آكِلَه وحـدي

وسَبب تَسميته بذي البُرْدين أنَّ المُنْذِرَ بنَ ماءِ السَّماءِ قال ذاتَ يوم ـ وعندَه أشرافُ وفودِ العَرب ودعا بِبُرْدَي محرق ـ فقال: لِيَلْبَسْ هذين البُردين أكرمُ العرب وأشرفُهم نَسباً وأعزُّهم قبيلةً، فأحجمَ الناسُ فقام الأُحَيْمر بنُ خَلَف بنِ بهدلة فقال: أنا لَهما، فارتدى بأحدِهما واتَّزَر بالآخرَ، فقال له المُنذِرُ: ما حُجَّتُكَ فيما ادَّعيتَ به؟، فقال: الشَّرفُ في مَعَدٍّ كُلِّها في نِزار ثُمَّ في تَميم ثُمَّ في سَعْد ثم في كَعْب ثم في بَهْدَلة؛ قال: هذا البيتُ في أصلِك فكيفَ أنت في عشيرَتِك؟، قال: أبو عَشَرة وعَمُّ عَشرة وخَالُ عَشرة؛ قال: هذا أنتَ في عشيرَتك فكيف في نفسِك؟ قال: شاهِدُ العَيْنِ شاهدي، ثُمَّ قام فوضَع قَدَمه في الأرضِ وقال: من أزالها فله مائةٌ من الإبلِ، فلم يَقُمْ إليه أحدٌ ولا تَعاطى ذلك.

(1) الرِّدافَة: منْصب النيابَة عن الملك في الجاهلية، ويسمى القائم بها: الرِّدْف.

وفي مَدْح بني بَهدَلة يقول الفَرزدق:

فَما تَمَّ في سَعْدٍ ولا آلِ مالِكٍ غلامٌ إذا ما قيل لم يتبهدَلِ
لَهم وَهَبَ النُّعمانُ بُرْدَيْ محرقٍ لِمجدِ مَعَدٍّ والعديدِ المُحَصَّلِ

وابنُ عَمْرو هو يزيد بن قُعنب بنِ عَتَّاب بنِ الحارث بن عَمرو بن رياح، وكان من فرسانِ العَربِ، أو سُحَيْمُ بنُ وتيلِ بنِ عَمْرو اليربوعي الرياحي الذي نافرَ غالباً، أبَا الفرزدق، في الإسلام وهو الذي يقول:

أنَا ابنُ جلَا وطَلاَّعُ الثَّنايا متَى أضعِ العِمامةَ تَعرفوني

وقال بعضُ بني مَالِكِ بنِ نُويرة في ذكرِ ذي الخِمار المتقدِّم الذكرِ:

جزائي دوائي ذُو الخِمار وَصْنعتي إذا باتَ أطْواءً[1] بَنِيَّ الأصاغرُ
أخادِعهم عنه لِيَغْبِقَ دونَهم وأعلمُ عندَ الصُّبح أني مُغاورُ[2]
كأني وأبْدانَ السلاحِ عَشيةً يَمرُّ بنا في بَطنِ فَيجانَ طائرُ[3]

وأمَّا عُتيبة، مِن جملة من فَخَر به جرير في البيتِ المتقدم، فهو عتيبةُ بنُ الحارثِ بنِ شهاب، من بني ثَعلبة بنِ يربوع، وكان في بيتِ بني يربوعِ بنِ حَنظلة وقد رَأَسَ وكان من فرسانِ العرب، وكان يقالُ له صَيَّادُ الفوارس، وفيه يقول ربيعة بنُ عبيد الأَسدي يخاطب ابنَه ذُؤاباً:

إنْ يَقتلوك فقد فَلَلْتَ عُروشَهم بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ
بأشَدِّهم كَلَباً على أعدائِهم وأعَزِّهم فَقْداً على الأَصْحابِ

(1) في أ: أطْوى، ولَعَلَّ الصواب: طِواء، وهو جمع طَوٍ بمعنى جائع. وأمَّا أطواء فهي جمع طي التي من معانيها الغِلّ والحقد.
(2) غَبَق يغْبِق بمعنى حَلَبَ في العَشِيّ أو سقى الماشية. والمغَاوِرُ هو الذي يُغير على العدوّ، مِنْ غاوَر مغَاورةً وغِواراً.
(3) لعله يقصد بالفيجان: الفائج، وهو المنبسط من الأرض بين مرتفَعين.

وسَبَبُ هذا الشِّعرِ أنَّ بني أَسَد غَاروا على بني يَربوع فأتى الصّريخُ الحَيَّ فلم يتلاحقوا إلاَّ مساءً، وكان ذُؤَابُ بنُ ربيعةَ على فَرسٍ أُنثى وعتيبةُ على حصانٍ فجعلَ الحصان يَتشَمَّمُ ريحَ الأُنثى في سوادِ اللَّيلِ وَيتبَعُها فلم يشعرْ عُتيبةُ إلاَّ وقد أقحمَ فرسَه على ذُؤاب وعتيبةُ غافلٌ لا يُبصرُها بين يديْه في ظلمةِ اللّيلِ، وكان قد غفـل عَن شَدِّ جريان درعه لاستعجالِ الصّريخ؛ ورأى ذُؤاب ذلكَ فأقبلَ الرُّمحُ نحو ثغرته فقتله ولَحِقَ الربيعُ بنُ عتيبة بذؤاب فشَدَّ عليه فأَسَره وهو لا يَعلم أنَّه قتلَ أباه وبقيَ عندَه أسيراً إلى أنْ جَاءَ وَالدُه ربيعةُ في فِدائه فتواعدا سوقَ عُكاظ أن يأتيَه بالفِداء في الأشهرِ الحُرُمِ، فأقبلَ ربيعةُ أبو ذُؤاب إلى سوقِ عُكاظ بالفِداءِ وشُغِلَ الربيعُ فلم يَحضُر عُكاظَ، فلَمَّا رأى ذلك ربيعةُ لم يَشكّ أنَّ دؤاباً قد قتلَه الربيع بأبيه عُتَيبة، فقال أبياتاً مشهورةً منها البَيتان المتقدّمان، فلَما بلغ الشعرُ الربيعَ قتلَ دؤاباً وقالت ابنةٌ لِعُتبةَ ترثي أباها:

وكـان أبـي عُتيبـةُ شِمَّـرِيّـاً[1] فـلا تـلقـاه يـدَّخـرُ النصيبـا
ضَـروبـاً للكُمـاة إذا اشْمَعَلَّتْ[2] عَـوانُ الحربِ لا وَرَعـاً هَيـوبـا[3]

وكان عُتيبةُ والأُحَيْمر يُعَدَّان في فرسانِ العربِ في الجاهليةِ، وعَدَّ قَومٌ فرسانَ العربِ في الجاهليةِ ثلاثة: عُتيبةُ بنُ الحارثِ فارسُ تميم، وعامرُ بنُ طُفَيْل فارسُ قَيْس، وبِسطام بنُ قيسٍ فارسُ ربيعة.

وعَدَّهم آخرون عشرة: ربيعةُ بنُ مُكدَّم من بني فراس بن غنم الذي كان يُعقَرُ على قَبرِهِ، وعُتيبة بنُ الحارث، والأُحَيْمر، وعنترةُ الفَوارس، وأبو بَراء عامرُ بنُ مالكٍ مُلاَعبُ الأَسِنَّة، وابنُ أخيه عامرُ بـنُ الطُّفَيْل، وبِسطام بنُ

(1) الشِّمَّرِيُّ: الأشَدُّ مضاءً في عَزمه.
(2) في أ: اشتعالت وهو تصحيف، والصواب اشْمَعَلَّت أي اتسعت الحرب.
(3) وَرَعاً: من وَرَعَ أي جَبُنَ، والجمع أوراع.

قَيس، وزيد الخَيل بنُ مُهَلْهِل الطائي، وعَمرُو بنُ مَعدي كَرِبَ فارسُ مَذْحج، وعمرُو بنُ عَبْدود، وكان عمرُو بـنُ عبدود يقالُ له فارس يَلْيَل وهو اسمُ فَرسِه، وفيه قَالَ مُسَابعُ بـنُ عبدِ مناف الجَمْحي يَرثيه:

نفسي الفـداءُ لفارسٍ من غـالبٍ   لاقى جِمَـامَ الموتِ لم يتخلخـلِ
أعني الذي قطع المِـداد[1] بمُهْرةٍ   طَلبـاً لثـأرِ معـاشـرٍ لم يُخـذلِ
عَمْـرُو بنُ وُدّ كـانَ أوّل فـارسٍ   جـزَعَ المداد وكـان فـارسَ يَلْيَـلِ

والنعامةُ فرسُ الحارثِ بنِ عُبَاد البكري فارسِ النعامة، وفيها يقول:

قَـرِّبـا مَـرْبِطَ الـنَّعـامـةِ مِـنِّـي   لَقِحَتْ حَربُ وائلٍ عَن حِيـالِ[2]

وسَبَبُ قوله هذا الشعرَ أنَّه كان هو وأهلُ بيته قد اعتزلوا حَرْبَ البَسوس بَيْن بَكْرٍ وتغلب[3] ابنَيْ وائل التي نَشَأَتْ من عَقْرِ سَراب، ناقةِ البَسوس، وقال: «**هذا أمرٌ لا ناقةَ لي فيه ولا جَمَل**»، وذهبت كلمتُه مثلاً، فلم يَزَلْ كذلك إلى أن لَقِيَ عَدِيُّ بنُ ربيعةَ الذي يُقال له مُهَلْهل، أخُو كُلَيْبِ بنِ ربيعةَ الذي يُقال فيه: **أعَزُّ مِنْ كُلَيب وَائل**، بجيراً بنَ أخي الحارث بن عُبَاد؛ ويقال هو ابنُه، فقتله؛ وكان مهلهل يرى أنَّ كلَّ مَنْ قُتِل بأخيهِ كُلَيب من بَكْرِ بنِ وَائل فليس لِكُليبٍ بَواء[4]، فممَا رُوِيَ عنه في ذلك قوله:

كُـلُّ قـتيـلٍ بـكُـليـب غِـرّهْ   حـتى يـنـالَ الـقـتـلَ آلُ مُـرَّهْ
كـلُّ قـتيـلٍ بـكـلابٍ حُـلاَّمْ[5]   حَـتَّى يـنـال القـتـلَ آلُ هـمَّـامْ

فلَمَّا قُتِلَ بجيرُ بنُ الحارثِ قال: بُؤْ بِشِسْع كُلَيْب، فأُخبِرَ الحارثُ بقتلِ

---

(1) المِداد هنا: المسافة الممتدة.

(2) لَقِحَت الحرب، تلْقَح: هاجت بعد سكون، ولَقِحت الناقة: قبلت ماء الفحل. والحيال جمع حائل: كل أنثى لا تحبل، ومعناه أيضاً الأنثى من ولد الناقة ساعة تولد.

(3) في أ: وثغْلب.

(4) البَواء: من بَاءَ يَبُوء أي قتل بفلان وهو كُفءٌ له.

(5) حُلاَّم: هَدَر.

بُجَير فقال: نِعْمَ القتيلُ قتيلٌ أصلحَ بين حَيَّيْ وَائلٍ، فَكَفَّ سفاءها[1] وَحقَن دماءها، فقيل له: إنَّمَا قَتَلَه بشِسْع كُليب، فلم يُصَدِّقْ ذلك وبعَثَ إلى مُهلهل: إنْ كنتَ قتلتَ بجيراً بِأخيكَ ورضيتَ بِه بَوَاءً فقد رضيتُ ذلك لتزولَ هذه النَّائرة، فقال مُهلهل: إنما قتلتُه بِشِسع نَعْلِه، فغضِبَ الحارثُ عند ذلك، وقال: الأُمور مخلوجَةٌ وليست بِسُلكَى[2]، ثُمَّ قال:

قَـرِّبَـا مَـرْبِطَ الـنعـامـةِ مِـنِّي لَقِحَتْ حـربُ وائـلٍ عن حِيـالِ
لا بجيـراً أَغْـنَى قـتيـلاً ولا رَهـ ـطَ كُلَيْبٍ تـزاجَـروا عن ضَـلالِ
لم أكُنْ مِنْ جُنَـاتِهـا، عَلِمَ اللَّهُ، وإنـي بِـحَـرِّهـا الـيـومَ صـالِ
قَـرِّبـا مَـرِبطَ الـنَّعـامـةِ مِـنّـي إنَّ قَتْـلَ الغُـلامِ بـالشِّسْـعِ غَـالِ

وتولَّى الحارثُ حِينئذٍ أمرَ بَكْرٍ، وكانَ أكثرُهـم قَعدوا عن نُصرةِ بني شَيْبَانَ لقتلِهِمْ كُليباً، فكان بين بني شَيْبانَ وتغلب وقائعُ كثيرةٌ كلُّها فيها الدائرةُ لبني تَغلب على بني بَكْر.

وَلَمَّا تولَّى الحارثُ من أمرِ بَكْرٍ ما تَوَلَّاه أوقَعَ ببني تَغْلِب، وكان أوَّلَ يومٍ حضَرَه من وقائِعِهم يومُ قِضَّة وهو يومُ تحلاقِ اللِّمَمِ فأسرَ مُهلهلاً وهو لا يَعرفُه، فقال له: دُلَّني على عديٍّ وأُخلِي عَنْك، فقال له عَدِيّ: عليكَ العهدُ بذلك إنْ دَلَلْتُك، قال: نَعَمْ، قال: فأنا عَدِيّ، قال له الحارثُ: وَيْحَكَ فأَحِلْني فَأَحاله على خالِه امرئِ القَيْس بن أَبان التَّغلبي.

وكان امرؤُ القَيْسِ هذا قد قَال لمهلهل يومَ سأل المهلهل بجيراً مَنْ خَالُك، فقال امرؤُ القيس: إنّي أرى غُلاماً لَيُقتَلَنَّ به رجلٌ لا يُسئَلُ عن حالِه، فكان هو المقتولُ، شَدَّ عليه الحارثُ فقتلَه وخَلَّى عن عَدِيّ.

---

(1) السِّفَاء: الدواء. ولا يستقيم المعنى إذا قلنا: «كَفَّ سِفاءها»، ولعل المقصود: «كف سفاها» أي جعل لجهلها وطيشها حدّاً.

(2) يقصد أن الأمور معوجة غير مستقيمة، فالمخلوج: المعوج، والسلكى: الأمر المستقيم.

وقال الحارثُ بن عُبَاد في أَسْرِه عَدِيّاً وتَخلِيَتِه إيَّاه:

لَهْفَ نفسي على عَدِيٍّ ولم أعرف عَدياً إذْ أمكَنَتْني اليدانِ
طُلَّ من طُلَّ في الحروب ولم أوتِرْ بُجَيْراً أَبَاتُهُ ابن أَبانِ[1]
فارسٌ يَضرب الكتيبةَ بالسيفِ وتَسمو أمامه العَينانِ

وتَجَرَّدَ الحارثُ لحربِ بني تغلب فأبادهم حتى تَفَرَّقَت عن مُهلهل ففرَّ مهلهل فهلَك غريباً في غيرِ بلادِه.

وكان لِمُهلهل فرسٌ يقال له الوَرْدُ وعليه كان يومَ تحلاق اللِّمَم يومَ انهزمت بنُو تَغلب وقال فيه:

لَم أرِمْ عورةَ الكتيبةِ حتى حُذِيَ[2] الوَرْدُ من دِماءٍ نِعالا
عَرِفَته رماحُ بَكْرٍ فَمَا يأخذن إلا لَبَّاتِه[3] والغَزالا

وَأشَارَ في هذا البيت إلى جُرأتِه وإقدامِه وأنَّ الرماحَ إنما تأخذُ مَقادمَ فَرسِه لكونِه لا يَفرُّ فلا يلقاه قِرنُه إلَّا مُقدِماً كما قال الآخر:

محرَّمة أكفالُ خيلي على القَنا مباحٌ لها لَبَّاتها ونُحورُها

وفي ذِكرِ وَرْدٍ آخرَ قال الأعْرَج المَعْنى:

أرَى أُمَّ سهلٍ ما تزال تفجَّعُ تلومُ وما أدري على ما تَوجَّعُ
تلوم على أن أُعطِيَ الوَردُ لقحةً وما تستوي والورد[4] ساعةَ أفزَعُ
إذا هي قامت حاسراً مُشْمَعِلَّةً نخيبَ الفؤادِ رأسُها ما يقنعُ

(1) طُلَّ دَمُه: هَدَر ولم يُثأر به ولم تؤخذ ديته، ومثله طَلَّ (مبني للمعلوم) يَطِلُّ؛ جاء في ب: أوتر (بالتاء المثناة)، رباعي وتَرَ يتِر بمعنى أدرك أحداً بمكروه.

(2) في ب: جُذي (بالجيم) وهو تصحيف، والصواب: حُذِي (بالحاء المهملة): من حذا النَّعل: قدره وقطعه على مثال، وحذا الجلد: قطعه.

(3) اللَّبات (جمع لَبَّةٍ): موضع القلادة من العنق والقلادة نفسها.

(4) في أ: وما تستو الورد.



فارسان يتدربان على مبارزة «التحطيب»

من مخطوطة ترجع إلى آخر عصر المماليك الجراكسة محفوظة بمتحف الفنّ الإسلامي - برلين.

وقمتُ إليـه بـاللِّجـام ميَسِّـراً   هنالك يَجزيني الذي كنتُ أصنعُ

ويأخذُ بطرفٍ من هذا المعنى في تفضيلِ الخيلِ على النساءِ ما حُكِيَ من أنَّ الحجَّاجَ عُرِضَ عليه جَوارٍ وأفراسٌ في يومٍ عُرِضَ عليه فيه أُسارَى من الخوارِج فجعلَ رجُلٌ منهم يُصَعِّدُ بَصَرَه في وجهِ جاريةٍ ويصرِفُه إلى وجهِ فرسٍ استحساناً للصِّنفيْن، وعلى عادةِ العرب في حُبِّ النساءِ والخيلِ وذلك بعينِ الحجَّاج، فقال الحجَّاج: أيّهما أحبُّ إليك فأطرقَ غيرَ طويلٍ ثمَّ قال:

لَصَلْصَلَةُ اللِّجـامِ بـرأس طِـرْفٍ   أحـبُّ إليَّ مـن أن تَـنْكِـحـيـنـي
أخـافُ إذا حَـللنـا في مَـضـيـقٍ   وجَـدَّ الـركضُ ألاَّ تَـحـمِـلـيـنـي

فقال له الحجَّاج: [أولَى لك][1] لو غيرَها قُلتَ لَرميتُ أكثرَك شعراً؛ وفي ضدِّ ذلك قال الفرزدق:

ومـا أرى ركـوبَ الخيـلِ يُعجبُني   كمـركَبٍ بين دُملوجٍ[2] وخَلْخـالِ
ألذُّ للفارسِ المجري إذا انبهرت   أنفـاسُ أمثالِهـا تجـري بـأمثالِ

وفي الوَرْد، فَرسٌ آخرُ، قال بعضُ الشُّعراء:

ألاَ لا أبالي اليومَ ما صَنعتْ هِندُ   إذا بَقِيَت عنـدي الجُمانـةُ والـوَرْدُ

ولهذا الشّعرِ حِكايةٌ، وذلك أنّ رجلاً من هَمْدان تزوَّج ابنةَ عَمٍّ له فلم يَلبَث أن ضُرِب عليه البعثُ إلى أذربيجان فأصابَ بها خيراً واستفادَ بها جاريةً وفرساً فسمَّى الفرسَ: الوَرْدَ والجاريةَ: الجُمانةَ، ثم أقفلَ فأتاه ابنُ عَمٍّ له فقال: ما يَمنعك من القفول؟، قال: أخشى على ابنةِ عمّي أن تحولَ بيني وبين هذه الجارية وقد هَوِيْتُها: ثُمَّ أنشأ يقول:

ألاَ لا أُبالي اليومَ ما صنَعَتْ هندُ   إذا بَقِيَتْ عنـدي الجُمانـة والـوَرْدُ

(1) عبارة ساقطة في ب.
(2) الدُملج والدُملوج: حلية كالسوار تحيط بالعضد.

شـديـدُ مَنَـاطِ المَنْكِبَيْن إذا جـرى   وبيضـاءُ مثلُ الـرِّيم زَيَّنَهـا العِقْـدُ
فهـذا لأيـامِ الهِيـاج[1] وهـذه   لِمَوْضِع الحاجاتِ إذا انصرفَ الجُندُ

فَبَلَغها الشِّعرُ فكتبت إليه:

لَعَمـري لَئِن شَـطَّت بنُعمـان دارُه   وأضحى غنياً بـالجُمـانـة والـوَردِ
ألا فـاقْرهُ منِّي السـلامَ وقـلْ لـه   غَنينـا بفِتيـانٍ غـطارفـةٍ مُـرْدِ
إذا شـاء منهم نـاشئٌ مَدَّ كَفَّـه   إلى كَفـلٍ رَيَّـان أو كَعْثَبٍ نَهْـدِ
فـإنْ كُنتم تَقضون حـاجـةَ أهلِكُمْ   قريباً، فنقضيها على القربِ والبُعدِ
إذا رجَـع الجندُ الـذي أنتَ فيهمُ   فزادَك ربُّ العرشِ بُعداً على بعدِ

فلمَّا وصَلت إليه أبياتُها باع الجاريةَ وأقبلَ مُسرعاً إليها فوجدَها معتكفةً على مسجِدها وصلاتِها فقال: يا هندُ، أفَعلتِ ما قلتِ؟ قالت: اللَّهُ أجلُّ وأعزُّ في عيني وأعظمُ من أن أركَب مأثماً، ولكن كيف وَجدْتَ طعمَ الغيرة؟ إنك غِظْتَني فغِظتُك.

وكان لأبي الصهباء بِسطامِ بنِ قيسٍ فرسٌ يقال لها ذاتُ النُّشوع[2] وعليها أفْلَتَ يومَ العُظالى الذي كان لبني يَربوعٍ على بني بَكْرٍ؛ وسببُ فِراره أنَّ قومَه بني شيبانَ أغاروا على بني يَربوع فتعرَّف بِسطامٌ من أمرِهم ما لم يعرِفْه قومُه، وذلك أنَّ بِسطامَ كان عَرف عامَّة غِلمانِ بني ثَعْلَبَةَ حين أسَرَهُ عُتَيْبَة فسأل في ذلك اليوم غُلاماً من الحيِّ عرفَه، فقال: أخْبِرني عن خبرِ حَيِّك أين هو من السواد الذي هو بالحَديقة؟ قال: أولئك بنو زُبَيْد[3]، قال: أفيهم أُسَيْدُ بنُ حنَّاءة؟ قال: نَعَم، قال: كَمْ هُم؟، قال خمسون بيتاً، قال:

(1) الهِياج: الحَرب كالهَيْج والهيجاء.
(2) كذا في النسختين. وجاء في كتاب «الحلبة»: ذات النسوع (بالسين المهملة) ص 78 كما في «أسماء الخيل» لابن الأعرابي، ص 79، وكتاب الخيل للأصمعي، وأسماء خيل العرب للأعرابي، ص 104.
(3) في أ: بنو زيبة.

فأينَ عُتَيبةُ وأين بنو أرثَم؟، قال: نزلوا رملة الثَّمَد، قال: فأين سائرُ الناس ؟، قال: هم مجتمعون بجُفاف، قال: من هناك من بني عاصِم بنِ عبيد، أين الأُحَيمر؟، قال: فيهم، قال: أين قُعنبُ ومعدانُ ابنا عِصْمة؟، قال: فيهم، قال: أينَ وديعةُ بنُ أوس الأرثمي؟ قال: فيهم، قال: فَمَن فيهم من بني الحارثِ بنِ عاصم؟، قال حُصَيْن بنُ عبد الله، وعِفاقُ بنُ عبدِ الله؛ وبنو عاصمٍ هؤلاء هم الذين يقولُ أحدُ بني تَمِيمٍ في مَدْحِهم ووصفِ شَجَاعَتِهِمْ:

ولـمَّـا رأيـنَ بـنـي عـاصـمٍ دعـون الـذي كُـنَّ أُنـسـيـنَـهُ
فَـواريـنَ مـا كـنَّ حَـسَـرْنَـه وأخـفَـيْـنَ مـا كـنَّ يُـبـديـنَـهُ

يصفُ نساءً سُبينَ فأُنسين الحَياءَ فأَبْدَيْن وجوههنّ وحَسَرْنَ رؤوسَهنَّ.

فلما رأينَ بني عاصم وثِقْنَ بشِدَّة بأسِهم فأَيقنَّ أنهنَّ قد استُنقذن فراجعن حياءهُنَّ فَسترن وجوهَهنَّ وغطَّينَ رؤوسَهُنَّ.

ولما استوعَب بِسطامُ ما قال الغلامُ، قال لأصحابه: أتُطيعونني تقبضوا عن هذا الحيِّ الجَدِيد من بني زُبيد فتصبحوا غداً بالقَيقاء غانمينَ سالمين، قالوا: وما تُغْنِي عَنَّا بنو زُبيد لا يردون رحلتنا، قال: **إنَّ السَّلامةَ إحْدَى الغَنيمتين**، فذهبت كلمتُه مثلاً، فقالوا له: إن عُتيبة قد مات، يعرِّضون له بأسرِه إياه، وقال له مفروق: انتفخَ سحرك أبا الصَّهباء، وقال له هَانِىء: أجُبْناً بِسطام، قال لهم: إنَّ أُسَيداً لم يُظلّه بيتٌ قطُّ شاتياً ولا قائظاً، إنما يَبيت القَفْرَ متوسِّداً طولَ الشقراء لم تَبِت عنه نَفَساً منذُ كذا، فإذا أَحَسَّ بكم أحال على الشقراء فأنذَر بكم بني يربوع وأنتم قليلٌ فأحاطوا من كلِّ وجهٍ، فكان الأمرُ كما قال لهم.

وقال متمّمٌ في إنذارِ أُسَيد بن حَناءة قومَه:

لَعمـري لنعمَ الحيُّ أسمحَ غُـدوةً أُسَيد وقد جـدَّ الصراخ المصـدّق

فأسمع فِتيانا كجِنّةِ عَبقرٍ لهم رَيْقٌ[1] عند اللقاءِ ومصدَقُ

وقال العَوام[2] في إفلات بِسطام:

ففرَّ أبو الصَّهباء إذ حَمِش الوغى وألقى بأبدانِ السلاحِ وسلَّما[3]
وأفلتَ بِسطام، حريضاً، بنفسه وغادرها كرشاءَ لَدْنا مقوّما[4]
وأيقنَ أنَّ الخيلَ إن تلتبسْ به يقظْ غانياً أو يملأ البيتَ مأتَما

وعلى ذاتِ النّشوع، الفرسِ المذكورة، نجا الربيعُ بنُ عُتيبةَ بنِ الحارثِ بنِ شِهاب من يدِ بِسطام إذْ أَسَرَه وهربَ فركبوا في أثره ففاتهم، وكان عُتيبةُ، أبُوهُ، في نادي قومِه يُحدِّثُهم وكان معه زئي [كذا] فجعل يقول في أثناءِ حديثِه: انجُ ربيعُ، فلما انتهى الربيعُ إلى أدنى بلادِ بني يربوع فإذا هُوَ براعي غَنم فاستَسقاه ونزَل عن الفَرس فضربت برأسها فماتت لوقتِها فسمِّيَ ذلك المكان هبير الفرسِ إلى اليوم.

وكان لبسطام بنِ قيسٍ فرسٌ آخرُ أدهمُ يسمَّى الزَّعفَران وعليه قُتِلَ يوم نقا الحَسين قَتَلَه عاصم بنُ خليفة بن صباح الضبِّي:

وخَرَّ على الألاءةِ لم يُوَسَّد كأنَّ جبينَه سيفٌ صقيلُ
أفاتته بنو زيدِ بنِ عمرٍو ولا يُوفي ببسطامٍ قتيلُ

وتَقَدَّم في هذا الخبرِ ذكرُ الشَّقراء فرس الأُسيد بن حناءة اليربوعي، وكان لا يُظِلُّه قَطّ إلا ظِلُّها، كان لا يُؤويه بيتٌ شاتياً ولا صائفاً وإنما بيتُه القَفْرُ وظِلُّه الشَّقراء.

---

(1) الرَّيق: من راق يريق بمعنى جاد بنفسه عند الموت.
(2) في أ: الفوام.
(3) حَمِشَ: اشتَدَّ، ومثله حَمِسَ (بالسين المهملة).
(4) حريضاً: من حَرَضَ يحرض بمعنى أشرف على الهلاك، وجاء في النسخة ب: خريص، وهو تصحيف.

والشقراءُ فرسٌ أخرى في بني يَربوع كانت للأُحَيْمِر بنِ عبد الله، وعليها كان يومَ العظال حين أهوَى لِيَطعن بسطام فولّى منهزماً؛ **والشقراءُ** فرسٌ ثالثةٌ لقعنب بن عتّاب اليربوعي، وهي التي قال له فيها بُجَيرُ بنُ سَلَمة بنِ قُشير: كيف شُكْرُكَ للشقراء؟، قال قُعنب: وما عسيتُ أنْ أشكرَها، قال: لأنّها أنْجَتْكَ مِنّي، قال: ومتى ذلك؟، قال: حين أقول:

أمُخْتَـرِمي ريبُ المنـونِ ولم أُرَعْ بِشُعثِ النواصي سرح عَمْرو بنِ جُندبِ[1]
ولـو أمكنَتْني من بشـامـة مُهـرتي لَـلاَقى كمـا لاقى فـوارسُ قعنب
تمطّت به الشقـراءُ بعد اختـلاسِهَا على دَهَسٍ[2] وخلتُني لم أُكـذَب

فأنكرَ ذلك قعنب فتحـالفـا وتلاعبا، وكان هذا الشعرُ سبباً لأَنْ قتلَ قعنبٌ بجيراً يومَ المروّة.

وكان للقيطٍ بنِ زُرارة فرسٌ يقال له **الأشقر**، وفيه قيل المثَل: **هو الأشقرُ إن تَقدَّم نُحِر وإن تأخَّر عُقِر**، وذلك أنَّ لقيطاً كان عليه يومَ شِعْب جبلَة، ويومئذٍ قُتِلَ، قتلَه جَعدةُ بنُ مِرداس النميري، فقال لقيطٌ ـ حين اشتدَّ عليه الأمرُ ـ لِفرسه أشقر: **إن تَقدَّمْ تُنْحَرْ أو تَأخَّرْ تُعقَرْ** فذهبت كلمته مثلاً.

وكان الأشقرُ يومئذٍ مُجَفَّفاً[3] بالديباج وهو أوَّلُ [فرسٍ] عربيّ جُفِّفَ؛ وإلى معنى هذا المَثَلِ [أشارَ] دِحية في قوله:

فـشــكَّ وجــاشــت لــه نـفـسُــه وجــاشت نفــوسُ بني الأَصـفـرِ
وأصـبـحَ قـيـصــرُ مِــنْ أمـره بـمـنـزلـةِ الـفَـرَسِ الأشـقــرِ

والأغرّ، صِفةٌ غالبة، فرسٌ بعينه كان لأبي سليطٍ طَريف بنِ تميم

---

(1) شعث (جمع أشعث): متسخ الشعر.
(2) الدَّهْس: المكان السهل اللين.
(3) مُجَففاً: من جفَّفَ الفرس: وضع عليه التَّجفاف، وهو ما يلبسه المحارب كالدِّرع، وما يجلَّل به الفرس من سلاح وآلة.

العنبري من بني عَمْرِو بنِ تميم، وفي ذكره قال:

أوكُلَّمـا وَرَدَتْ عكـاظَ قبيلةٌ بعثـوا إليَّ عـريفَهم يتـوسَّمُ
فتـوسَّمـوني إنَّـني أنـا ذاكـمُ شاكي سلاحي[1] في الحوادثِ مُعلَمُ
تحتي الأغَرُّ وفوقَ جِلدي نُثْـرةٌ زَغْفٌ[2] تـردُّ السيفَ وهـو ملثمُ[3]
ولـكـل بَكـريٍّ علـيَّ عَـداوةٌ وأبـو ربيعـةَ شـانـىءٌ ومُـحلمُ
حـولي أُسَيـدٌ والمُجَيْمُ ومـازنٌ وإذا حللتُ فَحـوْلَ بيتِي خُضَّمُ

وكانَ أبو سليط يقال له فارس الأغرّ، وكان قتلَ شراحيلَ الشيباني أحدَ بني عَمْرو بنِ أبي ربيعةَ بنِ ذُهل بنِ شَيْبان، فلما وَرد حمصيصةُ بنُ شراحيل سوقَ عُكاظٍ قال: أروني طريفاً، فأَرَوْه إيَّاه، وكانَ لا يتقنَّع كما كان من عادةِ فرسانِ العَرب، فإنَّهم كانوا لا يَرِدون عكاظَ إلا متبرقعين.

وكذلك كانوا في المواسِم والجُموعِ وفي أسواق العرب، لأنهم كانوا يَكرهون أن يُعرَفوا فلا يكون لفرسانِ عدوِّهم هَمٌّ غيرَهم، فكان طَرِيف لا يبالي أن يُثبت عينَه بجميع فرسانِ العرب، وكان يقول: قَبَّح اللَّهُ مَنْ تبرقع خوفَ الموت؛ ولَمَّا أثبت حمصيصةُ عينَه بسوقِ عكاظ جعل كلَّما مرَّ به تأمَّلَه ونظر إليه ففطن له طريف فقال: ما لَكَ تنظُرني؟ فقال: أتوسَّمك لأعرفَك فللَّه عليَّ إنْ لقيتُك أن أقتلَك أو تقتلَني، فقال طريف في ذلك الأبياتَ المتقدّمة، فلما كان يوم مُبائض قتله حمصيصةُ وقال في قتله إياه مجاوباً له:

ولقد دعوتَ طـريفُ دعوةَ جـاهلٍ سفَهـاً وأنـت بمـعلَمٍ لـو تَـعلمُ
وأتيتَ حَيَّـاً في الحـروب مَحلُّهم والجيشُ بـاسمِ أبيهمُ يُستـهـزَمُ
فـوجـدت قـومـاً يمنعـون ذِمَـارهم بُسْلاً إذا هـابَ الفـوارسُ أُقـدِمُ

---

(1) في ب: السِّلاح.
(2) في ب: زعف (بالعين المهلمة)، والزُّغْفُ (بالمعجمة): الدِّرع الكبيرة.
(3) هكذا في النسختين، ولعلّ الصواب: مُثَلَّم: بمعنى غير ماضي القطع.

سلبــوكَ دِرعَـكَ والأغـرَّ كِلَيْهمــا   وبـنــو أُسَيــدٍ أَسْـلَمــوك وخصَّمُ

ويعني بقوله: «والجيش باسمِ أبيهم يستهزم» تداعِي الأبطال بقولهم: خُذْها وأنا فلانٌ أو ابنُ فلان.

والرَّبذُ اسمُ فَرسِ الحارثِ بْنِ شريك الحَوْفزان، وعليه كان سُمِّيَ الحَوْفَزان، وذلك أنه كان رئيسَ بني شيبان في يوم جَرود الذي كان لبني تميمٍ على بني بَكْر، فلما انهزمَت بنو شيبانَ أدركه قَيسُ بنُ عاصِمٍ المِنْقَري، فقال له استأسِرْ يا حارِثُ لخيرِ آسِرٍ، فقال له الحارِث: [ما شاء الرَّبَذُ، أي أفعلِ ما شاء الفرسُ؛ فلما خافَ قيسٌ أن يفوته الحارث][1] زَرَقَهُ بالرمح زَرْقةً[2] أصابت خُرابةَ وَرِكِه[3] فأفلت مطعوناً فبذلك سُمِّيَ الحَوفزان.

والعصا اسمُ فَرسِ قَصيرِ بنِ سعدٍ اللَّخمي صاحِب جَذِيمةَ الأبْرش الذي قِيلَ فيه: **رَكِبَ العَصا قَصير**.

وأصلُ هذا المَثَلِ أن قصيراً كان نَهى جَذِيمة أنْ يصير إلى الزبَّاء فعصاهُ حتى إذا صار في سُلطانها نَدِمَ فقال القصيرُ: ما الرأيُ؟ فقال: **بِبَقّةَ تَركتَ الرأيَ**، فذهبت كلمتُه مثلاً. **وبَقَّةُ** موضعٌ كانت الفوز[4] بين مملكةِ الأبرش والزبَّاء، وكان الأبرشُ شاورَ بها رجالَه في المُضِيّ لِنِيَّته أو الرجوعِ، فكلُّهم صَوَّبَ رأيَه في المضِيّ إلاّ قصيراً فإنَّه استمرَّ على نَهْيِه فلم يَسمَعْ منه، فقال عند ذلك: **لا يُقْبَلُ لِقَصيرٍ رَأْيٌ**، فذهبت مثلاً، ثمَّ قال له: **ستلقاكَ الخيولُ فاركَبِ العَصا فإنَّه لا يُشَقُّ غبارُه**، فذهبت مثلاً، فلَقِيتْه الخيولُ فأحاطت به وحالت بينه وبينَ العصا، ولجأ قصير إلى العصا فنجا عليها فنظروا إليه، فقالوا: **رَكِبَ العصا قَصير**، فذهبت مثلاً، وقال هوَ في نفسه: ما

---

(1) جملة ساقطة في أ.

(2) زرقه بالرمح: رماه به.

(3) خرابة الورك: مغرز رأس الفخذ.

(4) في ب: الفور؛ ولعلّه يقصد بالفوز (بالزاي المعجمة) مسلك النجاة.

ضَلَّ مَن تَجري به العصا، فذهبت كلمتُه أيضاً مثلاً، ونظرَ إليه جَذيمة فقال: أي حَزْمٍ على العصا، فذهبت مثلاً.

وتمامُ القِصّة أن الزبَّاءَ غَدَرت جَذيمة وقتلتْهُ، وذلك أنَّها فَصدت راهِشَيْه[1] وأسالت دمَه على نِطْع وقالت: أُحفَظُ دَمَك لا يَقطرُ على الأرض. فقال جَذيمة: وما يهمُّكِ من دمٍ ضيَّعه أهلُه. قالوا: وأراد جَذيمة أن يَقطُرَ دمُه في الأرض فمنعَتْه من ذلك وبسطت له النِّطعَ لئلا يقعَ دمُه في الأرض، لأنّهم كانوا يزعمُون أنَّ المقتولَ غدراً إذا وقعَ دمُه في الأرض أدركَ ثأْرَه.

وقيل إنما أرادت هيَ حفظَ دَمِه للكَلَبِ، يعني أنه شريفٌ ينفع دمُه من الكَلَبِ إذا عولج به على ما كان من مذهبِ العربِ في ذلك.

وكانوا يزعمون أنَّ الرجلَ إذا عضَّه الكَلْبُ فَقَصَدَ له شريفُ القومِ نفسَه وشرِب من دَمه شُفِيَ؛ **وعصا قصير** هيَ أشهرُ فَرسٍ في العرب تُسمَّى **العصا**.

ويُحكَى عن الرياشي أنَّ **العُصيَّةَ** فرسٌ كريمةٌ فَنُتِجَت مُهراً فَسُمِّيَ **العصا** وخرج جواداً فقيل: **العَصا من العُصيَّة**، وذهبت الكلمةُ مثلاً.

والهِراوة اسمُ فرسٍ تَضرِب بها العربُ المثلَ، ويقال لها **هِراوةُ الأعزاب**، وكانَ صاحبُها يقال له الرَّيَّان بنُ حُوَيْص العبدي من عَبدِ القَيس بن أفصى، كان يُعيرُها كلَّ عزَبٍ[2] في قومِه يستعين بها، فإذا أَثْرى دفعها إلى آخر، كذلك أبداً، فقيل لها هِراوة الأعزاب.

وهَجْل اسمُ فرسٍ كان للربيعِ بنِ كَعْبٍ المازِني وكان أبَرَّ على الخيلِ جودة وكَرَماً، وكان رجلٌ من بني مالكِ بنِ حُطَيْط يقال له قُرادُ بنُ جُرم قَدِمَ

(1) الراهشان: عرقان في باطن الذراعَيْن.

(2) في ب: أعرب، وهو تصحيف.

عليهم لِيُصيبَ منهم غِرَّةً فيأخذ الفرسَ، وكان داهيةً فَمكَث فيهم زماناً لا يعرفون نَسَبَه ولا يَظهرُ أَمْرُه.

وكانَ للربيع أخٌ أَنْوَكُ[1] يُدْعى كُمَيشاً، فدفع إليه الربيعُ الفرسَ يوماً ليأتيَ به أهلَه، فلما نظر قُراد إلى كُمَيْش على الفرس أَمكَنَتْه الفرصةُ فَرَكِبَ ناقتَه ثم عارض كميشاً فقال: يا كُميش هل لكَ في عَانَةٍ[2] لم يُرَ مثلها فيها عَيْرُ من ذهبٍ، أما الأَتَانُ فتروحُ بها إلى أَهْلِك فتَفرَحُ صدورُهم وتمتلىءُ قدورُهم وتشبَع بطونهم، وأما العَيرُ فلا افتقارَ بعدَه؛ فقال كُميْش: وكيف لنا به؟، فقال قُراد: أنا لك به، إلا أنَّه لا يُدرَكُ إلا على فرسِك؛ فقال كميش: فَدونك؛ فأخذَ منه الفرسَ وانصرف لوجهِه ولم يزل كُميشٌ في انتظارِه حتى أَمْسى، فلما أمسى قال في نفسِه: إن سألني أخي عن الفرس أقولُ له إنَّه تَحَوَّلَ ناقةً، وظنَّ أنه قَد أَحْكَم ذلك في نفسِه، فلما رَآه أَخُوه على الناقةِ ظنَّ أنَّه خُدِع، فقال له: ما فعلَ الفرسُ؟، قال: تَحَوَّل ناقَةً. قال الربيع: فما فَعل السَّرجُ؟، قال: لم أذكر، فاطلُبْ أنت له عِلّةً، فضربه حتى كاد يقتلُه، وقام كعْب أبو الربيع ليقتل كُميشاً وَجْداً على الفَرسِ، فقال له الربيع عند ذلك: لا تفعلْ، أنفُكَ منك وإن كان أَجْدَع، فذهبت مثلاً.

وجُمَيْزةُ اسمُ فرسِ شيطانِ بنِ مُدلِج الجشمي، ويضربُ بها المثلُ في الشُّؤم.

وكان من حديثها أنَّ بني جَشم بنِ مُعاوية استهلُّوا قبلَ رجب بأيامٍ يطلبون المَرعى، فأفلت جُهَيْزة فجاء صاحبُها عامَّةَ نهارِه حتى أخذَها، وخرجت بنو أسدٍ وبنو ذُبْيَانَ غازين فرأوا أثرَ جُميزة فقالوا: إن هؤلاء لقريبٌ منكم فاتْبعوا أَثَرَها حتى هَجموا على الحيِّ فغنِموا، وذلك يوم نستان.

---

(1) أنوك: أحمق، جاهل.

(2) العَانة: القطيع من حمر الوحش.

واللُّعَّابُ وعفزرْ فَرسانِ كان أحدُهما لقيسِ بنِ عامرٍ أحدِ بني عَبد بن عَدِيّ بنِ كِنانة، والثاني لأخيه سالِم؛ وكانا أغارا يوم الدُّهَيْماء على بني عمرو بنِ الحارثِ من هُذَيْل على غَنَم لجُندب بنِ أبي عَبْس، فباتا في طريقِها برجلٍ من بني نفاثة فقال: ارجِعا لأَرَيَنَّ رِماحَكما تُكْسر في قَتَادٍ[1] نعمان؛ فقالا: إنَّ رماحَنا لا تُكسر إلاَّ في صدورِ الرجال؛ قال: لا يضرُّكما قولي وَسَتَحمدانِ رأيي؛ فلمَّا أصبحا وبرز المتن الدُّهيماء[2] من نُعمان شَدَّ عليهما جُندب فقتلَ قيساً وأفلت سالمٌ خرج وترك سيفَه في المعركةِ وترك فرسَه وتحوَّل على فرسِ أخيه المقتول.

والأَعْور اسمُ فرسٍ كان لِعِجل[3] بنِ لُجَيم، وسببُ تسميته بالأعور أنه أرسَل يوماً ابنَه على الفرسِ في حَلْبةٍ فجاء سابقاً فقال الإبنُ: يا أبتِ كيف تَرى أنْ أُسمِّيَه؟ وكان عِجْلٌ أحمقَ، فقال له: اِفْقَأْ عينَه وسِمّه الأَعْور. فقال الشَّاعر في ذلك:

رَمتْني بنو عِجلٍ بداءِ أبيهم وأيُّ عبادِ اللهِ أَنْوَكُ من عِجْلِ
أليس أبوهم عارَ عينَ جَواده فأضحت به الأمثالُ تُضْرب في الجهلِ

والشَّيِّط اسمُ فَرسٍ لأُنَيْفِ بنِ جَبَلَة الضَّبِّي، وكان يقال له فارسُ الشَّيِّط، وهو الذي أسَرَ جَذِيمةَ بنَ طارقٍ التَّغلِبي يوم زَرْوَد الثاني وكان إذ ذاك نَقيلاً[4] في بَني يربوع، وفي ذلك يقول:

أخذتك قسراً يا جَذيمَ بنَ طارقٍ ولاقيتَ مِنّي الموتَ يوم زَرْوَدِ

---

(1) في ب: فتاد (بالفاء) وفي أ: قتادة وَالصواب: قتاد (بالقاف)، والقتاد: شجر صلب له شوك يستخرج منه الصمغ.

(2) المتن: الظهر، وهو أيضاً ما ارتفع وصَلُب من الأرض. والدهيماء: الداهية، ومعناها أيضاً: الفتنة السوداء. ولم نتبين بوضوح معنى قوله: وبرز المتن الدهيماء.

(3) في أ: لفحل، وهو تصحيف.

(4) النقيل هنا بمعنى المغترب.

وصُهْبَى اسمُ فرسِ النَّمِر بنِ تَولب العُكْلِي، وفيها يقول:

لقد غدوتُ بصُهبَى، وهي مُلْهِبةٌ، إلهابَها كضِرام النارِ في الشِّيحِ
جالت لِتَسْنَحني يُسراً فقلتُ لها على يمينكِ إني غير مسْنوحِ
ثم استمرت، تُريدُ الريحَ، مُصعِدَةً نحو الجنوب فَغَرَّتْها على الرِّيح

وفي هذه الأبيات غموضٌ لأنه ذكرَ فرسَه ووصفَ الطريدةَ من الصيدِ فاشتبهت الضمائرُ، ومعنى قولِه: جالت ـ أي الطريدة ـ ولتسنحني يسراً: أي لتَمضي على يَساري، ومنه السانِحُ وَالبارِح.

وكذلك قولُه: ثم استمرَّت تريدُ الريحَ، هيَ الطريدةُ لأنها تَستقبل الريحَ أبداً، قالوا: وإنما تفعل ذلك لِتَبردَ أجوافُها؛ والضميرُ في قوله فغرّتها على الريح للفرس: يعني غَلبت فَرَسُه الطريدةَ فصدَّتها عن استقبال الريحِ.

والحمامةُ اسمُ فرس إيَّاسِ بنِ قبيصَة الطَّائي، وعليها نجا يومَ ذي قار، فكان أوَّلَ من انصرف إلى كِسْرى بالهزيمةِ ولم يُخبرْه بها لأنَّهُ كان لا يأتيه أحدٌ بهزيمةِ جيشٍ إلا خَلَع كَتِفَيه. فلما سأله كسرى عن الجيشِ قال: هَزَمنا بَكرَ بنَ وائلٍ وأتيناك ببناتِهمِ، فأعُجب بذلك كسرى وأمر له بكسوةٍ، ثم أرادَ الانصرافَ عنه والتسلُلَ منه قبل شياعِ الخبرِ، فاستأذَنه في الانصراف إلى أخيه هَاني وقال إنه مريضٌ بعينِ التَّمر فأَذِنَ له فخرج لِحينه، ثُمَّ أتى كسرى رجلٌ من الحِيرَة وهو بالخَوَرْنَق، فسأل عن المَلِك هل دخل إليه أحد، فقالوا: إياس، فظنّ أنه قد أخبرَه الخبرَ فدخل عليه فأخبرَه بهزيمةِ القومِ فأمر به فَنُزِعت كَتِفاه.

وحَذَامِ اسمُ فرسِ جَيّاشِ بنِ قيسٍ الأعور القُشَيْري، وكان قاتَلَ في حربِ اليرموكَ فقيل إنه قَتَلَ بيده ألفَ رجلٍ وقُطعت رِجْلُه في ذلك اليوم فلم يَشعُرْ بها حتى رجَع إلى منزلِه ثمَّ رجع إلى القتالِ ينشُد رِجلَه، وفي ذلك يقول سَوَّارُ بنُ أوفى القُشيري يفخر به:

ومِنّـا ابنُ عَتّـابٍ ونـاشِـدُ رِجْلِه ومنا الذي أدَّى إلى الحَيِّ حـاجباً

وَلم يُرَ أحدٌ فَعل مثلَ هذا إلا ما حُكِيَ من أنَّ حكيمَ بنَ جَبَلَةَ العبدي [كانَ] قُطِعتْ[1] رجلُه على قَصرِ البَصرةَ قبلَ يوم الجَملِ بأيّامٍ فأخَذها وزحف بها إلى الذي قَطعها فلم يَزَلْ يضربُه بها حتى قَتله.

والقَرحاء فرسٌ كان لِذي الجَوْشن الضّبابِي، وهو شُرَحْبيلُ بنُ الأعورِ بنِ عُمَرَ بنِ مُعاوية، وهو الضّباب بنُ كِلاب، وكان من حديثِه فيها أنَّه قَال: أتيتُ النبيَّ - ﷺ - بعدَ أن فرغَ من بدرٍ وقبلَ إسلامي، فقلت: يا مُحمد جئتُك بابنِ القَرحاء لتتخذَه، قال: لا حاجةَ لي فيه وإن أردْتَ أن أقيضك به المختارة من دروع بَدر فعلت، قال: ما كنتُ لأقضيه اليومَ بشيءٍ؛ قال: فلا حاجةَ لي فيه، وفي الحديث طول.

ومعنى أقيضك: أعاوِضُك بمتاعٍ، قال أبو الشّيص:

لا تُنكـري صَـدّي ولا إعـراضِ ليس المُقِلُّ عن الـزمـان بـراضِ
بُـدلتُ من بُـرد الشبـابِ مَلاءَةً خَلَقـاً، وبيسَ مثـوبـة المِقتَـاضِ

والعَـوْدُ اسمُ فرسِ أُبَيّ بنِ خَلَف الجَمحي، وكـان يقـول بمكـة لرسولِ الله - ﷺ -: إن عندي العَوْدَ فرس أَعْلفه كلَّ يوم فِرْقاً من ذُرةٍ أقتلُك عليه، فيقولُ رسول الله - ﷺ - أنا أقتُلُك - إن شاء الله -.

ولَمَّا كان يومُ أُحُد وأسند رسول الله - ﷺ - في الشِّعبِ أدركه عَدُوُّ اللهِ وهو يقول: أينَ محمَّد؟ لا نَجوتُ إن نجا؛ فقال القَوْمُ: يا رسولَ الله أيَعطِف عليه رَجلٌ منَّا؟، فقال: دَعُوه؛ فلمّا دنا تناولَ رسولُ الله - ﷺ - الحَرْبَةَ من يدِ الحارثِ ابنِ الصِّمَّة - يقول بعض القوم - فلما أخذَها رسولُ الله - ﷺ - منه

(1) كان: ساقطة في ب.

انتفضَ بَها انتفاضةً تطايَرنا عنه تَطايرَ الشعراءِ[1] عن ظَهر البَعيرِ إذا انتفض بها، ثمَّ استقبلَه فطعنَه في عُنقِه طعنةً تدهدى[2] منها عن فرسِه مراراً، فلما رجع إلى قُريش وقد خَدشَه في عُنقِه خَدْشاً غيرَ كبيرٍ فاحتقنَ الدمُ، قال: قتلني واللهِ محمّد، فقالوا ذَهَبَ واللهِ فؤادُك، واللّهِ إنَّ بك بأس[3]، قال: إنه قال لي بمكةَ: أنا أقتلُك، فوَاللهِ لَوْ بصَق عليَّ لَقتلَني، فمات عدوُّ اللهِ بسرفٍ وَهُمْ قافلون به إلى مكّة.

وقد قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ فيما قاله يومئذٍ: اشتدَّ غضبُ الله على رجلٍ قتلَه رسولُه فسُحقاً لأصحابِ السَّعير.

والأحوى فرسٌ لِسُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جَعْشَم، وهو الذي ساخَتْ قوائمُه في الأرضِ حين قَرُب من رسولِ الله ـ ﷺ ـ وذلك إذ تَبِعه لِيَردَّه إلى المُشركين عند خُروجه من مكّةَ مهاجراً إلى المدينة.

والعُبَيْد اسمُ فرسِ عبّاس بنِ مرداس السُّلَمِي، وفيه قال حينَ أُعطيَ المؤلَّفةُ قلوبُهم من نَفَلَ حُنَين مائةً مائةً وأُعطِيَ هو أبا عير[4] دون ذَلك فسخط وقال:

أتَجعلُ نهبي ونهبَ «العُبَيْـ ـدِ» بَيْنَ عُيَينة والأقرعِ
وقد كنتُ في الحَربِ ذا تُدْرَإٍ[5] فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ
وما كانَ حِصنٌ ولا حَابسٌ يفوقان مرداسَ في مَجْمَعِ

(1) الشُّعْراء: الفروة؛ ومن معانيها: الروضة الكثيرة الشجر.
(2) تدهدى: تدحرج وانقلب.
(3) كذا في النسختين.
(4) في أ: أباعِر، وهو صواب كأباعير وبعران: جمع بَعير، وهي الإبل التي تصلح للركوب والحمل.
(5) في أ: تَدْرَاءٍ، والصواب ذو تُدْرأ وتدرة، ومعناه الهجّام على أعدائه من حيث لا يشعرون.

ومـا كـنتُ دون امـرئٍ مـنـهـمُ ومن تَضـعِ اليومَ لا يُـرفـعِ[1]

فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ عند سماعِه هذا الشعرَ: اقطعُوا عنّي لسانَهُ، فزادوه حتّى رَضِيَ.

وكان للمِقْدادِ بنِ الأَسود يومَ بَدْرٍ فرسٌ يسمَّى بَعْزَجَة، قال صاحبُ المُحكَم[2]: وشَهِدَ عليه يومَ السَّرح، وللزُّبَيرِ بنِ العوَّام فرسٌ آخَرُ يُسمَّى اليَعسوبُ، ولم يكن للمسلمين يومئذٍ غيرُ هاذين الفرَسَين وفرسٍ ثالثٍ لأبِي مرثد الغَنَوي.

وقيل كانَ للزُّبير بنِ العوَّام في ذلك اليوم فَرسان، وقيل أيضاً كان لحراش بنِ الصِّمَّة بن عَمْرو بنِ الجَموح في ذلكَ اليومِ فرسان جاء وهو يقودهما فسُمِّيَ قائدَ الفَرسْين.

وقال صاحبُ المُحكَم: كانَ فرسُ المِقداد الذي شَهِدَ عليه بدراً يقال له: ذو العُنُق؛ وفي هذا اليومِ المباركِ نَزلَت الملائكةُ مُسَوَّمين، وكانت سيماهم يومئذٍ عمائمَ بيضاً قد أرسلوها وراءَ ظهورِهم إلا جِبريلُ ـ عليه السلام ـ فإنَّه كانت عليهِ عِمامةٌ صفراءُ قد أرخاها وراءَ ظهرِه، وذلك كان زيُّ الزُّبيرِ بنِ العوَّام في ذلك اليوم.

وفي ذلك قالَ عامرُ بنُ صالِح بنِ عبد الله بنِ عُروةَ بنِ الزُّبير يفخَرُ به:

جَـدّي ابنُ عَمَّـةِ أحمـدٍ ووزيـرُه عنـدَ البـلاء وفـارسُ الشَّقـراءِ
وغـداةَ بَـدْرٍ كـان أولَ فـارسٍ شَهِدَ الوغـا في اللأمَـةِ[3] الصفراءِ
نـزلت بسيمـاه المـلائـكُ نُصْـرَةً بـالحـوضِ يـوم تَـأَلُّبِ الأعـداءِ

---

(1) جاء هذا البيت في الأغاني هكذا:

ومـا كـنـت دون امـرىء مـنـهـمـا ومـن تَـضَـعِ الـحـرب لا يـرفَـعِ

(2) هو: أبو الحسين علي بن إسمعيل ابن سيدة (ت: 458 هـ/1066م)

(3) اللأمَة: الفزع والشر المخيف.

ومن خيولِ المسلمين المسمَّاة مَنْدُوب فرسٌ كان لأبي طَلْحةَ الأنصاري رَكِبَه رسولُ الله ـ ﷺ ـ مرةً في يومِ فَزَعٍ فَزَعَه أهلُ المدينةِ، وكان قَطوفاً[1]، فلمَّا رجعَ قال إنْ وجدناه بحراً.

جاء في الصَّحيحين عن أنسٍ قال: فَزَعٍ أهلُ المدينةِ ليلاً فانطلقَ ناسٌ قِبَلَ الصوْتِ فتلَّقاهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ راجعاً وقد سبقَهم إلى الصَّوْتِ وهو على فرسٍ لأبِي طَلْحةَ عُرْيٍ[2] في عنُقِه السيفُ وهو يقول: لَنْ تُراعوا، لن تُراعوا، ثُمَّ قال: وجدناه بحراً، يريد الفَرَسَ، وكان يقالُ له مَنْدوبٌ، وكان فرساً يُبْطِيء فلم يُسبَقْ بعدُ.

وكان للمسلمين في غَزوة ذِي قَرَد أفراسٌ مُسَمَّاةٌ منها بَعْزَجَة فرسُ المِقداد بنِ الأَسْوَد، وتَقدَّم ذكرُه؛ ويقال في هذا الفرسِ سَبْحَة وذوُ اللِّمَّة، وهو فرسٌ لمحمود بنِ مَسْلَمَة؛ ولاَحِقٌ فرسُ سَعْدِ بنِ زَيْد؛ قال صاحبُ المُحكَمِ؛ وعليه شَهِدَ يومَ السَّرْحِ.

ومَسْنُون اسمُ فرسِ أبي قَتادةَ الأَنصاري.

وحزوة فَرسُ أُسَيْدِ بنِ حُضَير، وهي التي جالت ونَفَرت عند نزولِ الملائكة لقراءة أُسَيد القرآنَ.

ولِمَاَع فرسُ عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ وعليها شَهِدَ يومَ السَّرح، وهو عَبَّاد ابنُ بشرٍ أَحَدِ بني حارِثة.

وجَلْوة فرسُ أبي عَيَّاش بنِ مُعاوية، وكان يقال له فارس جَلْوة.

والجَناح فرسُ عُكَاشةَ بنِ مِحْصَن، وعليه شَهِدَ يومَ السرح.

---

(1) فرسٌ قَطوف: بطيء سيء السير.

(2) فرسٍ عُرْيٌ (بضم العين المهملة وسكون الراء): غير مسروج؛ واعْرَوْرَى الرجلُ الفرس: ركبه عُرياً.

وكان لهُ فرسٌ آخرُ يُقال له **اللِّزام**، وعليه كان **يوم بُزاخة**، من أيامِ الرِّدَّةِ، وذلك أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ بعثَ عُكاشةَ بنَ مِحْصَنٍ وثابتَ بنَ أَقْوَم البَلَوي حليفَ الأنصارِ طليعةً أَمَامَهُ.

وكان ثابتٌ على فرسٍ آخرَ يسمَّى **المُحَبَّر**، فلَقِيا طُلَيحَةَ الأَسدي وأخاه مَسْلمَةَ طليعةً لِمن وراءَهما من أهلِ الردَّةِ.

وكان طُلَيحةُ على **الحِمَالَة**، فَرسِه، فلما التقَوا انفردَ أبو طُلَيحة بعُكاشةَ ومَسْلَمةُ بثابتٍ فلمْ يَلْبَث مسلمةُ أن قتلَ ثابتاً وصَرخ طليحةُ بمَسلمة: أَعِنِّي على الرجل فإنَّه قاتِلي، فَكَرَّ معه على عُكاشةَ فقتلاه ـ رحمه الله ـ وأقبلَ خالِدٌ معه المسلمون فَلَم يَرُعهمِ إلا ثَابتٌ قتيلًا تَطؤُه المَطِيُّ، فعَظُم ذلك على المُسلمين، ثمَّ لم يسيروا إلَّا يسيراً حتى وطئوا عكاشةَ قتيلًا، فثقُلَ القومُ على المَطِيِّ، كما وصف واصفُهم، حتى ما تكاد المطِيُّ ترفع أخفافَها.

ومَيْمون اسمُ فرسِ سُهير بنِ رافع، شَهِدَ عليه يوم السَّرح.

وذوُ الخِرَق فرسٌ كان لعبَّادِ بنِ الحارثِ من بني جحْجبي، وكان يُقال له فارسُ ذي الخرق، وكان يقاتلُ عَليْه وشَهِدَ عليه أُحُداً والمَشاهِدَ كلَّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ شَهِد اليمامةَ فقُتِلَ شهيداً ـ رحمه الله ـ.

وذو البِعَال فرسٌ كان للزُّبيرِ بنِ العوَّام ـ رضي الله عنه ـ وعليه قُتِلَ ـ رحمه الله ـ وكان له فرسٌ آخرُ يسمَّى **مَعْروفاً**، وعليه شَهِدَ حُنَيناً.

والبَلْقاءُ فرسٌ كانَتِ لسعدِ بنِ أبي وقَّاص ـ رضي الله عنه ـ وعليها أبلَى أبو مِحْجَن الثَّقفي في **يوم أغواث**، من أيّامِ القادسيةِ، البلاءَ المشهورَ عنه؛ وكانَ أبو مِحْجَنٍ من الشُّجعانِ الأبطالِ في الجاهلية والإسلام، وكان شاعراً مطبوعاً مُجيداً إلا أنَّه كان منهَمِكاً في الشرابِ لا يكادُ يُقْلِعُ عنه ولا يردَعُه عنه حَدٌّ ولا لومُ لائمٍ، وجَلَده عُمَر ـ رضيَ الله عنه ـ في الخَمْرِ مِراراً ونَفاه إلى جزيرةِ البحرِ وبعث معه رجلًا فَهَرَبَ منه ولَحِقَ بسعدِ بنِ أبي وقَّاص بالقادسيةِ

وهو محاربٌ للفُرْسِ؛ وأبو مِحْجَنٍ هو القائلُ:

إذَا مُتّ فـادْفِنّي إلى جَنْبِ كَـرْمَـةٍ   تُـرَوِّي عِظامي بعـدَ مـوتي عُـروقُهـا
ولا تَـدْفِـنَنّـي[1] بـالـفـلاةِ فـإنّـي   أخـافُ إذَا مـا مـتُّ ألاّ أذوقَـهـا

ومن رِوايةِ أهلِ الأَخبار أنَّ ابناً لأبِي مِحْجَنٍ دخلَ على معاويةَ بنِ أبي سفيان، فقال له معاويةُ: أبوكَ الذي يقول: إذا مُتُّ فادفنّي إلى جنبِ كرمة... وأنشدَه البيتين، فقال: نعم يا أميرَ المؤمنين ولو شئتَ لذكرتُ أحسنَ من هذا من شعرِه، قال: وما ذلك؟ قال:

لا تسألِ الناسَ عن ما لي وكثْرتِهِ   وسائلِ الناسَ عن حزمِي وعن خُلُقِي
الـقـومُ أعلمُ أنّـي من سَـراتـهم   إذا تـطيشُ يد الـرِّعـديـدةِ الفَـرَقِ
قد أركَبُ الهَوْلَ مسدولاً عساكـرُه   وأَكْتُم الـسـرَّ فيـه ضـربـةُ العُنُقِ
أعطِـي السِّنانَ غداةَ الرَّوْعِ حِصَّتَهُ   وعـامل الـرّمـحِ أرويـه منَ العلَقِ
عَفّ المـطالبِ عما لستُ نـائِلَه،   وإن ظُلِمتُ، شديدَ الحِقد والحَنَقِ
وقـد أجودُ ومـا مالي بـذِي قَنَعٍ   وقــد أكـرُّ وراءَ المُحجـرِ الفـرَقِ
والقــومُ أعلمُ أنّي من خِـيـارهم   إذا سَمـا بصـرُ الـرِّعـديـدِ للشَّفقِ
قد يُعسِرُ المرءُ حيناً وهو ذو كَرَمٍ   وقـد تثوب سـوام العاجـزِ الحَمَقِ
سيَكثُـر المـالُ يـومـاً بعـدَ قِلَّتِـه   ويكتسي العودُ بعدَ اليْبس بـالورقِ

فقال له معاويةُ: لَئِن أسأْنَا القولَ لَنُحسنَنَّ الصَّفَد، ثمَّ أَجْزَل جائزتَه وقال: إذا وَلَدَتِ النساءُ فَلْتَلِدْ مِثلَك.

وزعمَ الهَيْثَم بنُ عَدِيّ أنّه أخبرَه من رَأى قبرَ أبِي مِحْجَنٍ بأذربيجان، أو قال بناحيةِ جُرجان، وقد نَبَتَتْ عليه ثلاثةُ أصولِ كَرْمٍ وقد طالَت وأثْمرت

(1) في أ: ولا تَدْفِنيني.

وهي مُعْرِشةٌ على قَبرِه مكتوبٌ على القبرِ: هذا قبرُ أبِي مِحْجَنٍ، قال فجعلتُ أتعجَّب وأذكرُ قولَه: إذا متُّ فادفني إلى جنب كَرمة.

ولَمَّا لَحِقَ أبو مِحْجنٍ بسعدِ بنِ أبي وقَّاص أقام معه، فلما كان يومُ أغواث المذكورُ أُتِيَ بِأَبي مِحْجَنٍ سكرانَ فأَمَرَ به سَعْدٌ إلى القَيْد فلمَّا أمسى اشتَدَّ القِتالُ بالسَّواد فصعد أبُو مِحْجن، وكان بالقَصر، إلى سَعْدٍ يستعفيه فذَمَرَهُ[1] سعد وَرَدَّه فرجع وهو يقول:

كفى حزناً أن تَرْدِيَ[2] الخيلُ بالقنا ... وأُتركَ مشدوداً عليَّ وثاقِيا
إذا قمت عَنَّاني الحديد وأُغلِقت ... مصارعُ من دوني تُصم المُناديا
وقد كنت ذَا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فقد تركوني واحداً لا أخَا لِيا
ولِلَّه عهدٌ لا أخيس بعَهدِه ... لئن فُرِجت أنْ لَا أزورَ الخوابيا

ثم قالَ لبنتِ حَفصة امرأةِ سَعْد: وَيْحكِ حُلِّيني يا ابنةَ حَفْصَة ولكِ الله عليَّ إن سَلَّمني اللَّه أنْ أجيءَ حتى أضعَ رِجلي في القيدِ كما كنتُ وإن قُتِلْتُ استرحتُم منِّي، فَحَلَّته فوثَب على البَلقَاء فركبها، قِيلَ بسرجِها وقيل عُرْياً، ثمَّ أتَى العَسكَرَ حتى إذا كانَ بحِيال الميمنةِ كَبَّرَ ثُمَّ حَمَل على مَيْسَرَةِ القوم يلعبُ بين الصفَّين بِرُمحِه وسلاحِه، ثم رجعَ من خَلْفِ المسلمين إلى المَيْسرةِ فكَبَّر وحَمَلَ على مَيْمنةِ القوم يَلعب بَيْنَ الصفَّين برُمحِه وسلاحِه، ثم رجعَ من خلفِ المسلمين إلى القَلْبِ وبَرَزَ أمام النَّاسِ فحملَ على القومِ يلعَب بين الصفين برُمحِه وسلاحِه، فكان لا يَحمِل في ناحية إلَّا هزَمهم، فجعل الناسُ يتعجَّبون من شأنِه، فقال بعضهم: أوائلُ [بن] هاشم بن عتبة أو هاشم نفسه، وقال آخرون: إن كان الخَضِرُ يشهدُ الحروبَ فنظنُّ أن صاحبَ البلقاء الخَضر.

---

(1) في أ: فدمره (بالدال المهملة) والصواب فذَمَره (بالمعجمة) من ذَمَرَ يذْمُر، ومعناه هنا لام يلوم؛ ومن معاني ذمر: حَضَّ.

(2) في أ: أن ترد بي، وهو تصحيف. ومعنى تردى الخيل بالقنا: تُرمَى بالرمح، من رَدَى يَردي رَدْياً؛ وقد يكون المعنى: أن تهلك، من رَدَى يَرْدَى رَدىً.

وقال آخرون: لولا أنَّ الملائكةَ لا تُباشِر القتالَ لَقُلنا صَاحِبُ البلقاء مَلَكٌ؛ وجَعل سَعْدٌ يقول ـ وهو مُشرِفٌ على الناسِ مُكِبٌّ من فوق القصرِ: الضَّبْرُ ضَبْر[1] البَلقاء والطَّعْنُ طعنُ أبي مِحْجن، ولولا مَحبسُ أبي مِحجن لقلتُ أبو محجن.

ولَمَّا تحاجز[2] الناسُ أقبلَ أبو مِحْجنٍ حتّى دخلَ القصرَ من حيثُ خَرجَ ووضع رِجلَه في القيدِ ولمَّا جاء سَعدُ أهْلَه قالت له امرأتُه: كيف كان قتالُكم، فقال: لقينا ولقينا حتَّى بعث اللهُ رجلاً على فرسٍ أبلقَ ولولا أنّي تركتُ أبَا مِحْجَنٍ في القيدِ لظننتُ أنَّها بعضُ شمائلِ أبِي مِحْجن، فقالت: واللهِ إنَّه لأبو مِحْجن كان من أمرِه كذا وكذا، وقَصَّت عليه قِصَّتَه، وها هوَ الآنَ في قيودِه كما كان، فدعا به سَعْدٌ وحلَّ قيودَه وقال: لا نَجْلِدُك على الخمرِ أبداً، وقال أبو مِحْجن: وأنا واللَّهِ لا أشربُها أبداً، كنتُ آنَفُ أنْ أدَعَها من أجلِ جَلْدِكم، وفي روايةٍ: كنت أشربُها إذْ يُقام عليَّ الحَدُّ فأَطَّهَرُ منها، فأما إذ بَهْرَجْتَنِي[3] فواللهِ لا أشربُها أبداً، فلم يَشربْها بعدَ ذلك وقال:

رأيتُ الخمـرَ صـالحـةً وفيهـا مناقبُ تُهْلِكُ الرجـلَ الحَليمـا
فَـلاَ، واللهِ، أشـربُهـا حيـاتي ولا أَشْـفي بهـا أبـداً سقيـمَـا

وقيل في هَذَيْنِ البيتَيْن إنهما له، وقيل إنه تَمَثَّلَ بهما، وهما لقيسِ بنِ عَاصِم.

والجَمُوح فَرسٌ آخرُ لعامرِ الأَصَمَّ الخارجي من بكر بن هَوازِن، وكان شريفاً فارساً كان على مُقَدِّمة شبيب الخارجي وهو الذي كان يُقال فيه أَصَمُّ على جَموح، فذهبت الكلمة مثلاً.

---

(1) من ضَبَر الفرس يضْبِرُ ضبراً وضبراناً: إذا جمع قوائمه ووثب.
(2) تحاجَزَ الناس: تزايلوا وانفصل بعضهم عن بعض.
(3) بَهْرَجَ فلاناً: أسقط عَنه تبعة عملٍ ما، والمقصود من قول أبي محجن: فأما وقد أسقطت عني الحدَّ...

وقيل في معنى المَثَلِ إنَّ الأصَمَّ عندهم يقالُ في الرَّجُلِ الذي لا يُطمَع فيه ولا يُرَدُّ عن هواه كأنّه ينادَى فلا يَسمع، والجَموح من الخيلِ الذي لا يُرَدُّ عن مذهبِه ولا يُصرَف عن طريقٍ، فيُضرب مثلًا للرَّجلِ الذي هذه الصفةُ صِفتُه.

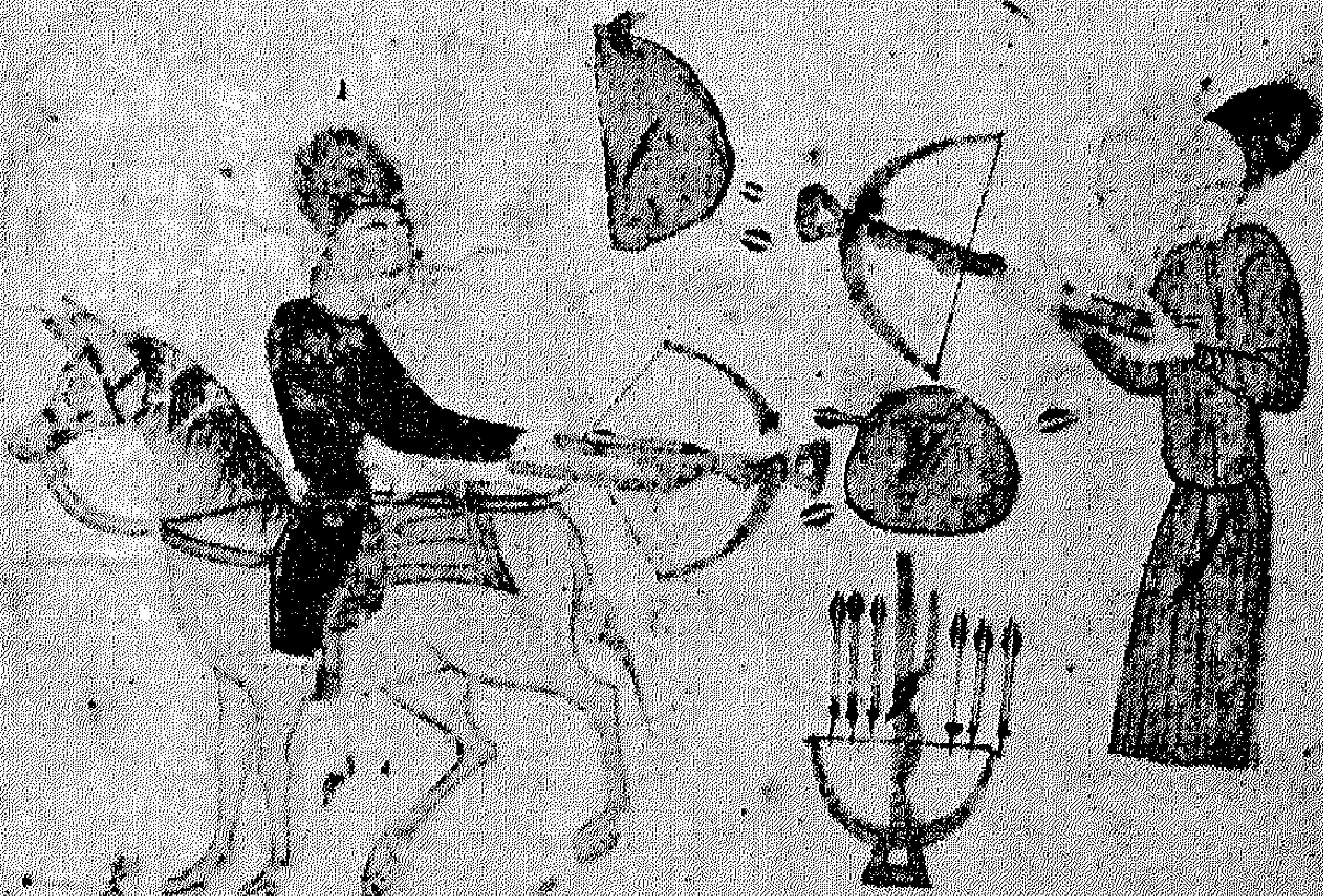
وكان لِعُتبةَ بنِ أبي سُفيانَ فرسٌ يسمَّى الفَيْض، وعليه فَرَّ يومَ صفّين فقال في ذلك عبدُ الرحمن بنُ الحكيم يُعَيِّره:

أإن أعطيتَ سابقةً[1] ومُهرا ... يُسَمَّى الفيضُ يَنهمِر انهمارا
تركتَ السادةَ[2] الأحرارَ لمَّا ... رأيتَ الحربَ قد نَتَجت حُوَارا[3]
فَلَا وأبيكَ والأنْبَاءُ[4] تَنْمي ... لقد أبعدتَّ يا عُتْب الفرارا

وحَزْمَة اسمُ فرس؛ قال الأصْمعي: أرسلَ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ حَلْبةً من الخيلِ وأرسلَ أعرابيٌّ مُجيدٌ[5] فرساً له كان اسمُها حَزْمة فسبقتِ الخيلَ، فقال له الوليد: إحْمِلني عليها، فقال له الأعرابيُّ: هِيَ حَزْمَةٌ ولها حُرمَةٌ ولكن أحمِلُكَ على مُهْرٍ لها سَبَقَ الناسَ عامَ أوّل وهو رابضٌ، أراد أنه كان في بطنِ أمِّه فسبَقت.

وكان لهارونَ الرشيدِ فرسٌ سمَّاه الغَضبانَ، وذلك أنَّه كان يُقَرِّبُ مِعلفَةً لِعنقه ويُطعِمُه بيدِه ويدعوه فيُجيبه، فرآه الفرسُ يوماً وقد أطعمَ فرساً آخرَ من يدِه فكان بعدَ ذلك إذا دعاه لَمْ يُجِبْه وإنْ أطعمَه لم يأكلْ فسمَّاه الغضبانَ؛ ثمَّ إنَّه سَبَق الحَلْبةَ يوماً فقال الرشيدُ للعُمانِيّ الرَّاجِز: قَلِّدْهُ بشيء، فوضعَ عمامتَه في عُنقِه فقلَّده بها فضحِك الرشيدُ وقال: قَبَّحك اللّهُ، أهذا أردتُّ منك، أأنتَ

(1) في ب: أأن أعطيت سابغة.
(2) في أ: السادات.
(3) الحُوار (بضم الحاء): ولد الناقة ساعة تضعه.
(4) في ب: والأبناء.
(5) مُجِيد: من أجَاد بمعنى كان له فرسٌ جَواد.



فارس وراجل يتدربان على الرمي بالقِسيّ

من مخطوطة كتبت في عصر المماليك الجراكسة. عن مجلة «فكر وفن» الألمانية، عدد 30 عام 1977.

أكثرُ قَلائدَ منّي، إنما أردتُّ أنْ تصفَه في شعرٍ فوقفَ وقال:

قد غَضِبَ الغضبانُ في وقتِ الغَضَبْ وسَبق الحَلْبَـة إذ جـدَّ الـهَـرَب
وجـاء يحمي حَسَباً فـوقَ الحَسَبْ مِن إرثِ عباسٍ بنِ عبدِ المطَّلبْ
وجـاءتِ الخيلُ بـه تشكـو التَّعَبْ لـه عليهـا مـا لكمْ على العَـرَبْ

وكان للرشيدِ أيضاً فرسٌ يُسمَّى المُشَمِّرُ فأجري يوماً مع أفـراسٍ للفضلِ وجَعفرٍ فسبَق فقال فيه أبُو العتاهية:

جـاءَ المُشَمِّـرُ والأفـراسُ يَقْـدُمُهـا وَهْنـاً على رِسلِه منها ومـا انتَهـرا
وخلّف الـريح حَسـرى وهي تَتبَعُه وَمَـرَّ يختـطف الأبصـارَ والنـظرا

وكان لعَمرو بنِ مَسْعَدة فرسٌ أدهمُ أغرُّ لم يَملِك أحدٌ من الناسِ مثلَه عِتقاً وحُسناً، فبلغ المأمونَ خَبَرُه وبلغَ ذلك عَمْراً فخاف إنْ أمَرَ بِقَوْدِه إليه ألاَّ يكونَ له حمدٌ فأنفذَه إليه هديةً وكتبَ معه:

يا إماماً لا يدانيه إذا[1] عُدَّ إمامُ
فَضَلَ الناسَ كما يَفضُل نقصاناً تمامُ
قد بعثنا بجـوادٍ، مثلُه ليس يُرامُ
فرسٌ يُزْهَى، به للحسن سَرجٌ ولِجام

وهذا المعنى من المعنى المتقدِّم في ذِكْر الغضبان.

وَبُلَيق فرسٌ جاء فيه من المَثَل قولُهم: **يجري بُلَيق ويُذَمّ**؛ وكان يسبق الخيل جرياً وهو في ذلك يُعاب.

والأبلق فرس قال فيه شاعرٌ من بني نُمير:

قَـرِّبـوا الأبـلقَ عـنـد الـوغـا قـد أتـاكم جيشُ مـوسى بنِ بغـا

(1) في أ: إذ.

ولهذا الرجل حكاية، وذلك أن عمارة بنَ عقيل بنِ بِلال بن جرير امتدح الواثقَ بالله بقصيدة أغراه فيها ببني نمير لعداوتهم له وذكره بعَيْثِهم وفسادهم في الأرض وغاراتهم على اليمامة وغيرها [وأنهم قَتلوا أبا نصرٍ بن حميد، من قُواد الدولة، هو الذي رثاه الطائي][1]. فكتب الواثق إلى ابن بغاء، وهو بالمدينة، يأمره بحربهم، فسار إليهم حتى وافاهم ببطنِ نَخلة، من عمل اليمامة، فهزمه بنو نمير حتى بلغوا مُعسكَره وأيقن بالهَلَكة ثم تشاغلوا بالنَّهب حتى ثاب إلى بغاء من كان انكشف من أصحابه فكَرُّوا على بني نُمير فهزموهم وقتلوا منهم نحواً من ألفي رجلٍ فَطَفِئَت من ذلك الوقت جَمرةُ بني نمير وكانت إحدى الجمرتين الباقيتين.

ومن ذلك السَّبيِ كان الفتى الذي حَدَّث عنهُ المفضَّلُ بنُ محمد بنِ العَلّاي، قال: لما قَدِمَ بُغَاءُ ببني نُمَيْرٍ أَسْرَى كنت كَثِيراً ما أذهبُ إليهم فأسمعُ منهم، وكنتُ لا أَعْدَم أن ألقَى منهم الفصيحَ، فأَتيتهم يوماً في عَقِبِ مَطرٍ وإذا فتىً حَسنُ الوجهِ قد نَهَكه المرضُ وهو يُنشِدُ شِعْراً فلما فَرَغَ قلت لهُ: يا هذا إنَّك لَفي شُغلٍ عن هَذا، قال: صدقتَ ولكن أنطقَني البَرْقُ، ثم اضطجَعَ فما كان ساعةً حتى ماتَ فما يُتوهَّم عليه غيرُ الحُبِّ.

والشعرُ الذي أَنشده هو قولُه:

ألا يا سنا برقٍ على قُلَلِ الحِمَى   لَهِنَّكَ[2] من برقٍ عَلَيَّ كَريمُ
لمعتَ اقْتِذاءَ الطيرِ والقومُ هُجَّعٌ   فَهيَّجتَ أشواقي[3] وأنت سليمُ
فهل من معير طرْفَ عينٍ جَليةٍ   فإنسانُ طَرفِ العامريّ كَليمُ
رمى قلبَه البرقُ المُلالىءُ رَميةً   بذكر الحمى وهناً فبات يَهيم[4]

(1) جملة ساقطة في أ.
(2) في ب: يهنك.
(3) في ب: فهيجتَ أسقاماً.
(4) في أ: سليم.

بابُ المسابقةِ والرّهان

كانتِ العَرب في الجاهليةِ تُراهن على سِباقِ خيلها وتُسَمِّي ما تَجعلُ للسَّوابِق سَبَقاً، كانوا يَعُدُّون ذلك فخراً يتفاخرون به ويتمادحون بسبَبه.

وكانَ من عادَتِهم أنهم كانوا إذا سَبَق الفرسُ الحَلْبَة وبَرَّز قَلَّدوه شيئاً لِيُعرَف أنَّه سَبَق وسَمَّوه المُقَلَّد.

وكان من عادَتهم أيضاً أن يمسحوا وجهَ الفرس إذا جاء سابقاً.

وكان من عادتهم، في عكس هذا المعنى، أنْ يجعلوا للفرسِ الذي يجيء في آخرِ الحَلبةِ حبلاً ويَحمِلوا عليه قِرداً ويدفعوا إلى القِرد سوطاً فَيركُضه القِرد ويُعيِّر بذلك صَاحبُ الفَرس.

وكان بعضُهم إذا تَخلَّف فرسُه عن الحَلبةِ وجاء سُكَّيتاً يَنصِبُه ويرميه بالنَّبل حتى يسقطَ بالأرض تَعدِّياً منهم وظلماً وتعذيباً للبهائم.

وقد فعلَ ذلك النعمانُ بنُ المنذِر بفرسه المسمَّى بالنَّهْب، فيما ذَكَر حصن الكلبِي.

وكانوا يستعمِلون في سِباقهم ورِهانهم طريقةَ القِمَار التي وردت الشريعةُ بالمنع منها والنَّهيِ عنها، ثمَّ جاءَ دينُ الإسلام ومَنَّ اللَّهُ على المؤمنين ببعثِ الرسولِ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أقرَّ من فِعْلهم في السباقِ ما اقتضتْه الملَّةُ الحنيفة وحسَّنتْه الشريعةُ المحمَّدية فيما فيه إعانةٌ على الهِمَّةِ العَلِيَّة وتدريبٌ على المقاصدِ الجِهادية ـ حسبما نذكرُه بعدُ ـ إن شاء الله ـ.

وليست المسابقةُ من بابِ تعذيبِ البَهائم بل من بابِ تدريبها للجَرْيِ وإعدادِها للطَّلب والكرِّ والفرِّ.

وقد اختلَف العلماءُ: هل المسابقةُ من بابِ المُباح الذي لا يَترتَّب على

فِعله ثوابٌ ولا عِقابٌ أو من بابِ المُرغَّب فيه والمندوبِ إليه الذي لا يَترتَّب على فِعله الثوابُ.

وهذا القولُ الآخِر هو الصحيحُ عندنا لما في المسابقةِ من المصالحِ الدينية والمنافِع الشبرعية ـ حَسبَما قدَّمنا ـ.

وقد جاءَ عن النبي ﷺ في المسابقةِ أحاديثُ كثيرةٌ وأخبارٌ عديدة؛ فَمِن ذلك ما رَوَى الواقديّ عن عبدِ المُهيمِنِ بنِ عَبَّاسٍ بنِ سَهْل بنِ سعدٍ عن أبيهِ عن جَدِّه، قال: أجرى رسول الله ﷺ الخيلَ فسَبقْتُ على فرسِ رسولِ الله ﷺ المسمَّى بالظَّرِب فكساني بُرداً يَمانياً.

ورَوَى الواقدي أيضاً عن سليمانَ بنِ الحارثِ عن الزبيرِ بنِ المُنذرِ بنِ أبي أُسَيْدٍ، قال: سَبقَ أبو أُسَيد السّاعدي على فرسِ رسول الله ﷺ المسمَّى بلَزَاز فأعطاه حُلَّةً يَمانية، وقيلَ لأَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ الله عنه ـ أكانَ رسولُ الله ﷺ يُراهِن على الخيلِ، فقال: إي واللّهِ لقد راهنَ على فرسٍ له يقال له سَبْحَة فسبَقَ فَبَهِجَ بذلك وأعجبَه.

وعن مَكْحُولٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ سبقَ الخيلَ فجاء فرسُه الأدهمُ سابقاً فلما رأى ذلك جَثا على ركبتَيْه وقال: «إنَّه لَبَحْرٌ».

وسابَق رسولُ اللّهِ ﷺ بين الخيلِ في السَّنةِ السادسةِ من الهجرة فسبَق فرسٌ لأبِي بَكْرٍ الصدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ فأخذَ السَّبَق.

وجاء في الحديث الصَّحيح عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ سابقَ بالخيلِ التي قد ضُمِّرت[1] من الحَفياء، وكانَ أَمَدُها ثَنِيَّةَ الوَداع، وسابق بالخيلِ التي لم تُضمَّر من الثَّنِيَّةِ إلى مسجدِ بَني زُرَيْق، وكان ابنُ عمر فيمن سابق بها.

---

(1) في أ: أضمرت.

قال سفيانُ الثَّوري: بينَ الحَفْياء إلى ثَنِيَّةِ الوَداع خمسةُ أميالٍ أو ستةٌ، وبين الثنيَّةِ إلى مسجد بني زُريق مِيلٌ، وقال ابنُ عُقبة: من الحفياء إلى ثَنيَّة الوداع ستةُ أميالٍ أو سبعةُ أميال، وقال: من الثنيةِ إلى مسجدِ بني زُريق مِيلٌ أو نَحوُه.

ومعنَى إضمارِ الخَيل الذي جاء في الحديثِ هو تقليلُ العَلَف مدةً وإدخالُها بيتاً كنيناً وتَجليلها[1] فيه لِتَعْرَقَ وتجفيفُ عَرَقِها فَتَصلُب ويَخِفَّ لَحمُها وتَقوَى على الجَرْي؛ ويقال لهذا الفِعلِ **الإضمارُ والتَّضمير**.

ورَوَى أبو داوود أنَّ النبيَّ ﷺ سابقَ بين الخيلِ -وفضَّل **القُرَّح** في الغاية.

والقُرَّحُ من الخيلِ جَمْع قَارِح، وهو الذي انتهت أسنانُه وإنما تنتهي في خمسِ سنينَ لأنَّه في السنة الأولى حَوْلِيٌّ ثُمَّ، يقال له جَذَعٌ ثم ثَنِيٌّ، ثم رباعي، ثم قَارِح.

فَصْلٌ: نذكرُ فيه بحولِ الله ما يجوزُ في الشريعةِ من المسابقةِ بالخيلِ ومَا لاَ يَجوز.

فنقولُ: المسابقةُ بالخيلِ على قِسمَيْن:

القسمُ الأول: المسابقةُ بها على غيرِ الرِّهان.

القسمُ الثاني: المسابقةُ بها على الرِّهان.

أما القسمُ الأَول، وهو المسابقةُ على غير الرهان، فذلك جائزٌ بإطْلاق.

وأما القسم الثاني، وهو المسابقةُ على الرِّهان، فذلك على ثلاثةِ أوجُهٍ:

---

(1) التجليل من جَلَّلَ الدابة أي ألبسها الجَلّ، وهو ما تغطى به لتصان.

وجهٍ جائزٍ باتّفاقٍ من العلماء، ووجهٍ غيرِ جائزٍ باتفاقٍ منهم، ووجهٍ مُختَلَفٍ في جَوازه عندَهم.

فأما الوجهُ الجائزُ باتفاق فهو أنْ يُخرِجَ أحدُ المتسابِقَيْن ـ إن كانا اثنَيْن أو أحدُ المتسابِقِين إن كانوا جماعةً ـ جُعْلاً لا يرجِع إليه بحالٍ ولا يُخْرِجُ مَنْ سِواه شيئاً، فإن سُبِقَ مُخرِجُ الجُعْلِ كان الجُعلُ للسابِق، وإنْ سَبَقَ هوَ صاحبَه ولم يكن معه غيرُه كان الجُعل طُعْمةً لمن حَضَر، وإن كانوا جماعة كان الجُعل لمن جاء سابقاً بعده منهم.

وهذا الوجهُ في الجواز مثلُ أن يُخرِجَ الإمام الجُعلَ فيجعلَه لِمَن سَبَق من المتسابقين، فهو مِمَّا لا اختلافَ فيه بين أهلِ العلم أجمعين.

وأما الوجهُ الذي لا يجوز باتفاقٍ فهو أنْ يُخرِجَ كلُّ واحدٍ من المتسابِقَيْن، إن كانا اثنين، أو كلُّ واحدٍ من المتسابِقِين، إن كانوا جماعةً، جعُلاً على أنَّه مَنْ سَبَقَ منهم أحرزَ جُعلَه، وأخذَ جُعلَ صاحبِه، إن لم يكن معهُ سِواه، وأجعالَ أصحابِه، إن كانوا جماعةً، فهذا لا يجوزُ بإجماعٍ لأنَّه من الغَرورِ والقِمار والمَيْسر والخِطَارِ[1] المُحرَّم بالقرآن.

وأما الوجهُ المختلَف فيه فهو أنْ يُخرِجَ أحدُ المتسابِقَيْن، إن كانا اثنين، أو أحدُ المتسابِقِين، إن كانوا جماعةً، جُعْلاً ولا يُخْرِجُ مَنْ سِواه شيئاً على أنَّه إن سَبَقَ أحرز جُعلَه وإن سَبَقَ غيرُه كان الجُعلُ للسابِقِ، فهذا الوجهُ اخْتَلَفَ فيه قولُ مالكٍ، وهو على مذهبِ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ جائزٌ.

ومِن هذا الوجهِ المختلَفِ فيه أن يُخرجَ كلُّ واحدٍ من المتسابقين جُعلاً على أنَّه من سَبق منهما أحرزَ جُعلَه وأخذَ جُعل صاحبِه على أن يُدخِلا بينهما

---

(1) الخِطار من أخطَرَ الشيءَ: جعله خَطَراً بين المتراهنين، والخَطَرُ هو الرهان، ومن تخاطرا أي تراهنا.

مُحَلِّلاً لا يَأْمنان أن يسبقَهما على أنه إنْ سَبقهما أخذَ الجُعليْن جميعاً ولا يَجعل المُحَلِّلُ شيئاً وإن سُبِقَ هو لم يكن عليه شيء.

فهذا الوجهُ أجازَه سعيدُ بن المُسَيَّب ولم يُجِزْه مالك ولا اختَلَف فيه قولُه كما اختلَف في الوجهِ الأول الذي قَبْلَه لأنه أخَفُّ في الغَررِ منه، ويَجمع بينهما في المعنى أنَّ حُكْمَ مُخرِجِ الجُعلِ مع صاحبِه من تلك في حُكمِ مُخرج الجُعلِ مع صاحبِه المُحَلِّلِ في هذه، وسواءٌ كان مع الجماعةِ المتسابِقين محلِّلٌ واحدٌ أو مع الإثْنين المتسابِقيْنِ جماعةٌ محلِّلُون ـ الخلاف في ذلك كُلّه، إلا أنه كلما كَثُر المحلِّلون وقلَّ المتسابقون كان الغَرَرُ أخفَّ والأمرُ أَجْوَز[1].

وإنَّما اشتُرط في المحلِّل أن يكون المتراهنان لا يَأْمنان أن يسبقَهما فَيُحرزَ الجُعليْن جميعاً لنفسِه، لأنه إن كان بحيث يؤمن أن يسبقَهما لقُصوره في الجَرْي عنهما فكَأنهما لم يُدخِلا بينهما شيئاً وإن كان فعلُهما ذلك من القِمار المَنهِيّ عنه.

وقد رُوي عن النَّبي ـ عليه السلام ـ من رواية أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال: **«مَن أدخلَ فَرساً بين فرسيْن فهو يؤمن أن يسبِق فذلكم القِمار»** وهو حُجَّة لابنِ المُسَيِّبِ ـ رضي الله عنه ـ.

بَابُ أسماء الخيل في حَلْبةِ السِّباق وذكر المسبوق منها

نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ اختلافَ أئمةِ اللّسان كالجاحظ والأَصمعي وغيرِهما في أسماءِ خَيلِ السّباق؛ قلتُ والمُعتَمد في ذلك ما ذَكرَه الفَراء ـ رحمه الله ـ أنَّ لخيل السّباقِ عَشَرةُ أسماء بحسبِ مراتبها في السَّبْق.

---

(1) في أ: أحْوز.

فأولها **السَّابق**، وهو الذي يُقال له **المُجَلِّي**، ويقال له **الفريد** أيضاً، ثم **المُصَلِّي** ثم **المُسَلِّي** ثم **التَّالي** ثم **المُرتاح** ثم **العاطِف** ثم **الحَظِيّ**[1] ثم **المُؤَمِّل** ثم **اللَّطيم** ثم **السُّكَّيْت**، ويقال بتخفيف الكاف وتشديدها وهو العَاشر، ويقال له أيضاً: **الغابر**.

وما جاء بعدَ ذلك فلا يُعتَدُّ به ولا يُسمَّى.

ومثلُ ذلك قال أبو الهَيذام كلابُ بن حمزةَ العقيلي، إلا أنَّه خالف في ترتيبِ **العاطف** و**الحَظِيّ** فجعلَ **الحظيَّ** سادساً و**العاطفَ** سابعاً، على عكس ما قاله الفرَّاء، [وَبَيَّن أبو الهَيذام اشتقاقَ هذهِ الأسماءِ العَشَرَة فأردنا أن نذكرَ نصّ قوله][2] تكميلاً لِلغَرض وتتميماً للمقصَد.

قال أبُو الهَيْذام:

الأوّل، **المُجَلّي** لأنه جلا[3] عن وجه صاحبه ما كان فيه من الكَرْبِ والشدَّة.

والثاني، هو **المُصَلّي** لأنـه يَضعُ جَحْفلَتَـه على [الأرض][4] صَلاَ السَّابِق.

والثَّالث، هو **المُسَلِّي** لأنه شريكٌ في السَّبق فَسلَّى عن صاحبِه بعضَ همِّه.

والرابع، هو **التَّالِي** لأن هذَا الرابعَ تلاَ الثالثَ في حالةٍ دونَ حالتِه تاليةً

(1) في أ: الحضي.
(2) جملة ساقطة في ب.
(3) في ب: جَل.
(4) كلمة [الأرض] زائدة ولا نرى لها معنى، وهي ساقطة في ب. والصَّلاَ: جانب الذَّنَب أو هي الفرجة بين الجعرة والذنب، وتجمع على أصْلاء، وسيأتي شرح هذه الألفاظ المتصلة بخلق الخيل في الفصل المناسب.

لها، وذلك أنَّ العربَ كانت تأخذُ مِن كلٍّ شيء تختاره ثلاثةً فتَعُدُّها طبقةً ثمَّ ثلاثةً أخرى طبقةً ثانيةً، فكان هذا الرابعُ تالٍ للمرتَبة قَبْلَه.

والخامس، هو المُرتَاح مفتعلٌ من الراحةِ لأن في الراحةِ خَمْسَ أصابع، وكانت العَرب إذا أوْمأت في العدد إلى خمسٍ فتَح الذي يُومِىءُ بها يَدَه وفَرَّق أصابعَه الخَمْسَ، وذلك أقصى ما كانوا يومئون به عند عَقْدِ الحِساب ثمَّ يكون ما بَعدها من الحساب بِعَددِ الأصابع إلى أن تكونَ عَشَرَة فيومىء الذي يَحسُب بفتحِ يديْه جميعاً، ويقال الخمسُ الأصابع [بالخمسةِ][1] منَ العَدد، فلمَّا كان الخامسُ مثلَ خامِسة الأصابع التي هي كمالُ الراحَةِ سُمِّيَ مُرتاحاً.

السادس، هو الحَظِيُّ، وسُمِّيَ حَظِيّاً لأنَّه قد نال حَظّاً من السَّبق وإن قَلَّ، لأنَّ رسول الله ﷺ أعطى السادسَ قَصبته، وهي آخرُ حظوظ خيلِ الحَلْبَةِ، غير أنه حَظٌّ.

والسابع، هو العاطِف، وسُمِّيَ بذلك لدخوله الحجرة لأنَّه قد عُطِف عليهِ بشيءٍ وإن قَلَّ وخَسّ إذ كان قد دخَل الحَجْرة المحَجَّرة[2].

والثامن، المُؤَمِّل، على القلبِ والتفاؤل، كما سَمَّوا الفلاةَ مفازةً واللَّديغ سليماً والحَبَشِيَّ أبا البيضاء ونحو هذا، فلذلك سَمّوا هذا الخائبَ المؤَمِّل: أي يُؤَمِّل وإن كان خائباً، هذا لأنه قَرُب من بعضِ ذوات الحظوظِ بعد.

والتاسع، هو اللَّطيم لأنَّه لَوْ رام دخولَ الحجرة لَلُطِمَ لأنه أعظم جرماً وأقل جرياً من السابع والثامن.

والعاشر، هو السُّكَيت لأنَّ صاحبَه يعلوه خشوعٌ وذِلَّةٌ ويسكتُ خِزياً وغَمّاً.

---

(1) كلمة ساقطة في أ.

(2) الحَجرة المحجَّرة: الناحية التي وضعت عليها أعلام بالحجارة.

وذكر أبو عبدِ الله بن المُنَاصِف ـ رحمه الله ـ في أرجوزتِه المُذهبة فصلاً في ترتيب سوابق الخيلِ واشتقاقها، وذلك قوله:

وجُملة المخصوص عند العرب ... من سبق الخيل بوضع اللقب
عَشَرةٌ محفوظةُ الأسماءِ ... موقوفةُ النقلِ عن القُرَّاءِ
أولُها سَبقاً هو المُجَلِّي ... يَنقضُّ مثلَ النجم أو كالنَّبلِ
اشْتُقَّ من جَلَّى بمعنى أظهرا ... ما كان من أمرِ الرِّهان مُضمَرا
وقد يُقَالُ أيضاً المُبَرِّز ... والسابق الكل بهنَّ يَنبِزُ
والفرس الثاني هوَ المُصَلِّي ... لأنَّه يليه دونَ فصلِ
فهو كأنَّ رأسَه تراهُ ... عند صَلا السابقِ أو أُخراه
وثالثُ الخيل هو المُسَلِّي ... من السُّلُوِّ في اشتقاقِ الفعلِ
كأنما صاحبُه به سَلا ... إذْ جاء بعد السابِقيْن أوَّلَا
وبعده الرابعُ وهو التَّالي ... لِتَلْوِه الثالثَ في الإعجالِ
فنسبة[1] الرابع للمُسلِّي ... كنسبةِ الثاني من المُجَلِّي
ثم يليه الخامسُ المرتاحُ ... كأنَّه من كَدِّه يُراحُ
إذ كانَ يخشى أن يكون بَعدُ ... لكونه في السَّبق منه بُعدُ
وبعده السَّادسُ وهو العاطِفْ ... عطفاً على المرتاحِ نَعْني الواصفْ
لأنه قد فاته ما قَبلُ ... فانضاف للمرتاحِ أيضاً يتلُو
فنسبوه منه في التولِّي ... كنسبة الثاني من المُسَلِّي
والسابعُ الذي هو الحَظِيُّ ... وأصلُه من حُظْوَةٍ مَعْنِيُّ
لأنه يحظى وإنْ تأخَّرَا ... بسبق ما خلفه مُؤخَّرا
والثامن الذي هوَ المُؤَمِّلُ ... ليس وراءه لِسَبْقٍ أَمَلُ
فهو مؤمِّل الثلاثِ الباقيهْ ... بأن يفوزَ من ملام اللَّاحيهْ
والتاسعُ اللَّطيم فهو يُحرَمُ ... حظَّ الجِياد قبلَه ويُلطَمُ

(1) في ب: فنسبوا.

لأنــه لَــم يــتــركِ الــمــؤمِّــل لِــتِــلْوه حــظاً عــلــيــه يــعــمــل
والعــاشــرُ السُّكَيــت ليسَ يُـنْـظَرُ ومــا أتى مِنْ بَـعــده لا يُــذكَــرُ
وأصــلُه ووزنــه فُــعَــيْــلُ من السُّكُــوت إذ عــداه القــولُ
لأنــه مــاذا عــســى تَــراهُ يــقــول والــلَّطيــم فــي أُولاهُ
ويُــوثَــر الــسُّكَيــت والــسُّكَّيْــتُ كــلاهــمــا فيــه وقَــد وَقِّــيــتُ

وأنشد المؤلِّف ـ رحمه الله ـ مِما أنشدَه ابنُ الأَنباري عن أبي العبَاسِ المُبَرّدِ ـ أربعةَ أبياتٍ في ترتيبِ الخَيْلِ السّبَاق(1) ولكنها ظاهـرةُ الحَشْوِ والتكلُّف وهي:

جــاء المُجَلِّي والمُـصَلِّي بعــدَه ثــم الـمُـسلِّي بعــدَه والـتــالـي
والخـامسُ المـرتـاحُ ينفض رأسَـهُ والعـاطف الصّهـال كـالرِّئْبـال(2)
نسقــاً وقــادَ حَــظِيّهــا في هَبْــوة ثم المؤمِّــل غيــرُ ذِي إشكــالِ
ثــم اللَّطيــم يقــوده لـجمـيـعـهــا قبـلَ السُّكيتِ العـاشِـر الـذيَّــالِ

وأنشدَ أيضاً بيتَيْن في المعنى لبَعضهم، وفي نظمها أيضاً تكلُّفٌ لا يَخفي.

جاء المُجَلِّي [وصلّى](3) بعدَ صاحبه ثم المسلِّي وتــالٍ ثـم مــرتـاحْ
فعــاطفٌ فحَـظِيٌّ والمؤمِّــلُ قــد [بـدا](4) للطيم وسُكَيتٌ ثم صاحْ

قلت وقد ضَمَّنْتُ جميعَ أسماءِ خَيلِ السّباقِ تلويحاً باشتقاقِ أَكثرِها وتصريحاً بلفظِ بَعضِها في أقلَّ من بيتٍ ونصف من قطعةٍ نَظَمْتُها في ذَلك وهيَ:

(1) كذا في النسختين، ولعل الصواب: السوابق.
(2) الرِّئبال، من معانيه: الأسد، والذئب الخبيث، واللص المترصد بالشر.
(3) كلمة ساقطة في ب.
(4) في ب: بَذَّ

جَلَّى وصَلَّى ثم سلَّى تَاليا   وارتاحَ للعطفِ الحظيّ وأمَّلا
وأتى السُّكَيتُ يلي اللَّطيمَ فلا أتى   وكلاهما حَلَّ الحضيضَ الأسفلا

باب من الاستدلال على جَوْدة الفرس بصفاته الظَّاهرة

قلت: الاستدلالُ بالصفاتِ الظاهرةِ على الصفاتِ الباطنة هو علمُ الفراسةِ الذي يَعتني بشأنِهِ العلماءُ ويهتمُّ بمعرفتِهِ أهلُ الفِطنةِ والذكاءِ، وهو علمٌ يتعلق بالإنسان وبغيرِه من الحيوان، وتَعرُّفُه بالنسبةِ [إلى الإنسان] آكَدُ من تَعرُّفِه بالنسبة إلى غيره من الحيوان، لأنَّ الإنسانَ لِجِنْسِه من الأناسي أشدُّ ملازمةً وأكثرُ مداومةً فَتَعرُّفُ أحوالِه آكَدُ عليه وأهمُّ لديه.

ونحن ـ بحولِ الله ـ نذكرُ من علِم الفراسة في الإنسان ما تَحسُن معرفتُه وتعظُم فائدتُهُ، ونجعلُ ذلك مقدمةً لما نذكره بعدَ ذلك ـ إنْ شاء اللَّه ـ من الفراسةِ في الخيلِ، ونذكر ذلك أولاً على الجُملة ثم نذكره على التفصيل.

أما على الجملة فنقول: أعدلُ الصفاتِ في الإنسان أن يكونَ مُستوِيَّ القامةِ، وأن يكون متوسّطاً بين الطويلِ وبين القصيرِ وبين اللّحيم والنّحيف، أبيضَ مُشْرباً بحُمْرةٍ معتدلةٍ، معتدلَ الشَّعر في القِلّةِ والكَثرة والسُّبوطة والجُعودة والسوادِ والحمرةِ، مستديرَ الوجه عظيمَ الجبهة، أَشْهَلَ العَينين، مستويَ الأنفِ غلظ أنفِه مائلُ إلى طَرفه، معتدلَ الرأسِ في العِظَم في رقبته غلظٌ قليلٌ، معتدلَ الكفِّ والرِّجل في الصِّغَرِ والكِبَر وقِلّةِ اللحم وكَثرته، سبطَ الكف طويلَ الأصابع، مائلة إلى الرِّقَّة، صافيَ الصوت مُعتدلَهُ في غلظه ورِقَّته وجهارته وخَفائه وتأنّيه وعَجَلتِه، قليلَ الكلام والضَّحك إلا عند الحاجة إلى ذلك.

فهذه الصفاتُ إذا اجتمعتْ في الإنسان كانت دليلاً على اعتدالِ طبعِهِ

وحُسنِ خلقه، وإن عُدِمت في الإنسان كان ذلك دليلاً على انحرافِ طبعِه وسوء خلقه، وإن وُجِدَ فيه بعضُها وفُقِدَ بعضُها كان له من اعتدالِ الطبْع وحسنِ الخلق بحسبِ ذلك، ويُحكَم على الإنسان بما غلَب منها عليه وكَثُر منها لديْه.

هـذا ذِكْر الفـراسةِ في صفـاتِ الإنسان على الجملة، **وأمـا على التفصيل**، باعتبارِ أجزائه وأعضائه وأحواله، فنقول:

أما الشَّعر من الإنسان، فالشَّعر اللَّيِّن يَدلُّ على الجبْنِ والخَوف، والشَّعر الخَشِنُ يدلُّ على الشجاعة، وكذلك [كثرة][1] الشَّعر على الصُّلبِ تَدُلُّ على الشجاعةِ أيضاً، وكثرةُ الشّعر على الكَتِفينِ والعنقِ تدلُّ على الحُمقِ والجُرأة، وكُثرة الشّعر على الصَّدر والبطن دليلٌ على قِلّةِ الفطنة، وكثرةُ الشَّعر على البطن خصوصاً تدلُّ على الشَّبَق، وهو شدة الغُلمة[2]، والشَّعر القائمُ على الرأس وعلى جميعِ البدن دليلٌ على الجُبن.

وأما الجَبهة، فمن كانت جَبهتُه منبسطةً لا غضونَ فيها فهو مُخاصِمٌ شَغِب، ومن كانت جبهتُه صغيرةً فهو جاهلٌ، ومن كانت جبهتُه عظيمةً فهو كسلاَنٌ، ومن كانت جبهتُه متوسِّطةً في السَّعةِ والنتوءِ وكان فيها غُضونٌ فهو صَدُوقٌ عالمٌ فَهِمٌ يقظانٌ ؟مدَبّرٌ حاذِق.

وأما الحاجِب، فالحاجب الكثيرُ الشَّعرِ صاحبُه كثيرُ الهموم والحُزنِ غثُّ الكلامِ، وإذا كان الحاجبُ طويلاً ممتدّاً إلى الصَّدغِ فصاحبُه تَيَّاهٌ صِلْفٌ، ومن كانَ حاجبُه يميلُ من ناحيةِ الأنفِ على أسفل ومن ناحيةِ الصَّدغ إلى فوق فإنَّه صِلْفٌ أَبْلَه.

---

(1) كلمة ساقطة في أ.

(2) في أ: القلمة (بالقاف) وهو تصحيف، والصواب الغلمة (بالغين المعجمة) وهي شدة الشهوة للجماع.

وأما العَيْن فدلائلها كثيرةٌ، وهي تَتَبَيَّنُ فيها المَحَبَّة والبِغضةُ والسُّخْط والرِّضَى؛ وَأحسنُ العيونِ الشُّهلُ وأرداها الزُّرقُ؛ فمن عَظُمت عيناه فهو كَسلانٌ، ومن كانت عيناه غائرتَيْن فهو خَبيثٌ داهيةٌ، ومن كانت عيناه جاحظتين أي بارزتَيْن، فهو وَقِحٌ مِهدار جاهلٌ، وإذا كانت العينُ ذَاهِبَةً في طولِ البدنِ فصاحبُها مَكّار خبيثٌ، ومن كانت حَدَقتُه شديدةَ السَّواد فهو جَبانٌ، ومن كانت عيناه تُشبِه أَعينَ الأَعنُزِ في لونها فهو جاهلٌ، والعينُ الشبيهةُ بأعينِ البَقر تَدُلُّ على الحمقِ، ومن كانت عيناه تتحرَّكَان بسرعةٍ وَحِدَّةٍ[1] وكان حادَّ النظرِ فهو مكّار خبيثٌ لِصٌّ، ومن كانت حركةُ عينَيْه بَطِيئةً كأنها جامدةً فإنَّه صاحبُ مَكْرٍ.

ومن كان في نظرِه مَشَابِهُ[2] من نَظَرِ النساء من غير تَخنيثٍ فيه فإنه شَبِقٌ صِلْف.

وإذا كان في الرَّجل مَشَابِهُ من نظرِ الأطفالِ وكان في عينيه وفي جُملة وجهِه ضَحِكٌ وفرحٌ فإنه طويلُ العُمر.

وإذا كانت العَين عظيمةً مرتعدةً زرقاءَ فصاحبُها قليلُ الحَياء جدّاً مُحبٌّ للنساءِ [وإذا كانت العين مرتعِدةً فصاحبُها كسلان بطال مُحِبٌّ للنساءِ][3]، والعين الزرقاءُ التي في زُرقتها صُفرةٌ كأنها صُبِغت بالزَّعفرانِ تَدُلُّ على رداءةِ الأَخْلاقِ جِدّاً، والأَحداق التي حَولها مثلُ الطَّوقِ تدلُّ على أن صاحبَها حسودٌ مِهدارٌ جَبَانٌ شرِّير.

وإذا كانت الحَدَقَةُ سوداءَ فيها صُفرةٌ كأنَّها مُذْهَبَةٌ فصاحبُها قَتَّالٌ سَفَّاكٌ للدِّمَاء.

---

(1) في أ: واحدة.

(2) في أ: مشابه، وفي ب: مشابهاً، وكِلاهما تصحيف؛ والصواب مَشَابِه جمع شَبَهٍ، على غير قياس.

(3) جملة ساقطة في أ.

وإذا كانت العينُ غائرةً صغيرةً فصاحبُها مَكّارٌ حَسود.

وإذا كانت الحَدَقَة كأنَّها ناتئةٌ وسائرُ العينِ ليس كذلك فصاحبُها أَحمق.

وإذا كانت العينُ صغيرةً خفيفةَ الحركةِ كثيرةَ الطّرْفِ فصاحبُها رديءٌ جدّاً.

وإذا كانَ الجَفنُ من العينِ مُنكسراً أو مُلتوياً من غيرِ عِلَّة فصاحبها كذَّابٌ مكّارٌ أَحمَق.

وصاحب العينِ الكثيرةِ الرِّعدَةِ شرّير. فإن كانت صغيرةً كان شِرّيراً أحمقَ، وإن كانت العينُ عظيمةً نَقَصَ من الشَّرارةِ وزادَ في الحُمْقِ.

وصاحبُ العينِ الزرقاء الشديدةِ الخُضرة شرّيرٌ خائن.

والعَيْنُ الدائمةُ الطَّرف[1] تدلُّ على الجُبْنِ والجنون. وإذا كانت العينُ فيها حُمرةٌ فصاحِبُها شُجاعٌ مِقدام.

وأما الأذنان، فَمَن عَظُمت أُذناه فهوَ جاهلٌ طويلُ العُمرِ، ومن صَغُرت أُذناه فَبِالضِدِّ من ذلك.

وَأما الأَنف، فمن كان طرفُ الأَنف منه رقيقاً فهو مُحِبٌّ للخصومةِ ومن كانَ أَنْفُه غليظاً ممتلئاً فهو قليلُ الفَهمْ[2]، ومن كان طَرفُ أنفِه دقيقاً طويلاً فهو طيَّاشٌ خفيفٌ أحمقُ، ومن كان أفطسَ فهو شَبِقٌ، ومن كانت ثُقبتا أَنفِه شديدةَ الانفتاحِ فهو غَضوب، ومن كان أَنفُه طويلاً يكاد يدخلُ في فيه فهو شُجَاعٌ؛ وأعدلُ الأنوفِ ما طال طولاً غيرَ فاحِشٍ وكان غلظه مائلاً إلى الطّرف بِقَناً[3] غيرِ فاحشٍ فذلك دليلٌ على العقلِ والفَهم.

---

(1) الطَّرف: تحريك الجَفْن، من طَرَفَت العينُ تَطْرِفُ.

(2) جملة ساقطة في أ.

(3) قَنِيَ الأنفُ يقْنَى قناً: ارتفع وسَطُ قصبته وضاق منخراه.

وَأما الفَمُ، والشفتان والأَسنان، فمن كان واسعَ الفمِ فهو نهيم[1] شجاع، ومن كان غليظَ الشَّفةِ فهو أحمقُ غليظُ الطَّبع، ومن كان قليلَ صبغِ الشفةِ فهو مِحْراض[2]، ومن كان ضعيفَ الأسنان دقيقهَا مُتفَرِّقَها فهو ضعيفُ البِنية، ومن كان طويلَ الأنيابِ قَوِيَّها فهو نَهيم شِرِّير، ومن كان متوسِّطَ الشفتيْن مع حُمرةٍ صادقةٍ فيهما فهو عاقلٌ مُدَبِّرٌ صَدوق.

وَأما الوجهُ والصُّورةُ، فإذا كانت صورةُ الإنسان بحالة الغضبان فهو كثيرُ الغَضَب، وإذا كانت بحالة الخَجلِ فهو حَيِيٌّ خَجِلٌ، ومن كان لحيمَ الوجهِ فهو كَسلانٌ جاهلٌ، ومن كان كثيرَ لَحِم الخدَّينِ فهو غليظُ الطَّبع، ومن كان نحيفَ الوجه فهو مهتَمٌّ بالأمور، ومن أفرط عظم وجهِه فهو كسلانٌ، ومن صَغُر وَجهُه فهو رديءٌ خفيفُ خَبيث مَلِق.

والسمحُ الوَجهِ لا يكاد يكونُ حَسَن الخُلُق إلاَّ في النُّدْرةِ، ومن كانَ طويلَ الوجهِ فهو وَقِحٌ، ومن كانت أصداغُه منتفخةً وأوداجُه ممتلِئَةً فهو كثيرُ الغَضَب.

وَأما العُنُق، فَمن كان عنقُه قصيراً فهو مكّارٌ خبيث، ومن كان عنقُه طويلاً دقيقاً فهو أحمقُ جبانٌ، ومن كان عنقُه غليظاً فهو أكولٌ جاهلٌ، ومن كان عنقُه معتدلاً في طولٍ غيرِ فاحشٍ وغلظ معتدلٍ فهو عاقلٌ، مدَبِّرٌ صَدُوقٌ ثِقةٌ.

وأما الكَتِف، فالكَتِفُ الدَّقيقُ يدلُّ على قِلَّةِ العقلِ، والكتف العريض يدلُّ على جَوْدةِ العقل، وشُخوصُ رأسِ الكتِف جدّاً يدلُّ على الحُمْقِ؛ **وأما الذراعان**، فإذا كان الذراعان طويليْن جدّاً حتى يبلغَ الكفُّ الرُّكبةَ يدلُّ على نبلِ النَّفْس والكِبْر وحُبِّ التَّرأُسِ، وإذا قَصُرت الذراعان جدّاً فصاحبُها مُحِبٌّ للشرِّ جبانٌ مع ذلك.

(1) في ب: نَهِمٌ، والمعنى واحد.
(2) المِحراض: الذي ينتابه المرض والضعف والهَمّ.

وأما الكَفُّ، فالكفُّ اللَّيِّنَةُ اللطيفةُ تدلُّ على سَعةِ العِلْم والفَهم، والكفُّ الفاحشةُ القِصَرِ تدلُّ على الحُمقِ، والكفُّ الطويلةُ مع الأصابع الطِّوال تدلُّ على النُّفوذ في الصناعاتِ وإحكام الأعمالِ. وتدبيرِ الرياسةِ، والكفُّ الرقيقةُ الطويلةُ جداً تدلُّ على السلاطةِ والرُّعونة.

وأما الساقُ والقَدم، فالقدمُ اللَّحيمة الصَّلبَةُ تدلُّ على سوءِ الفَهم، والقدمُ الصغيرةُ الليِّنة تدلُّ على أنَّ صاحبَها صاحبُ فجورٍ ومِزَاح، ودِقَّة العَقِبِ تَدُلُّ على الجُبنِ، وغلظه وقُوَّتُه تَدُلُّ على الشدَّة، وغلظ الساقِ والعُرقوبين يدلُّ على البَلَهِ والقِحَة.

وَأما البطنُ والأضلاع، فلطافةُ البطنِ تدلُّ على جَوْدةِ العقلِ، وعِظَمُ البطنِ يدلُّ على كثرة النِّكاح، وشدَّة الأضلاع وكثرةُ لَحمها يدلُّ على الجهلِ، ودِقَّة الأضلاعِ ورِقَّتُها يدلُّ على ضُعفِ القلبِ.

وأما الظَّهْرُ، فعرضُ الظَّهرِ يَدلُّ على الشدَّةِ والكِبْرِ وشدَّةِ الغضب، وانحناءُ الظَّهر علامةٌ على شكاسَةِ الخُلُقِ، واستواءُ الظهرِ علامةٌ محمودَةٌ.

وأما الوَرِكان، فكثرةُ لَحْمِ الوَرِكين تدلُّ على ضعفِ القوَّة والاسترخاءِ، وشُخوصُ عَظْم الوركين يدلُّ على الشجاعةِ.

وأما اللَّحم، فاللَّحم الكثيرُ الصَّلب يدلُّ على غلظِ الحسِّ والفَهم، واللَّحم الليِّن يدلُّ على جودة الطَّبع والفَهم.

وأما الصوتُ والكَلام، فمن كان صوتُه غليظاً جهيراً فهو شجاعٌ، ومن كان كلامُه سريعاً فهو عَجولٌ قليلُ الفَهم، ومن كان كلامه عالياً سريعاً فهو سَيِّءُ الخُلُق غَضوبٌ عَجولٌ، ومن كان أَغَرَّ الصوتِ فإنه حَسودٌ مُضمِرٌ للشرِّ، وحُسنُ الصوتِ على ما فيه من الفضيلةِ دليلٌ على الحُمقِ وقلَّةِ الفِطنةِ، ومن كان كلامُه معتدلاً في الغلظ والرقَّةِ والعَجَلَةِ والتأنِّي فهو عاقلٌ مُدَبِّرٌ صَدوق.

وأمَّا الضحكُ، فمن كان كثيرَ الضَّحكِ فهو دَمِثٌ مُساعِدٌ قليلُ العنايةِ بالأمور، ومن كان قليلَ الضَّحِك فهو مُضَادٌّ مخالفٌ لَا يرضى ما يعمَلُ النّاسُ، ومن كان عاليَ الضَّحك فهوَ وَقِحٌ.

وأما الحَركة، فالحركةُ البطيئةُ تدلُّ على البلادةِ، والحركةُ السريعة تدلُّ على الطيشِ، والحركةُ المتوسطة تدلُّ على الاعتدالِ.

وأمَّا الخُطَا، فمن كانت خُطَاهُ واسعةً بطيئةً فهو مُتَأَنٍّ مُنجح، ومن كانت خطاه قصيرةً سريعةً فهو عَجولٌ ذو عنايةٍ بالأمورِ غيرُ مُحْكِمٍ لها.

خاتمة في الفراسة تتضَمَّن فوائدَ نبيلةَ الأغراضِ والمقاصد.

الفائدةُ الأولى: لا ينبغي أَن يُحكَم على الإنسان في الفراسةِ بدليلٍ واحدٍ من الأَدلَّة المتقدِّمة، لكن يَجمعُ من الأدلَّةِ ما أمكن ثم يكون الحُكْمُ عليه بِحَسَبِ ذلك، ومتى كانت في الإنسانِ أدِلَّةُ الخيرِ وأدلَّةُ الشرِّ متعارضةً وكانت العلاماتُ متضادَّةً نظرتَ فيما بين الدَّلالاتِ ورجَّحتَ ما بين العلاماتِ ثم حَكَمتَ بالأرجحِ وقضيتَ بالأكثر، ودَلائلُ الوجهِ والعينِ أقوى الدلائلِ وأرجحُها.

الفائدةُ الثانية: إذا رأيتَ رجلاً ينظرُ إليك فإذا نظرتَ إليه خَجِلَ وأطرقَ برأسِه أو أدمعت عيناهُ فهو مُحِبٌّ فيك متودِّدٌ إليك، لا سيما إن كانت عيناه من العيون الشُّهلِ المحمودةِ المتقدِّمةِ الذِّكْر، وإنْ نظرتَ إليه فنظر إليك غَير خَجِلٍ ولا هائبٍ فهو مستخِفٌّ بك في باطنِه غيرُ مأمونٍ عليك [في أحْواله][1].

الفائدةُ الثالثة: من اجتمعَ فيه أن يكونَ صغيرَ الرأس طويلَ العُنُقِ فإنه قد توفَّرت فيه أدِلَّةُ الحُمق فلا ينبغي أن يُعتَمَدَ عليه في أمرٍ ولا أن يُستَنَد إليه

(1) عبارة ساقطة في أ.

في مَشْوَرةٍ ولا سِرٍّ، وفي ذلك يقولُ الشاعر:

صِغَرُ الرأسِ وطولُ العُنُق خِلْقَةٌ مُنكَرَةٌ في الخلقِ
فإذا أبصرتَها في رَجُلٍ فاقْضِ في الحينِ له بالحُمُقِ

الفائدةُ الرابعةُ: من اجتمعَ فيه أنْ يكونَ أزرقَ وأشقرَ فالحَذَرُ منهُ واجبٌ والتحفُّظُ منه لازمٌ، فإنَّ الخيرَ في مِثْلِ ذلك نادرٌ والشرَّ عليه غالبٌ؛ ومِنْ فوائدِ ابنِ بَشْكُوَال، قال الربيعُ بنْ سُليمَانَ من أصحاب الشافِعيِّ ـ رضي الله عنه ـ: اشتريتُ للشَّافعيْ ـ رحمه الله ـ طيباً بدينارٍ، فقال لي: مِمَّنِ اشتريتَ، فقلت: منَ العَطَّارِ الذي قُبَالَةَ المِيضأة، قال: من قلتَ، الأشقر الأزرق؟، قلت: نَعم، قال: اذْهَبْ فَرُدَّه. ولِشَيخنا القاضِي أبِي البَركاتِ بنِ الحاجّ ـ رحمه الله ـ في الاعتذار عن زُرقَةِ عَيْنَيْه:

حَزِنَتْ عليك العينُ يا معنى الهوى فالدَّمعُ منها بعدَ بُعْدِكَ ما رَقا[1]
فَلِذاكَ قد كُسِيَتْ بلونٍ أَزْرَقٍ أوَما ترى المحزونَ يَلبسُ أزرقا

الفائدةُ الخامسةُ: من كان ناقصَ الخِلْقَةِ فلا تَثِقْ به في أمرٍ من أمورِكَ ولا تَركنْ إليهِ في حالٍ من أحوالِك، وتَحفَّظْ من كلِّ ناقصِ الخِلْقَةِ كما تتحفَّظ من عَدُوِّكَ.

وإذا ذكرنا هَذه المقدِّمةَ في الفراسةِ بالنسبةِ إلى بني آدمَ فَلْنَنتقلْ إلى المَقْصَد من الفِراسة بالنسبةِ إلى الخيل والاستدلالِ بصفاتِها الظاهرةِ على صفاتِها الباطنة.

فنقول: إنَّ المؤلِّفَ ـ رَحمه الله ـ أطنَب في أوصافِ الخَيْلِ إطناباً كثيراً وأوردَ في ذلك كلاماً طويلاً، ونحن ـ بحول الله ـ نذكرُ ذلك بعدَ اختصارِ ما يجب اختصارُه من أبياتٍ مُستثقَلةٍ ولغاتٍ غيرِ مستعمَلة، وأذكر، أولاً، قولاً

---

(1) رَقأ الدمع: جَفّ وسكن.

مفيداً وباباً مختصراً أكيداً هَذَّبتُه من كلام المؤلفِ تهذيباً ورتَّبتُه من تضاعيف مقالِه تَرتيباً.

فأقول: إنه لَا بُدَّ لكلِّ فرسٍ جَواد من أربعةِ أوصافٍ هيَ الأصولُ التي لا يُستَغنى عنها ولا عن واحدٍ منها، وما عدا ذلكَ من الأوصافِ فإنَّه تَبَعٌ لذلك.

الوصفُ الأول: أن يكون واسعَ الأنفِ لأنَّه مَخْرَج نَفَسِه من جَوفه وإذا كَمَن النَّفَس فيه ربَا وكَبا ولم يستطِعْ الجَرْي. ولذلك يُشَقُّ مَنخِرُه عند ضَيقِه كما هو معلومٌ في علم البَيطرة.

الوَصفُ الثاني: أنْ يكون متَّسِعَ الجَوف لأنَّه مَحَلُّ نَفَسه فإذا لم يتَّسع احْتشى نَفَسه في جوفِه فَرِبَا[1] ولم يَصبِر، وليس لضيق الجَوْفِ حيلةٌ كما لضيقِ الأَنْف لأنَّ الأنفَ يُحْتال على توسيعِه بالشَّقِّ كما ذكرنا، وأما الجوفُ إذا كان ضَيِّقاً في أصلِ الخِلْقَةِ فإنه لا حيلةَ فيه.

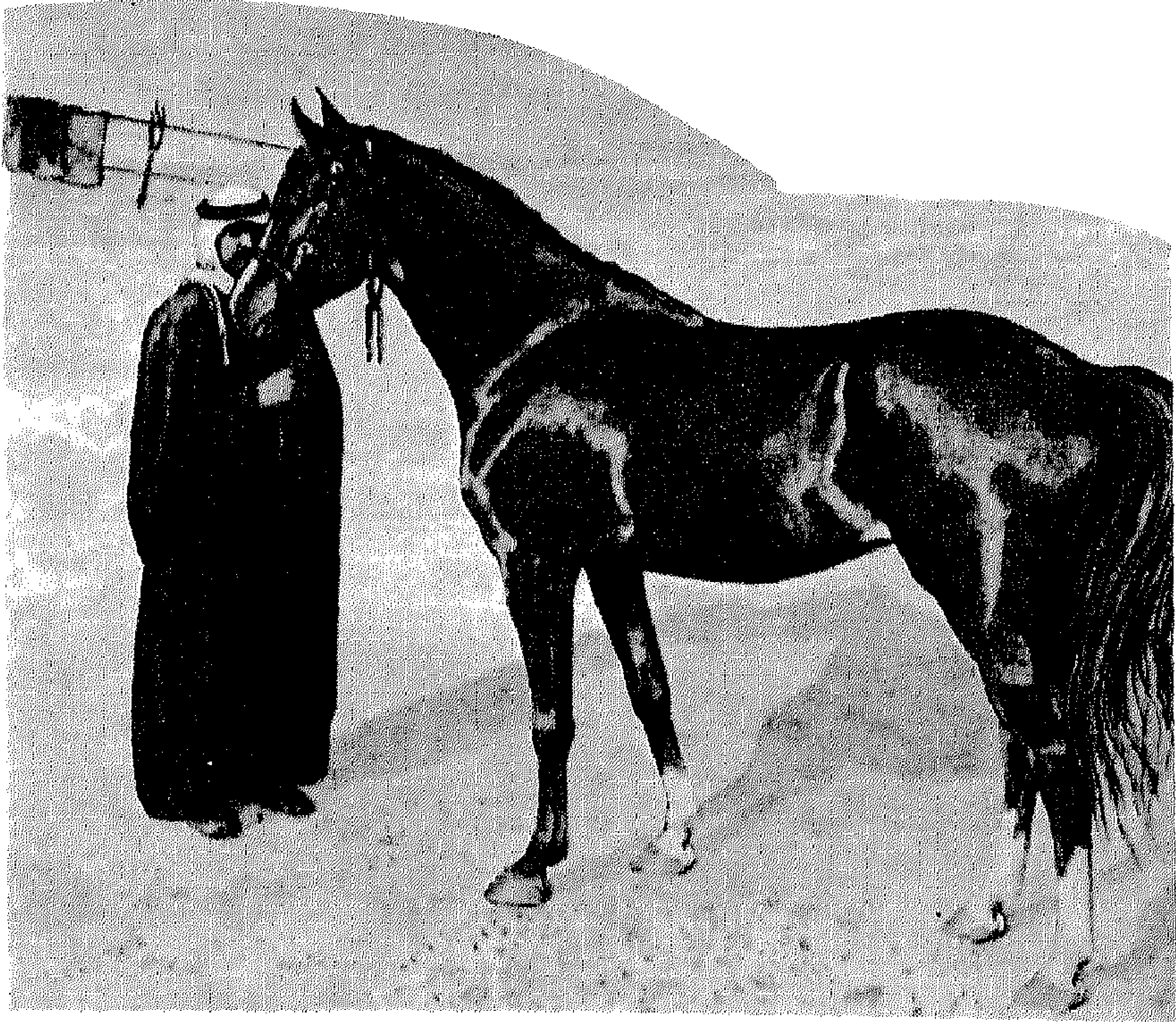
الوصفُ الثالث: صلابةُ حوافِره لأنها التي تَحمِلُه وبها يكون جَرْيُه، فإذا لم تكن صليبةً لم يَستطِعْ على الجَرْيِ صَبراً وضاق بِه ذَرعاً.

الوصفُ الرابع: أن يكونَ قَوِيَّ القلبِ، شديدَ النَّفس، فإذا لم يكن كذلك فإنه يُدرِكه التقصيرُ والمَلَل ولَا يُوفِي بالمقصَدِ والغَرضِ، فالفرسُ السابقُ يَستغني بهذِهِ الصفاتِ ولا يَستغني بغيرها عنها، ولا يكون سابقاً بِعَدمِها ولا بعَدَم شيءٍ منها.

ويتأكَّد فيه، بعدَ حصولِ الأوصافِ الأَربعةِ التي لا غِنى له عنها ولا بدَّ له منها، أوصافٌ أربعةٌ يتعَيَّن استحبابُها ويُستَحَبُّ طِلابُها.

---

(1) رَبَا: يربو: أصابَه الرَّبو، وهو دَاء نَوْبِي تضيق فيه شُعيبات الرئة فيعسُر التنفس (المعجم الوسيط)؛ وربا الفرس: انتفخ من عَدْوٍ أو فزع.



جـواد عَربي كميت أغر محجّل

الوصفُ الأول: طولُ عُنقه وشِدَّةُ تركيبها في جَسده لأنه في الجَري يستعين بها ويستَنِد إليها.

الوصفُ الثاني: أنْ يَعظم فَخِذاه لأنَّ مَؤونةَ الجَري عليها واعتمادَه راجعٌ إليها.

الوصفُ الثالث: أن تنقبض عُروق فَخِذَيْه وتَتشنَّجُ لأن ذلك أعونُ له وأسرعُ لقبضِ رِجْلَيه.

الوَصْفُ الرابع: أن يكونَ شديدَ صِفَاق[1] البطنِ لِئَلاَّ يضربَه بِركبه[2] إذَا جرى فيُتعبه ذلك ولا يُوفي بالغرضِ هنالك.

فهذه الأوصافُ الأربعةُ المتأكِّدَة تاليةٌ لتلك الأوصافِ الأربعةِ الواجبةِ، وما عدا هذه الأوصافُ الثمانيةُ فيُغتَفر عَدمه ويُختار وجودُه لأنه للفرسِ أفضل وفي أحْواله أكْمل.

بابٌ فيما يُستَدَلّ به على ذَراعةِ الفرس وشِدَّتِه وصبرِه على الجَرْي وفي العَنَقِ وعند الوقوف

قال أبو عبيدة:

تَعْرِفُ ذَراعةَ الفرس، وهي بعدُ خَطْوتِه في الأرض، بأنْ تَنظُرَ إلى ما بينَ آثارِ حوافِرِه في الأرض وقتَ إحضَاره؛ فإن كان بُعْدُ ما بينهما ثِنْتَيْ عَشرةَ قَدَماً فهوَ الذَّريعُ الذي ليسَ في الخيلِ أذْرَعُ منه، وإنْ زادَ على ذلك فلا يُقْدَرْ على مِثْلِه؛ وإن كانَ قَدْرُه في الأرضِ سَبْعَ أقدامٍ فهو بَطيءٌ، وما بَين ذلك فهو وَسَطٌ؛ وبِعدم الأقدام تكون المراتِبُ في الذَّراعة.

---

(1) الصِّفاق: الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر.

(2) كذا في النسختين. والرُكَبُ جمع ركبة، أمّا الركاب فيجمع على رُكُب (بضم الراء والكاف)، ولعلّ المؤلف قصد أن يقول: لِئَلاَّ يضربه بركبتيه.

ولا تَعتَبِرَنَّ الفرسَ بكثرةِ تَحريكه لِقَوائمِه وشِدَّة مَرِّه في مَرأى العَيْن حتى يُخَيَّلَ للناظرِ أنه سريعٌ من اختلاطِه، فإنَّك ترى الفرسَ المُتَمعِّطَ[1] يَمُرُّ لاهياً كأنه أبطأ من المُحتطِّ[2]، فإذا ضمَّ إليه سَبقه المتمعِّط لبُعدِ قدره في الأرض.

وللفَرسِ في حُضْرِه أربعُ مراتِب، فمنها أنْ يكون ذريعاً صَبوراً، وأن يكون ذَريعاً لا صبرَ له، وأن يكونَ صَبوراً لا ذَراعةَ له، وأن يكونَ لاَ ذريعاً ولا صَبوراً.

فأما الذَّريعُ الصَّبور فالكاملُ الخَلْقِ الحَسَنُ الصِّفة الشديدُ النَّفس، الواسعُ المتَنَفَّس وكلما زادَ في طولِ قوائمه وعُنقه وذِراعيه وعِظَم فَخذيه كان أزيدَ في ذَراعته، وأولى الأشياءِ به وأحمدُه منه الصبرُ، فإذا كان صبوراً ذريعاً كان الكاملَ من الخَيْل الجَوادَ.

وأما الذَّريع الذي لا صبر له فالذي يَطولُ عُنقُه وذراعاه وتَعظمُ فَخِذاه وتطول قوائِمُه وتَلين بِقلَّة شَنَج نَساه، ثُمَّ لا تساعدُه بقيةُ خَلْقِه فلا يكونُ فِيه من خَلقِه ما يُستَحَبُّ أكثرَ مما وصفت، فيَخذُله اضطرابُ خَلْقه إذا احتاجَ إلى الصَّبر وبُعْدِ الغايةِ، أو يكونُ شَدِيدَ الخَلق غيرَ شدِيد النَّفْسِ فتخذُله نَفسُه فلا يَصبر، أو يكونُ شديد النَّفْس شديد الخَلق ضيِّق المتنَفِّسِ فيَخذُله نَفَسُه فلا يَصْبِر، أو يكون شديد الخَلْق والنَّفْسِ واسعَ المتنفَّس ليس بشديد النَّسا ولا شديد الكَعْبِ فإذا احتاجَ إلى الصَّبر بعد طول الجَرْيِ استرخت رِجْلاهُ فلم تَنقَبِضا له ولم يشتد ضَرْحُه[3] بهما فخذلَتْه ولم تُعِنْه على الصَّبْر.

---

(1) في أ: المتمغط (بالغين المعجمة) وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه. تمعَّط الفرس في عَدْوِه: مدَّ عضديه حتى لا يجد مزيداً وحبس رجليه حتى لا يجد مزيداً.

(2) في ب: المختلط، والصواب المحتطّ، من حطَّت الدابة تَحُطُّ حِطاطاً: أسرعت معتمدة في الزمام على أحد شقَّيها، فهي حَطوط.

(3) في أ: صَرخه، وأقرب منها إلى الصواب: ضَرْحُه من: ضَرَحَت الدابة تضرُح ضِراحاً وهي ضروح: إذا رمحت برجلها ورفست.

وَأما الصَّبور الذي لا ذَراعة له فهوَ الذي لم تُفْرِط عُنُقُه في الطّول وليس بالسَّرْحِ اليديْن ولم تَطُلْ قوائمُه ولا رَقَّت بل فيها من العَبالةِ مع القِصَرِ ما يَحْسُنُ ولا يَبلُغُ به ضعفاً ولا ذَراعةً في الطّول والعَبالة، والذي لم تَعظُمْ فَخِذاه ولا يكثر لحمُها ويجتَمع إذا أُحْضَر ولا تنتشر قوائمُه وهو شَنِجُ النَّسا شديدُ النَّفس، واسعُ الجَوف والمتنفَّسِ، فذلك يصبرُ ولا يبلغ قَدْرُه في الأرض قدْرَ الذريع؛ فإن طالت قوائمُه وذراعاه وعنقُه وعظُمت فخِذاه كان أذرعَ له، وما زاد من هذه الخلالِ زادت ذَراعتُه؛ وأملكُ الأشياء بالخيلِ الصَّبرُ وأفضلُها إذا اجتمعَ مع الصَّبرِ الذراعةُ.

وأما الذي لا صبرَ له ولا ذراعة فالمُشَيَّأُ الخَلْقِ القبيحُ الصفةِ الساقِطُ النَّفْسِ الضَّيِّقُ المتنفَّس المنتشرُ الأَنْسَاءِ، ولا تكون واحدةٌ من هذه في فَرَسٍ إلا خَذَلَتْه عن الصبرِ فإذا اشتدَّ خَلقُه وقَصُرت أَنْسَاؤُه وحسُنت صِفَتُه فلا بدَّ من رَحْبِ متنفَّسِهِ وسَعةِ مَنْخِريْه، فإن رَحُبَ متنفَّسه وضاق منخراه فإن الحيلةَ فيه أن يُشَقَّ أنفُه، فإن ضاق جَوفُه ومتنفَّسه فلا حيلةَ فيه وتقدم ذكر هذا.

وإن كان تامَّ الخِلقَة رحيبَ المُتنفَّس ولم يكن شديدَ النَّفْس فإنَّ الحيلةَ أن يُنْزَى نزوةً أو نزوتَيْن لتَشْتدَّ نَفْسُه.

ويُستَدَلُّ على شدّةِ نَفسِ الفَرَسِ بشهُومَتِه إذا هِجْتَه فتراه كالمذْعُورِ مِنْ شِدّتِه وحِدَّته وشدَّةِ نَظَره وبُعدِ مدى طَرفه.

وممَّا تُعرفُ به جَوْدةُ الفرسِ، وهو مُحْضِرٌ، سُمُوُّه بهاديه وَأَنَفَتُهُ برأسِه وأن لا يستعين به ولا بهاديه في حُضْرِه واجتماع قوائمِه حتّى كأنَّ يديْه ورِجْليْه في قَرَن[1]، كما أنَّ تفرُّقَهما من أدلِّ شيءٍ على ضعفِ الخَلْقِ وبسط ضَبْعيه ومدِّ كَشْحيه حتى لا يجد مزيداً وسرعةُ قَبضِه لرجلَيْه جميعاً وتَمعُّطه في جَريه

(1) القَرَن (بفتح القاف والراء): الحبل تُقرن به قوائم الدابة.

وهو أفضل عَدْوِ الخيلِ الذُّكور. وأما الإناث فأفضلُ عَدْوِها أن يكون قَفْراً باجتماعِ القوائم.

والدَّليلُ على شِدَّة الخَلْقِ من الذَّكرِ والأُنثى، إذا رأيتَه يَجري وكنتَ لم تَرهُ واقفاً ولم تَعرف خَلقه، اجتماعُ قوائمِه في الحُضْر وقِرانُ رِجْلَيه ودسُّهما؛ وانفتاحُ الرِّجْلَين في الحُضْر من الذَّكَر والأُنثى يَدُلُّ على الضعف وَالعَيا، وهو بالأنثى أضرُّ وأردأ، ولا يُعتَبَر الفَرسُ بِشَيءٍ من الجَرْي إلاَّ بالتقريبِ والحُضْرِ وهما أبسط أصنافِ العَدْوِ، وما سِواهُما من العَدْوِ فإنَّه يختلِط فلا يُستَدَلّ به.

وهذه الاستدلالاتُ إنَّما يُنظَرُ فيها بعدَ كمالِ الصِّفاتِ الأربعِ التي لا غِنىً عنها وتقدُّم ذِكرها، وبعدم الصِّفاتِ المذكورة يُستَدَلُّ على رَداءة الفَرَس.

فأمَّا ما تحتاجُ أن تنظرَ إليه في العَنَق وتقفَ عليه بأن تنظرَ إليه فَترى عِظامَه ثابتةً لا تزال تستحسِن منها في حالِ عَنَقِه ما استحسنتَ في حالِ وُقوفِه. والفراسةُ[1] في جودةِ العَنَق لِينُ عُنُقِ الفَرس واطِّرادُ مَتْنِه وتَمكُّنُه وشَنَج نَساه ولينُ انفِتاله وشدَّةُ كَعبه وقلةُ التوائه وفتحُه إلى خارج إذا مَشَى.

وأما علامةُ الجَيِّدِ التَّقريب فسكونُ طَرْفِه وطموحُ بَصَره وطَرْحُ يديْه وأخذُه للجَرِي بالسكون.

وأمَّا التفرُّسُ بالنظر إلى الفَرَسِ والاستدلالُ على جودتِه في حالِ وقوفه، فأول ذلك الوقوفُ على حسنِ خَلْقِه وجودةِ صِفاتِه، فإذا نظرتَ إليه قائماً فتأمَّلْ عظامَه وأعضَاءَه ومفاصِلَه عَظماً عظماً وعُضواً عضواً ومَفصِلاً مفصلاً، فإذا استحسنتَ منه ما يجبُ استحسانُه وتفرَّستَ فيه الجَودةَ فحينئذ يجبُ أن تنظرَ إليه مُعنِقاً ومُقرِّباً ومُحضِراً فإنه ربما تَغيَّر في هذه الحالاتِ.

وربَّما حَسُن قائماً فإذا أَعنق تَغيَّرت عِظامُه عن حالها التي كانت عليها

---

(1) في ب: والفرس، وهو تصحيف.

وهو قائم وزالت عن مواضعها ويكون ذلك من رخَاوة مركبها. ويكونُ يَحسُن مُعنِقاً فإذا قَرَّبَ قَبُح وتَغيَّر، ويكون حسناً مُقرِّباً فإذا أَحضَر تغيَّر وقَبُحَ، فلذلك ينبغي أن لا تَعجَلَ بالقول في فرسٍ ولا تَحكُمَ عليه حتَّى تَنظر إليه في حالاتِه كلِّها.

ومن أمثالِ عوامِّ النخَّاسين في ذلك: سَوْمانِ للفرس، إذا جرى وإذا جَلس.

ومما تحتاجُ أن تنظرَ إليه منَ الفَرَس وهو مجلَّل فتستدلّ بذلك على جودتِه فَسَعةُ شِدْقيه وكثرةُ ريقِه وسَعةُ مَنخِريه وبُعدُ مدى طَرفه وطموحُ بَصره وشدّةُ نظره وشدّة أُذُنيْه وحدَّتهُمَا وبُعدُ ناصيته من حارِكِه وإشرافُ حارِكه وحدَّتُه من تحتِ جَلِّه وقِصرُ ظَهره وبعدُ مَرفقَيْه من ركبتيْه وقُرب ما بين ركبتَيه وإشرافُ حَارِكه وحدَّتُه من تحت جَلِّه وقِصَرُ ظهرِه وبعدُ مَرفقَيْه من ركبتيه وقرب ما بين ركبتيه وإشراف قَطاته وعِظَمُ رَبْلتيه وحماتيه وقِصَرُ ساقيه وصِغَر كعبيه وطول وظيفِ رِجليْه؛ ومع هذا فلا يُتَفَرَّس في هَجين ولا في خارِج من ماء ولا في مستنٍّ ولا في مُهرٍ صغير يَرضَع، لأنَّ المستَنَّ يتشوَّف وينتصبُ ويسمو طرفُه وتنتصب أُذُنَاه.

وأمَّا الخارجُ من الماءِ فإنَّه تطمئنُّ شَعْرتُه وتَلتصِق بجِلْده ويعلو رؤوسَ عظامه لحمُه وتعظُم فصوصُه ويحسُن قبيحُه.

وأما المُهرُ الصَّغير الذي يَرضَع فإنه يتغيَّر وينتقلُ فيحسُن منه ما كان قبيحاً ويقبُح ما كان حسناً أو يزداد الحَسَنُ حسناً والقبيحُ قُبحاً أو يكون فيه من العظامِ ما يُستَحَبُّ قِصَره أو طولُه أو عرضُه أو ضيقُه فينتقل ذلك كلُّه؛ فالفراسةُ فيه على الظنّ به وليست على ما ترى من خَلْقِه إلا في حالتِه التي هو بها في تفضيله على ما هو في سنّه من المِهارة[1] في حاله تلك؛ وأدنى ما

---

(1) المِهَارة: جمع مُهر، ويجمع أيضاً على أمْهَار ومهار.

يُتفرَّس فيه [منها] إذا غَلُظَ فاستدرك وأكلَ الشعيرَ وركبَه اللَّحم، لحمُ العَلَف، وذهب عنه لحمُ الرّضاع؛ وَأَبْين الفِراسة في المُهْرِ وأفضلُها أن تَفَرَّس في أخذِه الجَريَ فإنه يأخذُه بطبيعتِه التي جرى عليها وغريزَتِه التي يؤول إليها، فإذا أحسنَ أَخْذَ الجَرْيِ، على ما تقدَّم وصفه، فهو جَواد.

ومن علاماتِ الجودةِ في المُهرِ وُثوبُه على أمِّه وكثرةُ اعتلافِه مَعها في مِعْلَفِها؛ وربما تَغيَّر أَخْذُ أَحَدِ المِهَارة إذا رُكِبَ حتّى يَقْبُحَ عند أخذِه، ولا يكونُ ذلك إلا من ضُعفٍ فيه لم يَبلُغ مَدَى قُوَّتِه فيضعف عن فارسِه فربما لم يَجْرِ جَذعاً وجرى ثنياً ورباعياً ورُّبما لم يجرِ ثَنِيّاً وجرى رباعياً وربما لم يَجر رباعياً وجرى قارحاً حين تجتمع قُوَّتُه، فهيَ في ذلك ضُروب.

ويُعرف ضُعف الضَّعيف منها بِتلَوُّنِهِ تحت فارسِه وعجزِه عن حَمله وفَتْرتِهِ[1] إذا نزلَ عنه بِسُرعةِ عَرَقِه حين يُركب.

واعلَمْ أنَّ حوافرَ المِهارة من كلِّ صِنْفٍ تجود وتَصلُب من خشونةِ الأرضِ التي يكون فيها وصلابةِ المَرْج الذي يُنتَجُ فيه فيُسْتَدَلُّ من جودةِ الأرضِ على جودةِ الحافِر.

فصلٌ من نَحوِه: ومِنَ الخَيلِ ما يجري على غير تَضمير من الغاية القريبة، فأمّا من الغايةُ البعيدةُ فإنّما يكون ذلك منها بأن يَرحُبَ جوفُه ومَنْخِراه فيفرِطان ويتسع جلدهُ حتى كأنَّه جلدُ كلْبٍ أو ظبيٍ تراه كأنَّه يموج فوق لحمِه وبدنِه وتنفسخُ قُصَيْراه وتتجافى عن كُلْيَتَيه ويتَّسعُ شِدقاه، وذلك إنما يكونُ منه بعد أن لا يكون مُودَّعاً[2]، وإنَّما يكونُ قد حَرّكَ وَكَدَّ أياماً ليلحق بطنَه فإنه إن لم يلحق بطنه صكّت ثَفِنتاه جَوفه ومثانته إذا أُجري فإذا

---

(1) الفَتر والفتْرة: الضَّعف والانكسار.

(2) مُوَدّعاً من وَدَّعَ الفَرس: رفَّهه؛ والوديع من الخيل: المستريح الصائر إلى الدعة والسكون؛ ويقال أيضاً: فرسٌ مودوع (على غير قياس).

أَوْجَعَه ذلك قَطعه عنِ الجَري واسترخت رِجلاه، فلا بدَّ له من أن يكدَّ أياماً فإنه يبهر الفرس ويقطع عن عادته الشحم وركونه إلى الدَّعة فإذا حَرُك أياماً احتمل الدَّعة وإذا رحب منه ما وصف احتمل الشحم وذلك بعد أن تتمَّ فيه الخِلقة التي بها يكون الفرس جواداً صبوراً من شدَّةِ النَّفْسِ وحُسنِ الخَلْق.

باب آخر فيما يُستَدَلُّ به على عِتْقِ الفَرس

قال أبو عُبَيدة مَعْمر بنُ المثنَّى: يُستَدَلُّ على عِتْقِ الفرسِ برقَّةِ جَحافله وأرنبتِه وسَعة مَنخِريه وعُرْيِ نواهقه ورقّة حَقْويه ورقة سالِفتَيْه وأديمه وشعرته ولينِ شعر عُرفِه وناصيتِه وما ظهر من أعالي ذَنَبِه.

وأَبينُ من هذا كلِّه لينُ شكيره، وهو أدلُّ شيءٍ على عِتْق الفرسِ، لأنَّ لينَ الشَّكير لا يكون أبداً إلَّا في العِتاق وذلك أنْ تَلمَسَه فتجده تحتَ يدِك سحاماً كأنَّه القَزُّ من لِينه، فإن وجدته خشيناً فقد شَابَهُ شيءٌ من الهُجْنَة على قَدْرِ الخُشونة التي تجدُها فيه.

وضيقُ ما بين ركبتَي الفرسِ أيضاً مما يَدُلُّ على عِتقه، وإذا عَمِيَ عليكَ عِتقُه وشَككْتَ فيه دعوتَ بماءٍ في إناءٍ مبسوطٍ فوضعتَه على أرضٍ مُستويةٍ وقَدَّمتَ الفرس، فإن شَرِب ولم يَبرُكْ ولم يَثْنِ يَدَيْه فهو عتيق وإن بَرَكَ أو ثَنى يَديه أو إحداهما أو أحد سنبكيه ففيه هُجْنة.

والفرسُ العتيقُ يَصْبُغ[1] مَنخِريه بالماء وقتَ الشُّرب ويكتحل بطرف أُذنيه[2] والمُعَرَّبُ[3] لا يَصبُغ مَنخِريهِ بالماء كصبغِ العتيقِ إنَّما

(1) في ب: يضع، وهو تصحيف، والصواب يصْبُغ بمعنى يَغْمِسُ.
(2) في ب: أذنه.
(3) في النسختين: المعرف، وهو تصحيف.

يصبُغ طرفه وينال طرفُ عسيبِه حَرقُفَتَه.

وذُكِرَ عن أبي عَمْرو بنِ العلاءِ أنَّه قال: كان سَلْمانُ بنُ ربيعةَ الباهلي يُعَرِّبُ الخيلَ ويُهجِّنها في زمانِ عُمَر بنِ الخطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ فجاء عَمْرو بنُ مَعْدي كَرِبَ وكان معرِّباً فجاء بفرسين فعرَّب سَلْمَان أحدَ الفرسيْن وهَجَّن الآخر، فقال له عَمرو: هَجين عَرَّبَ هجيناً مثلَه فاستعدَى عليه عمرَ ـ رضي الله عنه ـ وشكاه إليه فقال عمر: بِمَ عَرفْتَ هُجْنَتَه؟ فدعا سَلْمَـان بإناءٍ رَحْراح قصيرِ الجِدَارِ، فأُتي به فصبَّ فيه ماءً ثم أُتي بفرسٍ عتيق لا يَشُكُّ في عِتْقه فقدَّم إليه فَشرِبَ منه ولم يُشْرِعْ سُنْبُكَه، ثم جيءَ بفَرس آخرَ قد يُشَكُّ في عِتْقِه فجاء ليشْرَبَ فمدَّ عُنُقَه وأشرع سنْبُكَه ولم يفعلْ كما فعل الآخرُ العتيقُ، ثُمَّ جيء بثالثٍ لا يُشَكُّ في أنَّه غيرُ عَتيق فَثَنَى سنبُكَه ثم شَرِبَ، وذلك لأن في أعناقِ الهُجْنِ قِصراً، فهي لا تنال الماءَ على تلك الحالِ حتى تَثْنِيَ سنابِكَها؛ وأعناقُ العِتاق طوالٌ، فهي تشربُ ولا تَثْني سنابكَها؛ ولمَّا رأى ذلك عمرُ ـ رضي الله عنه ـ من سَلْمَان قال: أنت سَلْمَانُ الخيلِ.

وكان سلمانُ هذا صاحبَ الخيلِ في زمانِ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ وبه كانَ شَرَفُ باهِلَةَ في الإسلام.

والمشهورُ بمعرفةِ الخيلِ في الإسلام سلمانُ بنُ ربيعةَ في زمانِ عُمَر، وابنُ أقيص في زمانِ مُعَاوية، ومِطْر بنُ دَرَّاح في زمان المنصور، عليهم كانت تُعرَضُ الخيلُ وهم كانوا يعرِّبونها أو يهجِّنونها بين أَيديهم.

ويُستَحَبُّ من الفرسِ رقةُ جِلْدِه ولِينُ بَشَرته ولُطفُ مَكاسِرها وَرِقَّتُها، ويُستَحَبُّ في جلودِ الخيل أيضاً السَّعَةُ، كما قال المتنبي:

لـه فضلةٌ عن جِسمـهِ في إهـابِـهِ   تجيء علي صَـدرٍ رحيبٍ وتَذْهَبُ

بابٌ آخر فيما يُستحَبُّ من أعضاءِ الفرسِ على التفصيل

فَمِنْ ذلك حسنُ وجهِه وبُعْدُ ما بين قونسه وجَحفلتِه وذلك للحُسْنِ.

ورِقّةُ جَحفلَتِه، ويُستَدَلُّ به على العِتقِ.

وطولُ مشق شدقيهِ، وذلك لِيتَّسعَ مَخرجُ نَفَسِه.

وطول لسانِه ورقّتُه، فإنّه إذا طال لسانُه كَثُرَ ريقُه فكان أروحَ له في الجَرْيِ.

وَرِقّةُ أَرنَبتِه، وذلك مما يُستَدَلُّ به على العِتْقِ أيضاً فإذا عَرُضَت كان ذلك هُجْنَةً وضاق مَخْرَجُ نَفَسِهِ.

وسَعةُ مَنخِرَيْه وشقُّهما طولاً إلى فوق، وسَعَةُ أَسافِلهِمَا ولطف مُستطعمِه ولا يكونُ فيه فَطَسٌ، وضَيقُ ما بين عَظْمَيْ لَحْيَيْهِ من أطرافِهما، وسعةُ ما بينهما من أعاليهما، ويُستَحَبُّ ذلك لِسَعة مَخْرَجِ نَفَسِه.

وَأن يكونَ في موضعِ اللَّهْزَمةِ في الذَّكَرِ لَحْمٌ فهو أشدُّ لِلَحْيَيْهِ ولا يُستَحَبُّ ذلك منَ الأنثى.

وأسالةُ خَدَّيهِ وسُهولَتُهما وعِرَضهما وذلك لِلحُسْنِ.

واستواءُ قَصَبَةِ أنفه من مستَدَقِّها، وذلكَ لِلحُسْنِ، ولا يكون فيها قَناً ولا خَنَس، ويُكْرَه للقُبْحِ، وَضَيْقُ مَخْرَجِ النَّفَسِ، وربَّما شُقَّ مَنخِرُه إذا ضاقَ مَخْرَجُ نَفَسِه.

وَرِقّةُ عُرضَيْ الأنفِ وسهولَتُهُمَا، وذلك مما يُستَدَلُّ به على العِتْق، وعُرْيُ النَّواهقِ[1]، وأن تكونَ غيرَ مُنْتَشِرةٍ في وَجهِه، ولُصُوق الجِلْدِ بهما، ويُستَدَلُّ بذلك على العِتْق.

(1) في أ: النواهي وهو تصحيف، وسيأتي شرح معنى النواهق (جمع ناهق).

وسُبُوطَةُ[1] ناصيته وطولُها ولِينُ شَكيرِها وطمأنينةُ عُصفورها، وأبْيَنُ شاهدٍ في عِتْقِ الفرسِ لينُ الشَّكِيرِ والنَّاصِية.

وعِظَمُ عَيْنَيْه وصفاؤُهما وشدَّة سوادِهما، وبُعْدُ مدى طَرفِه وحدَّةُ نَظره، وذلك دليلُ الصَّرامَةِ، وضِيقُ النُّقرتين[2] اللتين فوقَ العَيْنَين، وذلك لشدَّةِ العينِ وحدَّة النظرِ، وبُعْدُ ما بين عينَيْه وأُذنَيْه من أعاليهما، ودقَّةُ حاجبيه، ويُستَدَلُّ بذلك على العِتْقِ، وعِرَض الجَبْهةِ وعُرْيُها من اللَّحمِ ولُصوق جِلْدِها بالعظِم، ويُستَحَبُّ عرضها لِأَنْ يَكْثُرَ دِمَاغُهُ، ويُستَحَبُّ لصوقها بالجِلْد لِأَنْ يَصْدُقَ حِسُّه.

وطولُ أُذنيه وحدَّتُهما من أصولهما، ولُطفُ طَيِّهما وشدَّتُهما، ويُستَحَبُّ ذَلِك لِصِدْقِ الحِسِّ والصَّرامَةِ؛ وفي مَدْح صِفَةِ آذانِ الخَيْلِ، قال عَدِيُّ بنُ الرِّقاع:

يَخرجْنَ من مستطيرِ النَّقْع داميةً   كَأنَّ آذانَها أطْرافُ أقلامِ

قلتُ: وقد أحسنَ القائلُ في وصفِ الخيل وحِدَّةِ آذانِها من جُمْلَةِ أبياتٍ:

وتَصَوَّبَتْ آذانُهُنَّ أسِنَّةً   فكأنما يَطْعَنَّ بالآذانِ
في سُرعةِ العِقبانِ إلاَّ أنَّها   من حُسْنِها في صورةِ الغِزلانِ

وهم يَصفُون الفَرَسَ بقُوَّة السَّمْعِ ويَضربون المَثَلَ بذلك فيقولون: **فُلَانٌ أسمعُ من فرسٍ**، ويَزعمون أنَّ الفَرس يَسمعُ سقوطَ الشَّعرة تَسقُط من جَسدِهِ لقوةِ سَمْعِه وذكاءِ حِسِّه.

قلتُ: هذا من المُحَال، عادةً، وإنَّما جَرَى هذا الكلامُ على وجه

---

(1) السُّبوطة: استرسال الشَّعر، والسَّبْطُ من الشَّعر: المسترسل غير الجعد.
(2) النُّقرة: وهْدة العين.

المبالغةِ لا على سبيلِ الحقيقة.

ويُستَحَبُّ من الفرسِ حِدَّةُ بصرِه وطموحُ نَظرِه، ويُستَدَلُّ بذلك على جَودتِه وعِتْقه، وكذلك يُستَحَبُّ من الفرسِ أن يكونَ مُتَلَفِّتاً يميناً وشمالاً متلَعِّباً منَ النشاط.

ويُستَحَبُّ في عَينَيْ الفرسِ النَّجَلُ والكَحَلُ، فالنَّجَل سَعة العَيْن، والكَحَل سوادُ الحَدَقَة.

ويُستَحَبُّ من الفرسِ سَعَةُ شَجْرِه[1] وأنْ يكونَ لسانه رقيقاً لا يملأ الفمَ مع طولٍ وخُؤُورةٍ.

ويُستَحَبُّ من الفرسِ سَعةُ المَنخِر لأنَّه إذا اتَّسعَ مَنخِرُه لم يحبس الرَّبْوَ في جَوْفِه.

ويُستَحَبّ في حَجَاجَي[2] الفرس أن تكونَ رقيقةً غيرَ ناتئة.

ويُستَحَبُّ عُريُ النواهِق من الفرسِ وانحسارُ اللَّحم عنها، وكذلك عُريُ اللَّحْيَيْن وصلابتُهمَا.

ويُستَحَب حِدّة الأسنانِ وشدَّة تَلَزُّزِها.

ويستَحبّ من الفرس أن يَرِقَّ مُستَطعمُه وكذلك جَحافله وحِتارُ[3] مَنْخِريه.

ومما يُستَحبُّ في الفرس طولُ عُنقِه ورقَّة مَذبحه وذلك أحسنُ له، ورقّةُ سالِفتيه وشدَّة تركيب العَصَبتين اللتين تحت مَنبِتِ عُرفه في كاهلِه وذلك أشدُّ

(1) الشَّجْرُ (بسكون الجيم): جوف الفم بين السقف واللسان.
(2) الحَجاج (بفتح الحاء وكسرها): عظْم الحاجب، والجمع أحجة.
(3) الحِتار: طرف الشيء وحرفه.

لوَصلِ العُنق في الكاهلِ ولئلا يكونَ في العُنق هَنَعٌ[1]، وسعةُ جلدة عُنقِه من أسفلها على مَرِيئه خاصَّةً حتى تكونَ هناك كجلدةِ عُنق الثَّور وذلك لسرعةِ مَخرجِ نَفَسه واضطرابِ جِلْد عُنقه أجمع وإشرافِ هاديه وذلك لشدَّتِه ولِلْحُسْنِ أيضاً.

وإذا كانتِ العُنُق كذلك ولم يكُنْ في وَسَطها هَنَعٌ ولا طمأنينةٌ عن الكاهلِ ولا نقصانٌ في أصلِ العُنق ولا قِصَرٌ ولا تَلَفُّفٌ ولا إرْهَافٌ تَمَّتِ العُنق.

والإرهافُ هو رِقَّة عَصَبتي العُنق وقلَّةُ لَحْمه، وذلك ضعف.

والتلفُّف استدارةُ العُنُقِ؛ والقَنطرة في العنق هو ارتفاع وسَطِها كأنَّها في دائرة، وعُنُقٌ مُقَنْطَرةٌ منها، وذلك مِمَّا لا يستحسنه البُصَراء لأنَّه غيرُ مُعِينٍ على الجَرْيِ، فأما العامَّة فإنهم يَستحسنونه، وهو ـ وإنْ كان عَيْباً ـ فهو أقلُّ العيوب ضرراً.

ويُستحبُّ من الفرسِ أن يشتدَّ مُركَّبُ[2] عُنقِه في كاهلِه لأنه يتساند إليه إذا أحضر.

ويستحبُّ في العُنقِ مع الطُّولِ اللِّينُ؛ وقال خَالِد بن الصَّقْعب النهدي:

ملاعبة العِنانِ[3] بغصن بَانٍ إلى كتفين كالقِتْبِ الشَّميم[4]

وأرادَ بملاعبةِ العنان أنَّ عُنُقَها لَيِّنَةٌ غيرُ كَزَّة، فهي تلاعبُ عِنَانها وتطوي

(1) الهَنَع: الانحناء، من هَنِعَ يهنَع فهو أهنع.
(2) المُرَكَّبُ: الأصل والمنبت.
(3) في أ: العناق.
(4) القِتْب: الرَّحْل الصغير على قدر سنام البعير، والشميم: المرتفع.

عُنُقَها حيث شاءت، والكَزازة[1] من أَعْيَبِ عيوبِ الدوابِّ في الأعناق وفي أيٍّ الأعضاءِ كانت.

ويُستَحَبُّ إشرافُ الحارِكِ إلى أصلِ العُنق على مستوى الظَّهر وذلك للشِّدّة والحُسن، وارتفاعُ الكتفين في الحارِكِ وغموضُهما فيه من أعاليهما وعرضِهما، والغموض من قبل ما وَالَى الجنب منهما، وخروج وسط الكتفين ورؤوسِهما من قبلِ العَضُدين وبُعْدُ ما بين المنكبين لاتّساع مَخْرج نفَسه وغموضهما من أعاليهما، فيستَحَبُّ ذلك لشدَّة سَعةِ الكاهل وتدانيهما لأن يتجافى أعالي الكتفين عن الكاهلِ، ولصوقُ أعالى الكتفين بأسفل الكاهلِ أشدُّ له من أنْ ينفرجا من أعاليهما فيخذلا الكاهلَ بما حمل عليه، وعرض الكتفين أولى بهما.

ومما يُستَحَبُّ في الصَّدْر وما حَوالَيْه، فمن ذلك رحب لَبانِه وخروج جُؤجُئه[2] وفهدتيْه وعرضهما من أسفلِهما إلى أعاليهما ولطف زَوْره.

ويُستحَبُّ اللُّطف فيما كان بينَ مَرْفِقَيْه وقِصَرِ عَضُدَيْه وذلك ليخرج مَنْكِباه ويدخل من مَرفقاه لأنهما إذا قصُرْتا رفعتا مُركَّبَ الكتفين فيهما والتقمتا الذِّراعَ فدخلتا، فإذا طالت رفعت رأسَ الذِّراع حتَّى تخرج مَرفقاه، فكان ذلك أشدَّ من تفريق يَديْه وأضعفَ لهما.

ويُستَحبُّ لُصوق مَرفقيه وحِدَّتُهما، وذلك ليكون أقوى لِيَدَيْهِ وحدّتهما أشدّ لوصل الذراعين في العَضُدين.

ويُستَحَبُّ عِظَم خَصيلةِ[3] العَضُد، فإذا عَظُمَت وغَلُظت فهو خيرٌ له،

---

(1) الكزازة والكزاز: اليُبْسُ والانقباض.

(2) الجُؤْجُؤُ: مجتمع رؤوس عظام الصَّدْرِ.

(3) الخَصيلة: كل قطعة من لحم عظمت أو صغرت، وهي أيضاً اللفيفة من الشَّعر.

ورخاوةُ اللّحم الذي في أصلِ العَضُدين من خلفِهما مما يَلِي الفريصَة[1]، وكثرة غضون جلدة ما بَيْن العَضُدين والفهدتَيْن[2] وباطن الذراعين وذلك أبسطُ لِيديه في الجَرْي.

ويُستَحَبُّ أيضاً إشراف الصَّدر وارتفَاعُه.

ويستَحَبُّ أيضاً سَعَة جِلْد الصَّدر ليجول فيه مَنكِبه ويتقَلَّب.

ويُستَحْسَن اضطراب اللَّبَان من الصَّدر وذلك لإفـراغ عَلابِيه[3] ليكونَ أرحبَ لمخرج نَفَسه.

ويستَحَبّ في العَضُديْن من الفرسِ قِصَرُهما مع طولِ الذراعين.

ويُستَحَبُّ في الـذراعينِ طُولهمـا وغلظُهما وعَبـالَتُهما من أعـاليهما وعرضُهما إذا استعرضْتَهما، وغلظ العصبِ الظاهر عليهما، وعُريُ ما بين الرُّكْبَتين منهما، ولصوقُ جلدِهما بهما، وذلك لشدَّتهما وقُدرتِه على الأخذِ بهما في الجَرْي ولطافةُ ركبتَيه وشدَّتُهما وقرب ما بينهما.

ويُستَحَبُّ في وظيفي اليدين قِصرهما وعرضهما إذا استعرضتهمـا، وحدَّتهما إذا استقبلتهما وتحديبهما وانثناؤُهما قليلاً، وفَرْش عصبهما وعرضهما وصفاؤه ولصوقُ جِلدهما بهما وغموضُ إبْطَيْهما وغموضُ شَظاتَيْهما أيضاً ولصوقهما بباطنِ الوظيفين والأبجلَيْن والمَضِيغة ورؤوس الشَّظا.

ويُستَحَبُّ أيضاً لطافةُ الجَنب وتمحّصها وصغر العَجاية وقلة لَحْمها وغموض العَصب فيهمَا وصِغر قمعتيهما وغلظ الرُّسغ وعَبالته وشدّتُه وتمكُّنُه بعصبه من غير قصرٍ فينتصب، ومن غيرِ خشنٍ فيه ولا لينٍ فيخضع، وعرض باطنِ حوشبه من موضعِ أمّ القردان.

---

(1) الفريصة: لحمة بين الكتف والصَّدر،وهما فريصتان، الجمع فرائص.

(2) الفهدتان: لحمتان ناتئتان في صدر الفرس عن يمينه وشماله.

(3) في ب: علاليه، والعلابي جمع عِلْباء وهي عَصَبة ممتدة في العُنق، وهما علباوان وعلباءان.

ويستَحَبُّ في الأوظفة أيضاً أن تكونَ يابسةً قليلةَ اللَّحم، وقلةُ اللَّحم في القوائم والمفاصِل مُستَحَبٌّ.

ويستَحَبُّ أن تَعْرُض أوظفةُ الرِّجْلَيْن وتَحْدَبَ أوظفةُ اليديْن في قولِ الأصمعي.

ويُستَحَبُّ فيها أيضاً الصَّلابةُ والشدَّةُ.

ويستَحَبُّ في الحوافرِ عِظَمُها وكِبَرُها وارتفاعُ حواميها وحدَّة سَنابِكها وَرُحْب صحونِهـا وصِغَر قشورها وضيق مواضِعها.

ويُستَحَبُّ من النُّسور أن تكون كالحَصَى صلابةً وشدَّة.

ويُستَحَبُّ بُعْدُ أَلْيَة الحافرِ من الأرضِ وذلك منه أصبرُ له على صَكِّ الأرض واحتماله ما فَوقه من الثِّقل لأنه إذا سفلت الحوافر فلم تَرتفع اتَّسع موضعُ النُّسور من أعلى الحافرِ ومُرَكَّبِ الحَوشَب وصَكَّ النسـورُ الأرضَ فأوجعه الحافرُ ونَكَلَ[1] عن الجري.

ويُستَحَبُّ في الحوافرِ أيضاً المَلاَسةُ والصلابةُ ويمدح بالشَّمرة[2].

ويستَحَبُّ فيه أيضاً أن يكون ليناً لا تشدَّد فيه وإنما تُرَادُ فيه الصلابةُ في بعض لينٍ ورطوبةٍ لا جَسَأ[3] ولا يبوسة.

ومما يُستَحَبُّ في وسطِ الفرسِ مما انطبقت عليه أضلاعُه من صُلبه وبَطنه وجَنْبَيْه ومَخرجه وخاصِرتيه وما إلى ذلك كلِّه ومما يُمدَحُ من الصفات المستحسنةِ فيها:

---

(1) في ب: وتكل، وأقرب إلى الصواب نَكَلَ بمعنى جَبُنَ ونَكَص.
(2) في النسختين: السمرة (بالسين المهملة)، والشمرة (بالمثلثة) من شَمَرَ يَشْمُر: مشى مختالاً.
(3) في ب: حِسأ (بالحاء المهملة)، وفي أ: جَسّأ من جَسَأ يجسّا جَسْئاً وجسوءاً وجُسْأة: صَلُبَ وخَشُنَ.

فأولُ ذلك نُتوءُ اللَّحمِ الغَليظ المجتَمِعِ في جَنْبيه خلفَ كَتِفَيهِ وذلك لشدَّتِه، وإجْفار[1] ما تحته من الضُّلوعِ المُتَنَفِّسة لأنها منتهى الرَّبو، فإذَا ضاقَ مكانُها انتفخَتِ الرئتَانِ فضغطتا القلبَ فَضَمَّتاه فأخَذَه لذلك الكَرْب، ثمَّ قِصَرُ ما بين مثقطعِ حافِره من ظهرِه إلى ما بينَ الدائرتين اللّتين من الشَّعرِ الشَّاخِص من صُلبِه قُدَّام الحجْبتين، واعتدالُ صُلبِه وعِرَض فَقاره، وذلك للشدَّة والحُسنِ، ولا يكون فيها قَعَسٌ ولا بَزَخٌ ولا حَدَب[2] فإنَّ ذلك كلَّه ضعفٌ، ثمَّ إدماجُ مَتنيه؛ وقد يكونُ في لَحْمِ مَتْنَيْه ارتفاعٌ على الصُّلب وهو مع ذلك شديدٌ ولكن المَلحوب[3] أشدُّ احتمالاً للرِّبْقِ، وانحناء ضلوعِ جَنبيه من أعالي أصولهما، وطولُ ضلوعه وسَعَةُ جِلده على بدنِه كلِّه، وصلابةُ صِفاقه وعِرَضه، وارتفاعُ قُصَيْراه وتجافيهما عن كُليتيه، ولحوق أباطله وجُسْأَةُ سُرَّتِه وصَلابتُها، وإشراف قَطاته وعِرَضها وكثرة لَحمها.

ويُستَحَبُّ من الفرس نتوءُ مَعَدَّيْه لأن ذلك الموضعَ إذا ضاق ضَغَطَ القلب وغَمَّه.

ويُستَحَبُّ من الفرس قِصَرُ الظَّهر مع طولِ البطنِ وصلابةِ جِلْدَتِه.

وكذلك يُستَحَبُّ في الظَّهرِ الملاسةُ واللُّدونةُ والشدَّةُ والعِرَض.

وكذلك يُستَحَبُّ في الأضلاعِ غِلَظُها وشِدَّتها.

ويُستَحَبُّ من الفرس أن يشتدَّ اتصالُ حَقْويه بالقَطاة لأنهما مُعَلَّق وَرِكيه ورِجليْه في صُلبه.

---

(1) في أ: إحفار (بالحاء المهملة) والصواب الإجفار (بالمعجمة) وهو اتساع الجنبين.

(2) القَعَسُ من قَعِسَ الفَرس يَقْعَسُ إذا اطمأنت صَهْوته وارتفعت قَطاته. ومعنى قَعِسَ أيضاً: خروج الصدر ودخول الظهر، ولعل هذا هو المقصود. والبَزَخُ (في الفرس): انخفاض ظهره، فهو أبزخ، والحَدَب: نتوءٌ في الظهر.

(3) الملحوب: الفرس متنه أملس في حدور.

وكذلك يُستَحَبُّ استدارةُ كفَلِ الفرسِ وشدَّتُه وقلَّة اضطرابِه.

ويستَحَبُّ إشرافُ الحَجبتين وبُعْدُ ما بينهما لتَعظُم القَطاتانِ، وعِرَضُ الوَرِكين وكثرةُ لَحمِهما وإشرافُ غُرابيهما ولصوقُ الجِلد بهما، وأن يكون فيهما شنَجٌ قليلٌ أصدق لهما، والتربيعُ أحسن بهما ولصوقُ الجِلد بالغُراب أشدّ لِانطباق أعالي الوَركَيْن على الفَخِذَيْن وذلك كلُّه للشدَّة، وعرض الوَركين أوْلَى بهما من الطُولِ، وشدّة عَجْبه[1] وغلظُه من غير إفراط في ارتفاع ولا غُموض، وذلك لأنَّه آخر صُلبِه وأقصى أوصالِه فإذا اشتدَّ ذلك عُرِفَتْ قُوَّةُ صُلبِه به.

وخير حالاتِه أن لا يَغْمُضَ ولا يُفرط إشرافُه، وقِصَرُ ما بين جَاعرتيه وعَكْوة ذَنَبه وذلك لتقرُب جاعِرتاه من عَجْبه، وارتفاع الجاعرتين إلى العَجْب وذلك لِيَلاَّ تَزِلَّ الرِّجْلُ وتَقصُر، وأن لا ترتفع الجاعِرتان حتى يطول الوظيف والفَخذ، وإذا ذَلَّ[2] الوظيف وقَصُرَ انحدرت الجاعِرة، ويُكْرَهُ ذلك منه.

ويُستَحَبُّ بُعدُ ما بَيْنَ الجاعرتَين وضَحاء عُجانهِ، ويستحَبُّ ذلك لتَمكُّنِ رِجْلَيْه فإنه إذا ضاقَ ذلك منه كَان أخذُه برِجليْه فيه كَزازة، وأشبه أَخْذ الأُنثى وتمامُ أخذ الذَّكَر أن تلحق له رجلاه فإذا ضاقَ ذلك من خلفِهما اجتذبهما الضِّيق وخَذَلهما فينقص له أخذُهما.

ويُستَحَبُّ من الخيلِ امتلاءُ أعلاها وقلَّة اللَّحْم في أَسفَلِها، ولذلك قال طُفَيل الغَنَوِي:

وأحمرَ كالدِّيباج، أمَّا سماؤُه فَرَيًّا، وأما أرضُه فمحُول[3]

(1) العَجْبُ (بفتح العين): مؤخَّر كل شيء، وهو أصْلُ الذنب.

(2) في ب: دلَّ (بالمهملة).

(3) الأرض المُحُول والمَحْل: المجدِبة انقطع عنها المَطر، على خلاف الرَّيَّا والريَّانة أي التي رَويت بالماء.

يصفُ فرساً أشقرَ شَبَّهَه بالديباجِ في حُسنِه ومَلاسةِ جِلْدِه، وشَبَّهَ قوائِمَهُ، لقلَّةِ لَحمِها، بالأرضِ المَحْل التي لا نَباتَ فيها وجعل سماءَهُ ريّاً لكثرةِ لَحْمِها.

ويُستَحَبُّ في الفَخِذَين عرضُهما، وهو ما بين فائِله ونقبتِه، وَهما وَصْلُ الفَخِذ في السَّاق، وطولُهما، وهو ما بينَ جاعِرته ومَأْبِضه وبين حَجْبتيه ونقبته، وعرضُهما أولى بهما من الطُّول، وكثرةُ لَحْم كاذتيهما وعرضُ فائليهما، وعظَم ربلتيهما وذلك كله لتمامِ شدَّة الفَخِذَين، وهُما اللّذان يَعتمدُ عليهما الفَرَسُ في الحُضْرِ، وقصرُ ساقيه وعرضُهما، وعظم حمايتهما وانبتارهما، وعُرْيُ مفاصلهما وأُيْبَسَيْهما، وذَلك كلُّه للشدَّة، وانتصابُ الرِّجْل وصِغَرُ الكَعبين وحدَّةُ العُرقوبين وشدَّتُهما وتوتيرهما واستواءُ لصوقهما بعَصَب رِجْلَيه وشدَّةُ لصوقِ الجِلد بهما وحدَّةُ إبرته وعُرْيُ وَتَرتِهِ وقِصَرُهما وغموضُهما في مَأْبِضِه من العُرقوب وذلك للشدَّة وانقباض الرِّجْلِ.

وَيُستَحَبُّ من رِجْلِ الفرس ورُسغِه وحوافرِه مثلُ ما تقدَّم من أنه يُستَحَبُّ في اليَدَيْن إلا في الانتصابِ، فإنَّ الرِّجْلَ يحتاج إلى أن يكون كذلك، ويُكْرَهُ ذلك في اليدين إلاّ في الوظيف فإنَّ اليدَ تحتاجُ إلى أن تقصُر وظيفاهُما ويطولَ وظيفُ الرِّجْلِ وأن يكون فيهما تجنيبٌ كتجنيب رِجْلِ الظَّبيِ فَتُعين الفَرَسَ في الجَرْي ويَكبُر قَدْرُهما وقَدْرُ أَخْذِهما من الأرض.

ويُستَحَبُّ في العُرقوبِ التَّحديدُ.

ويُستَحَبُّ في ذَنَبِ الفرسِ قِصَرُ العَسيب؛ وقال أعرابي: اخْتَرْه طويلَ الذَّنَب قصيرَ الذَّنبِ، يُريدُ طولَ الشَّعَر وقِصَرَ العَسيب.

وقال عَنْتَرة:

ولــه عسيبٌ ذو سبيبٍ ســابـغٍ   مثـل الـرِّداءِ على الغَنيِّ المُفْضِـل

ويُستحبُّ في الثّنن كثرةُ الشّعرِ وأن تكون مرتفعةً لا تَمسُّ الأرضَ لأنَّه إذا مَسَّتِ الأرضَ كان ذلك عيباً في الفرس.

قلت: قد أوردْتُ ما ذَكره المؤلِّفُ ـ رحمه الله ـ في أوصافِ الخيلِ على طريقةِ الاختصارِ، وحذفتُ كثيراً مِمَّا تَضمَّنَه من فضولِ الكلامِ والتّكرارِ، لكنه مع ذلك يَفتقرُ إلى تلخيصٍ وبيانٍ لِيَسْهُلَ تَداوُلُه على اللّسانِ، ويَقرُبَ فهمُه على الأذْهَان. ونحْنُ ـ بحولِ اللّه ـ نَضْبِط المستحْسَنَ من أوصاف الخيلِ مُلَخَّصاً مرتَّباً مبيَّناً مهذَّباً، فنقول:

يَجمع أوصافَ الاستحسان[1] في الفَرس أنْ يكون مجتمِعَ الخَلْقِ، متناسبَ الأعضاءِ صغيرَ الرّأسِ باعتدالٍ، طويلَ العُنقِ غليظَ اللّبَّةِ ـ واللبَّةُ أَوسطُ الصَّدر ـ رقيقَ المذْبَح رقيقَ الأُذنيْن طويلَهما قائمَهما مع شدَّتهما ولطفِ طَيِّهما كأنَّهما ورقُ الريحانِ أو أطرافُ الأَقلام، طويلَ الخَدَّين أملَسهما رقيقَهما، معتدلَ شَعَرِ النّاصيةِ، ضَيّقَ القذَال ـ وهو موضعُ مَعقد العِذار فوقَ النَّاصية ـ واسعَ الجبهةِ، أكحلَ العينينِ بارزَ الحَدقةِ حادَّ النّظر، واسعَ المَنخِرين أسودَ داخِلِهما، مستطيلَ مَشقِ الشّدقَين، مستديرَ الشَّفتين رقيقَهما، وتكون الشَّفَةُ العليا إلى الطول قليلاً، رقيقَ الأسنانِ مرصوصَها، طويلَ اللسانِ أحمرَ اللّهاة ـ وهي أقصا الفمِ ـ واسعَ الصَّدر عظيمَ اللَّبَب ـ واللّبَبُ وسطُ الصّدرِ أيضاً ـ ممتلىءَ القَصَرة ـ والقَصَرةُ هي أصلُ العُنق ـ لَيّنَ العُنقِ طويلَه عَالِيَّ الحارِك ـ والحارِكُ أَعلى الكاهل ـ قصيرَ الظّهر مستوِيَه، عظيمَ الجَنبيْن والجوفِ، مُنْطَوِيَّ الكَشْح، سائلَ الأضلاعِ، مستوِيَّ الخاصِرتَيْن، رحيبَ الجَوْف، مُقَبَّبَ البَطن، مُشْرِفَ القَطاة ـ والقَطاةُ هي مَقْعَد الفارسِ ـ مدَوَّر الكَفَل قصيرَه مُستوِيَّه، قصيرَ العسيب ـ والعسيبُ هو أصل الذَّنَب ـ تامَّ الذَّيلِ باعتدالٍ، أسود الإِحْلِيلِ، واسعَ المَراثِ، غليظَ الفَخِذَيْن مستديرَهما، غليظَ

[1] في ب: الأوصاف الحسان.

عَظْم الساقيْن مستوِيَّ الرُّكبتين لطيفَ الوظيفِ - وهو ما فوق الرُّسْغ إلى الركبة[1] والرسغ هو مَفْصِل ما بين الكَفِّ والساعِد، قصيرَ الأرساغِ غليظَهما، يابسَ العَصَب، مُدَوَّرَ الكَعبيْن، محدودَ العُرقوبَيْن، أسودَ الحوافِرِ أو أخْضَرها، مُدَوَّرَ الكفَّيْن مُقَعْبَلَهما، ملتصِقَ السُّنبُكِ بالأرضِ والسنبكُ هو طَرف الحافِرِ - مرتفعَ النسورِ صليبَهَا - والنسرُ: هو لحمةٌ يابسةٌ في الحوافِرِ لَيِّنَ الشَّعَر، لأنَّ لِينَ الشَّعرِ في الدوابِّ وجوارِح الطيْرِ وسائرِ الحيوانِ محمودٌ يَدلُّ على القوَّةِ ويزايِد في الفرس، لَيِّنَ الشكيرِ - والشكيرُ هو ما حولَ الناصيةِ والعُرفِ من الشَّعر الصغيرِ الذي يُشبِه الزَّغَب وذلك أَنْ تجدَ لَمْسَه تحتَ يدِك مثلَ القَزِّ المندوفِ فإنْ وجدته غير لَيِّنٍ لم يَسْلَم ذلك الفرسُ من الهجانَة.

وأن يكون مع ذلك كلِّه ذكِيَّ القلب نشيطاً عندَ الرُّكوب والحركةِ متذلِّلاً إذا مشَى يَنظُر إلى الأرضِ بعينيْه مع ارتفاعِ رأسِه.

فإذا اجتمعتْ في فرسٍ هَذه الأُوصافُ أَو أكثرُها لم تَخِب الفِراسةُ فيه عندَ الاختبار.

فصلٌ فيما يُستحَبُّ أن يكون في الفرس العَتيقِ من أوصافِ الحيواناتِ

وذلك أَنه يُستحْسَن أن يكون فيهِ أوصافٌ من أحدَ عَشَرَ جنساً منَ الحَيوان، وذلك: الغزالُ، والنَّعامةُ، وحمارُ الوحش، والثورُ، والإبلُ، والبَعيرُ، والذِّئبُ، والثَّعلَب، والأرنَب، والعُقابُ، والكلبُ.

ويُستحْسَن في الفرسِ من وصفِ الغزال طولُ وَظيفيْ رِجْلَيْه وتأليفُ عُرقوبيْه وعِظَمُ فَخِذَيْه وكثرةُ لحمها وعرضَ وَرِكيه وشدَّةُ مَتْنِه وإجفارُ جَنبيه وقِصَرُ عَضُدَيه ونَجَلُ مُقلتيْه ولُحوق أياطله.

(1) جملة ساقطة في أ.



جَوادان عربيان من المربط الملكي الأردني

ويُستحْسَن فيه من وصفِ النَّعامةِ قِصَرُ ساقيها وطولُ وظيفيْها وعُرْيُ نَسَيَيْها[1].

ويُستَحْسن فيه من حمارِ الوحش غلظُ لَحمِه واجتماعُه على رؤوسِ العِظام، وَظَمَا[2] فصوصِهِ وتَمحُّص عَصَبه وتمكُّنُ أرساغِه وتمحُّصُها وعرض صَهْوته.

ويُستَحسنُ فيه من وصفِ الثَّورِ عرض جَبْهتِه وقلَّة لَحمها واضطرابُ جِرانه[3] وكَحَل عينيْه وكِبرُهما وطولُ ذِراعَيْه وعِرَض كتفيه.

ويُستحسَن فيه من الإبل مَلاَسَة مَتنيْهِ وامتلاؤهما باللَّحم.

ويُستحسَن فيه من البعيرِ طولُ ذراعيْه وعَبالة أَوظِفَتِه.

ويُستحسن فيه من الذِّئبِ شَنَجُ نسييه وعَسَلاَنُه[4].

ويُستَحَبُّ فيه مِمَّا في الثعلبِ صفتُه في التَّقرِيب.

ويُستَحَبُّ فيه من الأَرنبِ شَنَج نَساها وَصِغَرُ كَعْبَيها.

ويستحبّ فيه من العقاب سرعتها.

ويُستَحَبُّ فيه من خِلْقَةِ الكلبِ هَرَتُ شِدْقَيْه[5] وطولُ لسانِه وكثرةُ ريقِهِ وانحدارُ قَصّه وسُبوغ ضُلُوعه وطول ذراعيهِ ولُحوق بَطنه وَرُحْب إهَابِه.

تكميل:

كِلابُ الصَّيدِ من أشدِّ الحيوان شَبهاً بالخَيلِ ومناسبةً لها باعتبارِ ما

(1) في أ: نسبَيها، والصَّواب نَسَيَيْها، مثنّى النَّسا: وهو عصب يمتدُّ من الورك إلى الكعب؛ ويجمع على أنساء.

(2) الظَّمَى: قِلَّةُ اللَّحم؛ يقال ظَمِيَت الساق: كانت قليلة اللَّحْم. والفُصُوصُ جمع فص (بكسر الفاء وضمِّها): وهو المفصِل وملتقى كل عظمين.

(3) الجِران: باطن عنق الدابة.

(4) في ب: وعسالته؛ والصَّواب عَسَلاَنُه من عَسَلَ الذئب أو الفَرسُ عَسَلاناً: عَدَا واهْتَزَّ في عَدْوِه.

(5) هَرَتُ الشدقين: اتساعهما.

يُحتَاجُ فيها من الجَرْي، ولذلك حُكِيَ أنَّ مُسلِمَ بنَ عَمْرٍو أرسلَ ابْنَ عَمٍّ له إلى الشامِ ومصرَ ليشتريَ له خيلاً، فقال: لا عِلْمَ لي بالخيل - وكان صاحبَ كلاب[1] - فقال له: ألستَ صاحبَ كلاب؟، قال: نَعم، قال: فانظُرْ كُلَّما تَستحسِنه في الكلبِ الصائدِ فاستعمِلْه في الفَرَس، قال: فَقَدِمَ بخيلٍ لم يكن فيْ العرب مِثْلُها.

باب ما للخيل من الأفهام وذكاءِ الأذهان ولِغيرها من سائر الحيوان

قلت: هذا البابُ من جُملة الأبوابِ التي انفردْتُ بذكرِها ونبَّهتُ على جليل خَطَرها ولم يتعرَّض المؤلِّفُ لها ولا اعتنَى بأمرها.

فأقول: إنَّ الخيلَ العِتاقَ لها من حِدَّةِ القَلب وذكاءِ الذِّهن وصِحَّةِ المَيزِ وصِدقِ الحِسِّ[2] ما يُعجَبُ من شأنِه ويُستَغرب من أمرِه.

وحَسبُك أنّه يَعرف بِقُوّةِ إدراكِه وشدّةِ إحساسِه حالَ راكبِه هل هو من أهلِ الفروسية والاعتيادِ بركوبِ الخيلِ وضبْطِها فيستذلّ له ويُعطيه من نفْسِه ما يريد، أوْ لَيسَ من أهلِ الفروسيةِ والاعتيادِ بركوبِ الخيلِ وضبطِها فيستصعِبُ عليه ويتعزَّز في نفسِه ولا يُمْكِنُه مما يُريد، والعامَّة تقول في ذلك في هذا المعنى في مُثُلِها: الخيلُ تَعْرِف رُكَّابَها.

وكذلك كثيرٌ من الحيوانِ البَهيمي لهُ منَ الفهمِ وقوةِ الإدراكِ والتصرُّف في منافعِه والاهتداءِ في مصالحِه والمعرفةِ بمَراشدِه ما يَقصُر عنه كثيرٌ من العقلاءِ ويعجز عنه عديدٌ من الألِبَّاء.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالذي قَدَّر فَهَدَى﴾: معناه: قَدَّرَ لكلِّ

(1) في ب: صاحب قنص.

(2) في أ: الحُسنِ.

حيوانٍ ما يُصلِحه فهداه إليه وَعَّرفَهُ وَجْهَ الانتفاعِ به، فجميعُ الحيوانِ، ما يتوالَد أو ما يَتولَّد، قد أرشده الله سبحانه إلى ما يُصلِحُه وألهمَه ما يَنفَعُه، لم يَخرُج عن تدبيرِه حقيرٌ ولا خَطيرٌ ولاَ شذٌّ عن عنايته صَغيرٌ ولا كَبير.

ومعنى قَوْلِنَا في الحيوان: ما يتوالَد أو ما يَتولَّد، أنَّ المتوالِد من الحيوان هو الذي يكون مَنشأُهُ وأصلُه من أبويْن، والمتولِّد منه هو الذِي يتكوَّن من غيرِ وَساطةِ أبوين، وذلك أنَّ الحيواناتِ على ثلاثةِ أقْسام:

القسم الأوَّل: متوالِدٌ لا غيرَ، كبني آدمَ والخيلِ والأنعامِ وغيرِ ذلك.

القسم الثاني: مُتَولِّد لا غيرَ كالدُّودِ المتكَوِّن في الفواكه وكالسوسِ المتكوِّن في حبـوبِ الزَّرع، وفي الخَشبِ إلى غَير ذلك.

القسم الثّالث: ما يوجد متوالداً تارةً ومتولّداً أخرى، كالعَقارِب، فإنها تتناكحُ وتَتوالَد غالباً، وقد تَتَولدُ من الباذِنجَان؛ قال بعضُ أهلِ العِلْم: إنّه من دَفَن الباذنجان الأصفر للزرّيعةِ في شهرِ أغشت فإنَّه يتولّدُ منها عقاربُ تَخرج من الأرضِ في نصفِ شهرِ أبْريل.

وربَّما أنَّ البَقَّ كذلكَ يتوالَد ويَتولَّد، وقد علمنا بالتجربةِ أنها تتولَّد مِمَّا يوجَدُ في بعضِ حَبِّ الملوكِ[1] دائراً على عُرْجونه شبيهاً بالجَوهر الصَّغير، مَنْ جَعله في وِعاءٍ وغَطّاه فإنه يتكوَّنُ منه بَقٌّ بعدَ أيامٍ قلائل، إلى غير ذلك مما يتوالَد تارةً ويتولَّدُ أُخْرى.

ثمَّ إن المُتوالِد من الحيوانِ، منه ما يَلِدُ ذُرِّيتَه ومنه ما يَبيض ثم تَنشَقُّ البيض عن ذُرِّيته.

فإن قلتَ فبِماذا يتميَّزُ ما يَبيضُ من الحيوانِ مِما يَلِدُ؟ فالجوابُ عن ذلك أن يقال: كلُّ حيوانٍ متوالِد لَه أُذُنٌ بارزةٌ فإنه يَلِدُ ذُرِّيتَه طائراً كانَ أو غيرَ طائرٍ،

(1) حَبّ الملوك في اصطلاح أهل المغرب هو ثمر الكرز.

ألا تَرى أنَّ الخُفَّاشَ يَلِدُ ذُرِّيتَه ولا يَبيض وإن كان طائراً لَمَّا كانت أذُنه بارزةً، وكلُّ ما ليس له أُذنٌ بارزةٌ فإنَّه يَبيض كالطيورِ ما عدا الخُفَّاشَ وكالحَيَّاتِ والجَراذين.

فإنْ قُلْت: إنَّ الأفعى ليس لَها أُذنٌ بارزةٌ وهي مع ذلك تَلد ذُرِّيتَها؟ فالجوابُ عن ذلك أنَّه قد ذَكَرَ أهلُ العِلْم أنها تكون في جَوفها بيضٌ ثم تَستحيل حيواناً مِثْلَها وحينئذٍ تَلِدُه.

تَمْهيد:

لا خلافَ عند العلماءِ أنَّ الحيواناتِ كلَّها لها أفهامٌ وإدراكاتٌ تُدرِك بها منافعَها وتُبصر بها مصالحَها، ولذلك قال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ الحَمَامُ أعقلُ الطَّير.

قال بعضُ أهلِ العلمِ: لا يَبْعُدُ أَنْ تُدرِكَ البهائمُ حدثَ العالم وخَلْقَ المخلوقاتِ ووحدانيةَ الإلاه، ولكنَّا لا نفهمُ عنها ولا تَفهم عَنَّا.

ونحنُ، بحول الله، نَذكُر من فِطنةِ الحيوانِ البهيميِّ ما فيه عِبرةٌ لِذَوي الاعتبار وتَبصرةٌ لأُولي الاستِبصار، وكل ذلك فيهِ دَلالةٌ على وجودِ الخالـقِ ـ سُبحانه ـ ووحدانيتِه وحكمتِه البالغةِ وقدرتِه، وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحد.

فَمِن ذلك النَّحلُ على صِغَرِ جِرمها ونحافةِ جِسمها فتأمَّلْ ما خَلَق الله تعالى لها من الفِطنة وهداها إليه من الحِكمة في اجتماعها وانتظامِها وتألُّفِها والتئامِها ثمَّ في بناءِ بيوتها من الشمعِ واختيارِها من جملةِ الأشكال الشّكلَ المسدَّسَ دون غيرِه من مُثلَّثٍ أو مُربَّع أو مستدير، وإنما تَركت الشّكلَ المثلّثَ لضيق مكانِه وتعنيتِ مَحلِّه، وإنما تَركت الشّكلَ المربَّع لبُعده عن شكلِها ومخالفَتِه لجِسمها، إذ شَكْلُ النّحلِ مستديرٌ مستطيلٌ، ومع ذلك فإن الشّكلَ المربَّع تخرجُ منه زوايا أربعٌ فلو اتّخذَ الشكل المربَّع لَبقيت داخلَ

البيوت تِلك الزوايا ضائعةً فارغةً لا فائدةَ لها، وإنّما تَركت الشّكل المستديرَ مع انفساحِه وموافقَتِه لِشكلها لِئلاّ تبقى خارجَ البيوتِ فُرَجٌ ضائعةٌ لا معنًى لها، لأنّ الشّكل المستديرَ إذا اجتمعت لم تَجتمع مُنْضَمَّةً ولم تتألّف متراصّةً، ولِمِثْلِ ذلك تركت الشّكلَ المُخَمَّس، فاختارت الشّكلَ المسدَّس لِمَا اجتمعَ فيه من الفوائدِ وتَضمنَه من المقاصِد التي لم تَجتمِعْ في غيرِه مما يَكاد يَقصُر فَهمُ المُهندسِ عن إدراكها ويَكِلُّ نظرُه عن استنباطِها.

الفائدَة الأولى: مناسبةُ الشّكلِ المسدَّسِ لِشكلها وموافقتُه لِوَضْعِها لقُربه من الاستدارة ولما فيه من الاستطَالة.

الفائدة الثانية: إنَّ الشكلَ المسدَّس لا يبقى فيه داخلَ البيوت زوايا فارغةٌ ولا فُرَجٌ ضَائعة.

الفائدة الثالثة: إنَّ الشّكلَ المسدَّسَ لا تبقى معه خارجَ البيوت فُرَجٌ ضَائعةٌ لانضمام بيوتِه بعضِها إلى بعضٍ.

الفائدة الرابعة: مَا في الشّكل المسدَّسِ من الانفساحِ الذي يَقْرُب به من المستدير، ولا شكلَ في الأشكالِ ذواتِ الزوايا يَقرُب في الانفساح مِنَ المستدير، ثمَّ تتراصُّ الجُملة بحيث لا يبقى بَعْدَ اجتماعِها فُرجَةٌ إلا الشّكلَ المسدَّسَ وحدَه، وهذه خاصيةُ هذا الشّكل عند أهلِ الهَندسة.

فانظر كَيف هداها اللّه ـ سبحانه ـ إلى هذا التَّحَيُّلِ العجيب وألهَمَها هذا التأنُّقَ البديعَ لطفاً منه ـ سبحانه ـ بها وعنايةً بوجودِها ورعايةً لمصالِحها لِيَهنأَ عَيشُها وتَلِذَّ حياتُها؛ فسبحانه ما أَعظمَ شأنَـه وأوسعَ لُطفَه وامتنانَه.

وقد قال الله ـ تعالى وتبارك ـ: ﴿ **وَأَوحَى رَبُّك إلى النَّحلِ أنِ اتَّخذِي مِنَ الجِبال بيُوتًا** ﴾ (الآية) معناه: أَلهمَها، وذلك أنَّ الوحيَ على ثلاثةِ أقسامٍ: وَحْي إلهام، ووحْي منام، وَوحْي كلام.

أما وَحْيُ الإلهام، فهو عامٌّ لبني آدمَ وغيرِهم من أنواعِ الحيوان.

وأما وَحْي المَنام فيكونُ لبني آدمَ ولا أدري هل يوجد لغيرِهم من الحيوانِ، والله أعلم بحقيقةِ ذلك.

وجاء في الحديثِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «رؤيا المُؤمنِ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأربعين جُزءاً من النُبوَّةِ».

وَأما وَحْي الكَلَام، فهو خاصٌّ بالأنبياء عَليهم السلام، ثمَّ إنَّ وحيَ الكلام على قِسمين: قسمٍ بوساطةِ المَلَك، وهو للأنبياءِ عموماً، وقسمٍ بغيرِ وساطةِ المَلَك، وذلك خاصٌّ بنبيّنا ﷺ إذْ كَلَّمه الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ ليلةَ الإسراء، وبموسَى عليه السلام، إذ قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ موسى تَكْليماً﴾.

ومن نِعمة الله ـ سبحانه ـ علينا في خَلْقِ النَّحل أَنْ جعلَ لنا عسلَها شِفاءً وشمعَها ضياءً.

ومن فطنةِ الكلاب ووفائها لِمَنْ أحسَن إليها ومراعاتِها حَقَّ النِّعمة لِمَنْ أَنْعَم عليها، على دَناءة أقدارِها وحَقارة أخْطارها، ما يُحْكَى عَن بعضِ المسافرين أنَّه قال: مَرَّ في طريقه بِمَقبرةٍ وإذَا قبرٌ عليه قُبَّةٌ مَبنية مكتوبٌ عليها: هذا قبرُ الكَلبِ فمن أَحَبَّ أن يَعلَم خبرَه فَلْيَمْضِ إلى قريةِ كذا وكذا، فإنَّ فيها مَن يُخبِرُه.

فسألَ الرَّجُلُ عَن القريةِ فدلُّوه عليها فقصدَها وسأل أهلَها فدلُّوه على شيخٍ قد جاوزَ المائةَ فسأله فقال:

كان في هذه الناحيةِ مَلِكٌ عظيمُ الشَّأنِ وكان مشتهراً بالنزاهةِ والصَّيدِ والسفرِ، وكان له كلبٌ قد ربَّاه، فلَمَّا يفارقه، فخرجَ يوماً إلى بعض متَنزَّهاته وقال لبعض غِلْمانه: قل للطباخِ يُصلِح لنا ثردةَ لَبنٍ قد اشتهيناها، ومضى إلى متنزَّهاتِه فَجِيءَ بِلَبَنٍ وصَنَعَ له الطَّباخُ الثردة ونَسِيَ أَن يُغَطِّيَها بشيءٍ واشتغلَ بِطَبخ أشياءَ أُخَر فخرجت من بعضِ شقوقِ الحيطان أَفْعى، فَكَرعت في ذلك

اللَّبَن ومَجَّت في الثردة من سُمِّها والكلبُ رابضٌ يرى ذلك كلَّه، ولو كان له في الأفعى حيلةٌ لمنَعها، وكانت هناكَ جاريةٌ خرساءُ زَمِنَة[1] قد رأت ما صَنَعت الأفعى.

وجاء الملكُ من الصَّيد في آخِر النَّهار، فقال: يا غلمانُ أَوّلُ ما تُقدّمون إليَّ الثردة، فلما وُضِعَت بين يَدَي الملكِ أشارتِ الخَرساء إلَيْهِ فلم يفهم ما تقول، ونَبح الكلبُ فصاح فلم يلتفت إليه ولجَّ في الصِّياح فلم يعلم مُراده ثُمَّ رَمَى إليه بما كان يرمي إليه في كلِّ يومٍ فلم يَقْرَبْه ولجَّ في النُّباح، فقال للغِلمان: نَحُّوه عَنَّا فإنَّ له قصةً.

ومَدَّ يدَه إلى ثردةِ اللَّبن فلمَّا رآه الكلبُ يريد أن يأكلَ وَثَب إلى وَسَطِ المائدةِ وأدخلَ فَمهُ في الثردةِ ووقَاه بنفسِه فسقط مَيّتاً وتناثَرَ لَحمُه.

وبَقِيَ الملك مُتعجّباً منه ومِنْ فِعْلِه فأشارت الخرساءُ إليهم فعرفوا إذ ذاك مُرادَها بما صَنَع الكلب، فقال الملكُ لِنُدمائه وحاشيتِه: إنَّ شيئاً فَداني بنفسِه لَحقيقٌ بالمكافأة وما يَحمِله ويدفنُه غيري، فدفنه وَبَنَى عليه قُبَّةً وكتب عليه ما قرأتَه.

وحَكَى مُحمّد بنُ شدَّاد قال: رأيتُ رجلاً له كلبٌ يُقَرِّبُه ويُغطّيه فسألتُه عن السببِ، فقال: كان لي رفيقٌ يُعاشرني فخرجنا في سفرٍ وكان في وسطي هِيمان[2] فيه جُملةُ دَنانير ومعي متاعٌ كثيرٌ، ونزلنا في موضعٍ فعمد إليَّ فأَوْثقني كِتافاً ورمى بي في خَندَقٍ وأخذ ما كان معي ومَضى، فَقَعد هذا الكلبُ معي ثُم تركني ومضى، فما كان بأسرعَ مِن أن جَاءني ومعه رغيفٌ فطرحَه فأكلتُه ولم أَزَلْ أحبو إلى موضعٍ فيه ماءٌ، فشرِبت منه.

---

(1) زمِنَة: مُسِنَّة.

(2) هكذا في النسختين، وواضح أن المقصود هو الكيس؛ ولم نجد لكلمة هيمان ذكر في معاجم اللغة.

ولم يَزل الكلبُ معي بقيةَ ليلي ثم نمت فَفَقدْتُه فما كان بأسرعَ مِن أن جاءني ومعه رغيفٌ آخرُ فأكلتُه.

فَلمّا كان اليومُ الثالثُ غـاب عنّي، فقلت: يمضي عني، ومَن[1] يجيئني بالرغيف، ثم جاءني ومعه الرّغيف، فلم أستَتِمّ أكلَه إلاّ وإنسانٌ قـد وقفَ على رأسي وقال: مـا تَصنع هـا هنا ومـا قصَّتُـك؟ ثُمَّ نـزل وحَلَّ كِتافي وأخرجني، فقلت له: مِن أين عَلِمتَ مكاني، ومَنْ دَلَّك عليَّ، فقال: كان الكلبُ يأتيني في كلِّ يومٍ فَيُطرَح له الرغيفُ على عادتِه فلا يأكلُه، وقد كان مَعك فأذكَرَنا رجوعُه ولستَ معه، وكان يحملُ الرَّغيف بِفيه ولا يذوقُه ويَجري فأنكرنا أمْرَهُ فاتَّبعْتُه حتّى وقفتُ عليك، قال: فهذا خَبري وخبرُ الكلبِ.

وحكَى أبو عُثمان المَدني أنه كـان في جِواره ببغـداد رجلٌ يلعب بالكِلاب، فمشى يوماً في حاجةٍ، فتَبِعه كلبٌ كان يَخُصُّه فردَّه فلم يرجِع فمشى حتى انتهى إلى قومٍ كان بينه وبينهم عَداوةٌ فصادفوه بغير حديد فقبضوا عليه والكلبُ يَراهم فخرجَ الكلْب وقد لَحِقَتْه جِراحةٌ فجاء إلى دارِ صاحبِه يَعْوي.

وافتقدتْ أمُّ الرَّجُلِ ابنَها فتنبَّهت بالكلبِ أنَّ الجِراحة من فعلِ من قَتل ابنَها وأن ابنَها قَد هَلَك، فأقامت عليه المأتم وطردت تلكَ الكلابَ عن بابِها.

فلزم ذلك الكلبُ بابَ الدّار، فَمَرَّ القاتلُ ببابِ الدارِ فعرَفَه الكلبُ فنَهشَه وعَلِقَ به واجتهدَ المجتازون في الطَّريق أنْ يُخلِّصوه منه فلم يَقْدِروا وارتفعت لِذلك ضَجَّةٌ وجاء حَارِسُ الدَّربِ، فقال: إنه لم يَعْلَق هذا الكلبُ بالرجلِ إلا وله معه قِصّة ولعلَّه الذي جَرحه.

(1) في ب: ولاً.

وخرجت أمُّ القتيلِ فرأت الكلبَ متعلقاً بالرجلِ وسَمِعت كلامَ الحارسِ فتذكَّرت أنَّ هذا الرجلَ كان مِمّن يُعادي ولدَها فوقع في نفسِها أنه قَاتِلُه، فتعلَّقت به وادَّعت عليه القتلَ وارتفعت إلى صاحبِ الشرطةِ فحَبسه بعد أن ضُرِبَ، فلم يُقِرّ.

ولزمَ الكلبُ باب السجنِ، فَلمَّا كان بعدَ أيامٍ أُطلِقَ الرَّجُل، فلما خرج عَلِقَ به الكلبُ فَفُرِّقَ بينهما، وما زال يسعى خلفَه ويصيحُ إلى أن دخلَ بيتَه فدخل خلفَه وتَبِعه صاحبُ الشرطةِ من حيث لا يعلم، فدخل الدارَ وأقبل الكلبُ يبحث بمخاليه موضعَ القتيلِ فنبشَ فوجدَ الرّجُلَ في الحفير، فَضُرِبَ المتَّهَم فَأَقَرَّ على نفسِه وعلى الباقين، فَقُتِلَ وطُلِبوا.

وحَكَى بعضُ النَّاسِ، قَال: دخلتُ بستاناً ومعي كَلبان لي قد رَبَّيتُهما فنمت فإذا هُما يَنْبحان فانتبهتُ فلم أرَ شيئاً أُنْكِرُه فَعاودا النباحَ فصرفتهما واضطجعتُ فإذا بهما يُحَرِّكَانِي بأيديهما وأرجُلهما كما يوقَظ النائمُ فوثبتُ فإذا حَيَّةٌ شديدةُ السوادِ قد قَرُبَت منّي فوثبتُ فقتلتُها، فكانا سببَ سلامتي.

قالت الحكماء: ومن فطنة الكلب أنَّه إذا عايَنَ الغِزْلان قريبةً كَانت أو بعيدةً، عرفَ الذَّكَرَ مِنَ الأُنثى، فلم يقصِد إلاَّ الذَّكَر، وإن كان الذَّكرُ أشدَّ جرياً وأبعدَ وَثْبةً، ويَدَعُ الأنثى على نقصانِ جَرْيِها.

وسببُ ذلك أنَّه قد عَلِم أنَّ الذَّكر إذا جَرى شوطاً أو شوطَيْن حَقِبَ بِبَوْله[1]، وكذلك كلُّ حيوانٍ إذا اشتدَّ فَزَعُه، فإنه يُدرِكُه حَقَبُ البَوْل، وإذا حَقِب الذّكر لم يستطع البولَ مع شدَّة الجري فيثقُل حينئذٍ جَريُه وتَقصُر خُطاه فَيَلحقُه الكلبُ، وأما الأُنثى فإنها تَرمي ببولها وهي تَجري لِسَعة السبيل وسهولة المَخرَج فتصير لذلك أدوَم جرياً.

---

(1) حَقِب، يَحقُب: احتبس وامتنع، والمعنى: احتبس بوله.

ومن فَهْم الكلْب أنَّه إذا خَرج في يوم الثَّلج والثلجُ قد تراكمَ على الأرضِ فتَخفى أجْحَارُ الأرانبِ بسبب ذلك فيشتَمُّ الكلبُ وينظرُ إلى أن يقفَ على تلك الأجْحار، وطَريقُ معرفتِه أن أنفاسَ الحيواناتِ وبخارَ أجوافِها تُذيبُ شيئاً من الثَّلج الذي بِفَمِ الجُحْر فيتفطَّن الكلبُ لذلك على خَفائه.

ومن فطنةِ الكلبِ أنَّه إذا ظَفِر بإنسانٍ لم يُنْجِه إلاَّ أنْ يقعُدَ بين يَدَيْه ذليلاً، فحينئذ لا يلتفتُه لأنه يَراه تحت قُدرتِـه فَيَسِمُه بِمَيْسم ذُلٍّ.

فائـدة: قال بعضُ أهلِ العِلم: مَنْ أراد أن لا ينبح عليه الكلبُ فليقرأ: «إنْ نَشَأْ نُنزل عليهم من السماءِ آيةً فَظَلَّت أعْنَـٰقُهُم لها خَاضِعِين».

خاصية: مَن أمسكَ نابَ كلبٍ عنده لم تنبح عليه الكلاَب.

ومن فطنة **الثعلب**، إذا أَعوزه القوتُ تَماوتَ ونَفَخَ بطنَه فتَحسِبُه الطَّيرُ مَيِّتاً فإذا نزلتْ عليه وَثَبَ عليها.

خاصية: قال الكاتب أبو الحَسن المدائني: مَن دفع كُلْيَتَي ثَعلبٍ أو خُصْيَيه إلى أحدٍ أحبَّه الآخِذ.

وقال أيضاً: مَن أمسكَ عنده كُلْيَتَي ثَعلَبٍ فإنه لا يَخاف الكلابَ.

ومن فِطنة **الحَيَّات**: أنَّ منها ما يَغْمِس ذَنَبَه في الرَّملِ وينتصبُ نصفَ النَّهار في شِدَّة الحرِّ فيجيءُ الطائرُ فيكره النزولَ على الرملِ لِحَرِّه فيقعُ على رأسِ الحَيَّة على أنه عُودٌ فَتَقْبِض عليه.

ومن غرائب الحيَّات: حَيَّاتٌ ذَواتُ أجنحةٍ تُوجد في أرضِ الحَبشة، وكذلك يوجَدُ بها عقاربُ طَيَّارةٌ قاتِلة.

وكذلك من غَرائب الحَيَّات: أفعى توجدُ في بعضِ نواحي المَشْرق المتَّصلةِ ببلاد الهند، ومن خَاصِّيتها أنه ما رآها أحدٌ قطُّ إلاَّ مات، تفعلُ ذلك ما دام الرُّوح فيها، فإذا ماتَت لم تَضُرَّ شيئاً؛ ولما تَعَرَّفَ الإسكندرُ شأنَها أمَرَ

أنْ يُصنَعَ لها مرآةٌ وتوضع في طريقِها فَوُضِعت، فلمَّا نَظَرت إلى صورتِها في المرآةِ ماتت فأدركت عند ذلك بالنظر والعِيان.

خاصية: إذا شُدَّ سِلْخُ الحيَّةِ على وَرِك المرأةِ عند الوِلادة أسرعت الوِلادة، ذَكَر ذلك الطبري.

ومثلُ ذلك ما ذَكَر بعضهُم أنَّ حَجَرَ المَغْنَطِس ـ وهو الذي يجذب الحديد ـ إذا أمسكته المرأةُ عندَ الوِلادة بيدِها اليُسرى أَسرعت الوِلادة.

ومثلُ ذلك عن المدائني أنه قال: إذا صاحت جاريةٌ بِكْرٌ بالمرأة التي تَلِد باسمِها: يَا فُلانة أنا جاريةٌ بِكْرٌ قد وَلَدْتُ وأنتِ لمْ تَلِدي وَلَدت مكانَها.

وأحسنُ من ذلك كُلِّه في هذا المعنى ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ ـ رضيَ الله عنه ـ أنه قال: مَرَّ عيسى ابنُ مريم ـ صلى الله على نبينا وعليه ـ ببقرةٍ وقد اعترض وَلَدُها في بطنِها فقالت: يا كلمةَ الله ادعُ الله أن يُخَلِّصني، فقال ـ عليه السلام ـ: يا خالقَ النَّفسِ من النفسِ خَلِّصْها، فألقت ما في بطنها؛ قال ابنُ عبَّاس: فإذا عَسُر على المرأةِ ولدُها فَلْيُكتَب لها هذا.

قال الإمامُ أبو حامد الغَزالي ـ رضيَ الله عنه ـ: من الخواصِّ العجيبةِ المجرَّبة في معالجةِ الحاملِ التي عَسُرت عليها الوِلادة هذا الشكْلُ يُكْتَبُ على خِرقَتَيْن لم يُصِبْهُما ماءٌ وتَنْظرُ إليهما الحاملُ بعينِها وتضعُهما تحت قَدميْها يُسرعُ الولدُ في الحالِ إلى الخروج.

وهذه صورة الشكل:

د	ج	ح
ط	ه	ا
ب	ز	و

وهو شكلٌ فيه تسعةُ بيوتٍ يُكْتَب فيها حروفٌ مخصُوصَة تدلُّ على عددٍ يكون مجموعُ ما في كلِّ جدولٍ خمسةَ عشرَ، قرأتَه على طول الشكلِ أو عَرْضه أو على القُطْر[1].

ومِن فِطْنة الأُيَّلِ[2]: أنه يأكلُ الحيَّاتِ فيعتريه عطشٌ شديدٌ فيدور حولَ الماء ولا يشربُ ولا يمنعه من الشُّرب إلا عِلمُه بأنَّ الماءَ يُنفِذُ السمَّ في بدنِه فيُسرع هلاكُه.

خاصية: قال أبو الحسن المَدائني: دخانُ رَوْث الأُيَّل يَطرُد الهوامَّ من البيتِ.

ومن فطنةِ العُقاب أنها إذا اشتكت كَبِدُها مِن رَفْعِها الأرنبَ أو الثعلبَ في الهواءِ وحَطِّها لذلك مراراً، فإنها لا تأكل إلا من الأكبادِ حتّى يبرأَ وَجعُها.

ومن فطنة الفار ما يُحكى عن أبي طالبِ المعروفِ بابنِ الدَّلوِ، وكان رجلًا صالحاً أنه كانَ ليلةً من الليالي قاعداً يَنْسَخ، قال: وكنتُ ضَيِّقَ اليدِ فخرجَتْ فارةٌ كبيرةٌ وجَعلت تجري في البيت ثم خَرجَتْ أخرى وصارتا تلعبانِ بين يَدَيَّ، وكان بين يَدَيَّ طاسةٌ فكببتُها على إحداهما فجاءت الأُخرى فبقِيَت تدورُ حول الطاسةِ وأنا ساكتٌ، فدَخَلَتْ في الحفيرِ تحت الأرض وخَرَجَتْ وفي فيها دينارٌ صحيحٌ وتَرَكَتْه بين يدَيَّ فاشتغلتُ بالنسخِ وقَعَدَتْ ساعةً تنتظرُ ثم رَجَعَتْ فجاءت بدينارٍ آخرَ إلى أن تَألَّف لها أربعةُ دنانير أو خمسةٌ، وقَعَدَت زماناً أطولَ من كلِّ مَرَّةٍ ورجَعَتْ فأَخْرَجَت جُلَيدةً كانت فيها الدنانيرُ، فعرفتُ أنها ما بقي شيءٌ فرفعتُ الطاسةَ فَفَرَّتا وأَخَذْتُ الدنانيرَ.

ومن فطنةِ النَّمل أنها تَدَّخِر في الصيفِ للشتاء ثم تَخاف العَفَن على

---

(1) في أ: الفطر.

(2) الأُيَّلُ، والإِيَّل (بضم الهمزة وكسرها) هو الوعل.

المدَّخرِ من الحبوبِ فتنشُرُه ليضْرِبه الهواءُ، وإذا كان مكانُها نَدِيّاً وخافت على الحبوبِ أن تَنبُتَ فإنها تَنقُرُ وسطَ الحَبَّةِ كأنها تَعْلَم أنها تنبُت من ذلك المكانِ وتَفْلِقُها نصِفيْن لئلا تَنبُت فإن كانت حَبَّةَ كُزْبُرٍ فَلَقَتْها أربعاً لأنَّ أنصاف حَبِّ الكُزبر تَنبُت من بينِ جميعِ الحبوب.

فانظر كيف تَفَطَّنت لِما يجهله كثيرٌ من بني آدم، وقَلَّما تلقَى نملةً أخرى، إلا وَقفتْ معها كأنَّها تُخبِرها بشيءٍ أو تَسألُها عن شيء، ويدلُّ على كلامها قولُه تعالى: ﴿ **قالت نملةٌ يأيّها النملُ ادخُلوا مساكِنَكم** ﴾ الآية.

وذلك أنَّ سليمانَ ـ عليه السلام ـ كان في جملةِ ما أنْعم اللَّهُ عليه به من النبوَّة والمُلْكِ وتسخيرِ الإنس والجِنِّ والطَّيرِ أنْ عَلَّمه اللَّهُ مَنْطِقَ الحيوانِ البهيميِّ من طائرٍ وغيرِه فسمع كلامَ النملةِ فتَبسَّم ضاحكاً من قولها كما قال الله ـ عَزّ وجلّ ـ وأما فَهمُه ـ عليه السلام ـ مَنطقَ الطيرِ ومقاصدَه وما يَفْهم بعضُ الطير من بعضٍ من معانيه وأغْراضِه فقد حُكِيَ أنه مَرَّ على بُلبُلٍ في شجرةٍ يُحرِّك رأسَه ويُميلُ ذَنَبَهُ فقال ـ عليه السلام ـ لأصحابِه: أتدرون ما يقول؟، قالوا: اللَّه ونبيُّه أعلم، قال: يقول: أكلتُ نصفَ ثمرةٍ فعلَى الدنيا العفا.

والبُلبُل هو الذي تَعرِفُه العامَّة بأمِّ الحسن، وقد سمَّاه بعضُ الشعراء بذلك في قطعةِ شعرٍ بديعةٍ يَصف فيها يومَ أُنسٍ فقال:

ونهارٍ بِنَهْرِ قَلْعةِ جابرْ ... كان مِنّي لِوَاهِنِ الأُنسِ جابِرْ
وطيورٍ كأنَّها خطباءُ ... في غصونٍ كأنَّهنَّ مَنابرْ
سَتَرَتْها الأوراقُ وهيَ تُغنّي ... فسمِعنا القِيانَ خلفَ الساترْ
أسْمِعينا يَأُمَّ حاءٍ وسينٍ ... ثُمَّ نونٍ كعطفةِ الصُّدغِ دائرْ
نَوبةً تُبْرِىء المُنَوَّبَ حتَّى ... لو غدا ميتاً لأصبحَ ناشرْ

رَجَعَ بنا الكلامُ إلى المقصودِ؛ وحُكِيَ أنَّ سُليمان ـ عليه السلام ـ صَاحَبَ فاخِتَةً فَأُخْبِرَ أنها تقولُ لَيتَ ذا الخلِق لم يُخْلَقوا، وصاح طاووس

فقال: يقول كما تَدين تُدان، وصاح هُدْهُدٌ فقال: يقول استغفِروا الله يا مُذنبون، وصاح خطّافٌ فقال: قَدِّموا خيراً تَجدوه، وصاحت رَخَمَةٌ فقالت: تقول سبحانَ ربّيَ الأعلى مِلءَ سمائه وأرضه، وصاح قُمْرِيٌّ فأخبر أنه يقول: سُبحانَ ربّي الأعلى، وقال الحِدا[1] تقول: كُلُّ شيءٍ هَالكٌ إلا الله، والديك يقول: اذكُروا الله يا غافِلون، والنسر يقول: يا بنَ آدم عِشْ ما شِئتَ آخِرُك الموتُ، والعُقاب تقول: في البُعدِ من الناس أُنْس.

ويحكى عن سليمان ـ عليه السلام ـ أنه مَرَّ بقصرٍ بأرضِ مصرَ ووجد عليه نسراً واقفاً فدعاه، فقال: مَنْ بَنَى هذا القصرَ، فقال: لا أدري، فقال: فكم لك منذ وقَعْتَ عليه؟ فقال: لي ستمائة سنة وخمسون سنة.

وذلك أنَّ النّسرَ طويلُ العمر جِداً في الطيور وفي سائر الحيوان يُضْرَب به المثلُ في طول العمر، لا أعلم في الحيوان أطولَ منه عمراً إلا الحيَّة، فيقال: إنها لا تموت حَتْفَ أنفها أصلاً إلا أن يَعرِض لها سببٌ من خارج فيقتلَها.

وقد زعم بعضُ أهل العلم أنَّ سليمانَ ـ عليه السلام ـ لم يُعَلَّم إلاَّ منطقَ الطير خاصّةً، لقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّها الناسُ علّمنا منطقَ الطير ﴾ وأن النملةَ التي فَهِم كلامها كان لها جناحان فصارت في جملةِ الطَّير فلذلك فَهِم منطقها.

والصَّحيح أن سليمان ـ عليه السلام ـ كان له معجزةٌ فهم كلام الطير وسائرِ البهائم والحشرات وإنما خُصَّ الطيرُ في قوله: ﴿ علمنا منطق الطير ﴾ من أجلِ سَوْق قصةِ الهُدهد بعد ذلك.

وقد قالَ أهلُ العِلم أنه ـ عليه السلام ـ كان يَفْهم كلامَ ما لا يتكلَّم

(1) لعله يقصد ذكر الحِدَأة، وهي طائر من الجوارح، والجمع: حِدَأٌ وحِداء.

ويُخلَقُ له فيه القولُ مِنَ النبات، فكان النَّبات يقول له: أنا شجرةُ كذا أنفعُ من كذا، وأضُرُّ من كذا، وفائدتي كذا فَمَا ظَنُّك بالحيوان؟

ومِمَا يُسئَل عنه في قصةِ سليمان ـ عليه السلام ـ مَع النَّملة قولُه تعالى: ﴿ **فتَبسَّم ضاحِكاً من قَوْلها** ﴾ من أي شيء كان تَبَسُّمُ سليمان ـ عليه السلام ـ الجواب عن ذلك أن يقال: تَبسَّم ـ عليه السلام ـ لأحدِ أمْرين أوْ لَهُما معاً:

أحدهما: سرورُه بما أعطاه اللَّه عزَّ وجلَّ، والأخرى سرورُه بثَناءِ النَّملة عليه وعلى جنودِه بالتّقْوى والتحفُّظِ من مَضَرَّة الحيوان تَعمُّداً في قولها: «**لاَ يَحْطِمَنَّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يَشْعُرون**» يعني أنهم لو حَطموا النّملَ إنما كان يكون ذلك من غير شعورٍ منهم لذلك ولا تَعَمُّدٍ للاعتداء، فلذلك كان تبسُّمه، وَجُلُّ ضَحِك الأنبياءِ عليهم السلام، هو التَّبَسُّم؛ وقد كان نَبيُّنا ﷺ يتبسَّم ويمزَح على ما يَليق بوصفِه الكريم وخُلُقِه العظيم، ورُوِي عنه ﷺ أنه قال: **إنِّي لا أمزَحُ ولاَ أقولُ إلا حَقّاً**، ومن مِزاحه ﷺ ما رُوِي أنَ عجوزاً أتَتْه منَ الأنصار، فقالت: يا رسولَ الله، ادْعُ اللَّهَ لي بالمغفرةِ أو ادْعُ لي بالجَنّةِ، فقال: **أما عَلِمْتِ أنَّ الجَنّةَ لا تَدخلُها العَجَائزُ**، فَصَرخت، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال لها: **أما قرأتِ قولَ الله عزّ وجلّ**: ﴿ **إنّا أنْشَأناهُنّ إنْشاءً فَجعلناهُنَّ أبكاراً عُرُباً أَتراباً** ﴾ وأتته امرأةٌ أخرى في حاجةٍ لزوجها، فقال لها: وَمَن زوجُك؟، فقالت: فُلان، قال: الذي في عينيْه بَياض، فقالت: لاَ، فقال: بَلَى، فانصرفت عَجَلاً إلى زوجِها وجعلت تتأمَّلُ عينيْه، فقال: مَا شأنك. فقالت: أخْبَرَني رسولُ الله ﷺ أنَّ في عَيْنيْك بياضاً، فقال لها: أما تَريْن بياضَ عَيْنَيَّ أكثرَ من سوادِهما؟.

ومن فطنةِ الهُدْهُدَ قَضِيَّتُه مع سليمانَ ـ عليه السلام ـ حيث تَفَقَّدَ الطَّيرَ كما أخبرَ اللَّهُ تعالى حيث قال سبحانه: ﴿ **فقَال: ما لي لا أرى الهُدْهُدَ أمْ كان من الغَائِبين** ﴾ فكان من عجيبِ شأنِه وقُوَّة فِطْنَتِه أنه دَلَّه على مَلِكَةِ سَبأ،

وذلك قوله لسليمانَ ـ عليه السلام ـ: ﴿أحطت بما لم تُحِطْ به وجئتُك من سبإٍ بنبإٍ يَقين﴾ حَسبما أخبرَ اللَّهُ به في كتابِه العزيز.

فائدةٌ عارضة في ذكرِ مَلِكة سبأ وما يتَّصل بذلك.

ملكةُ سَبأ هيَ بَلْقيس بنتُ هدادش شرحبيل؛ قال السُّهَيلي: وهي بنتُ أربعينَ مَلِكاً، ولَمَّا ماتَ أبوها ولم يَتْرُك ولداً ذَكَراً مَلَّكَها قومُها عليهم لِمَا رأوا من عَقلِها وكَمالِ فَضْلها.

وكذلك فَعلَتِ الفُرْس لَمَّا مات كِسْرى مَلِكُهم وَلَمْ يُخَلِّف ولداً ذَكراً مَلَّكُوا بِنتَهُ عليهم، وكان ذلك على عهدِ رسول الله ﷺ ولما بلغ رسولُ الله ﷺ قال: «لَن يُفلِحَ قومٌ وَلَّوا أَمرهم امرأةً» فكان كما قال ﷺ وكانت بلقيسُ ملكةُ سبإٍ أمُّها جِنِّيَةٌ.

وقد أنكرَ بعضُ المُقصرين التَّوالُدَ بين الإنسِ والجِنِّ، والحَقُّ أنَّ ذلك أمرٌ لا يُنكَر وجودُه ولا يستحيل وقوعُه وأن ذلك جائزٌ عقلاً، لكن يفتقر إلى صِحَّةِ وجوده نقلاً.

ومِمَا حُكِيَ أيضاً من التوالد بين الإنس والجِنِّ أنَّ عمرَو بنَ يربوعٍ، من مشاهيرِ العرب، تزوَّج سِعْلاة تُسَمَّى أُمامة، والسِّعلاة هي ساحرةُ الجِنِّ، فقال أهلُها: إنَّك ستجدُها خيرَ امرأةٍ ما لم تَرَ بَرقاً فَتجِنُّ إلى وَطنِها، فكان عَمْرُو بنُ يَربوعٍ إذا رأى غَيْماً في السماءِ سَترَها لِئَلاَّ يَلْمَع برقٌ فتراه، فلم تَزلْ معه حتَّى أَوْلَدَها وظنَّ لطولِ الصُّحبةِ وما لَها منه من الذُّرِّيَة أنها لا تُفارقه فَغَفل عن حفظِها من البَرقِ، فرأتْ برقاً قد لَمَعَ فاستوت فَوقَ بَكْرٍ من الإبل، والبَكْر هو الفتى من الإبل وقالت:

أَمْسِكْ بنيك عَمْرُو إني آبقٌ   بَرْقٌ على أرضِ السَّعالي آلقُ

ثم مَرَّت فلم يَرَها بعد.

وبَنُو عَمْرِو بنِ يَربوع من تلك الجِنّيَةِ يقال لهم بَنُو السِّعلاة، ولذلك قال الراجزُ يهجو بني عَمْرِو بنِ يَربوع:

يــا قَــاتَــلَ اللّه بنـي السِّـعــلاةِ   عمـرو بنِ يـربــوع شِـرار النَّــاتِ
لَيسوا بأخيارٍ ولا أكْياتِ

أراد شِرارَ الناسِ ولا أكياس فأبدل من السين تَاءً في موضعينِ. ومن التوالُدِ بين الجِنسيْن المختلِفيْن توالُدُ الجِنِّ ما بين إبليسَ اللعينِ والحَيَّةِ لَمَّا أُهبِطا من الجَنَّةِ، وذلك أنَّ الذين أُهبِطُوا منَ الجَنَّةِ كانوا أربعةً: آدمَ وحواءَ وإبليسَ والحَيَّةَ، فنزلوا من الجَنّة مفترقين، نزل آدمُ عليه السلام، بأرضِ الهند، ونزلت حَوَّاءُ بِجَدَّة على أربعين مِيلاً من مَكَّة، ونزلَ إبليسُ بأرضِ البَصْرة، ونزلت الحَيَّة بأرضِ أصْبِهان، ثم اجتمع بعد ذلك ـ عليه السلام ـ مع زوجِه حَوَّاء، فمنها ذُرِّيَتُه كما هو معروف.

واجتمعَ إبليس ـ لعنهُ الله ـ مع الحَيَّةِ واتَّخذَها زوجةً، فمنها ذُرِّيَتُه، فإبليس أبو الجِنِّ كُلِّهم وأُمُّهم الحَيَّةُ، كما أن آدمَ أبو البشرِ كلِّهم وأُمُّهم حَوَّاءُ، هكذا قال **مُجاهد والحَسَن وقَتادة**.

ونَظير ما قَدَّمنا من التَّوالُدِ بين الجِنْسين المختَلِفَين ما يُحكَى من أنَّ العُقاب ـلا تكون أبداً إلا أُنثَى لا ذكرَ لها من جِنسها، وإنما يَسفِدُها طائرٌ آخرُ من غيرِ جِنْسِها فيتَولَّد بينهما العُقاب أُنثَى، هكذا حالُها أبداً فيما ذَكَر بعضُ النَّاس.

ومن التَّوالُد بينَ الجِنسين المختلِفَيْن ما هو مُشَاهدٌ مَعلومٌ من تَكَوُّنِ البِغال مَا بين جِنْسَي الخَيلِ والحَمير، وكذلك ما يقالُ من تَكَوُّنِ الحوتِ المعروفِ بالسَّلْباح ما بين الحَيَّاتِ والحيتانِ، ولذَلـك جَمَعَ ما بينَ شكلِ الحَيَّةِ ومَطعَمِ الحُوتِ، والله تَعالى أعلم.

رَجَعَ بنا الكلامُ إلى بَقِيّةِ حديثِ بَلقيس ملكةِ سَبأ، وذلك أنّه لما دَلَّ

الهُدْهُدُ سليمانَ ـ عليه السلام ـ عليها وَعَرَّفَه حالَها، وعَظَّم له مُلْكَها ووصفَ له عَرشَها، وهو سريرُ مُلْكِها، وَجَّه سليمانُ ـ عليه السلام ـ إليها كتاباً يَأْمُرُها فيه وقَومَها أن يَأتُوه مُسلِمين، ثُمَّ أمرَ مَنْ يَأتيه بعرشِها قبلَ إتيانِهم إليه وقُدومِهم عليه، فوصَل عَرشُها إلى سليمانَ ـ عليه السلام ـ قبلَ وصولها، فأمرَ بتنكيرِ عَرشها وتَغْييرِ وَضْعِه، وأمر أن يقالَ لها عندَ قُدومها عليه: أهكذا عَرشُكِ؟ اختباراً منه ـ عليه السلام ـ لِعَقْلِها وتَعَرُّفاً لِفَهْمِها.

فَلَمَّا جاءت قيلَ: **أهكذا عَرْشُكِ؟**، قالت: **كأَنَّهُ هُوَ!** وإنما قيل لها: **أهكذا عَرشُك**، ولم يُقَلْ لها: أهذا عرشك، لِيَلَّا تَتَفطَّنَ أَنَّه هو بِعَيْنِه، وإنما أجَابَتْ بقَوْلها: **كَأَنَّه هو**، ولم تَقل: هو، تَحَرّزاً من التَّحقيق في مَحَلِّ الاحتمالِ ولِيكون الجَوابُ مطابقاً للسؤال.

ثُمَّ أمرَ أن يقالَ لها: **أُدْخُلِي الصَّرْحَ**، وَالصَّرحُ في اللغةِ: القَصْرُ؛ رُوِيَ أنَّ سليمانَ ـ عليه السلام ـ أمَرَ قبلَ قُدُومها فَبُنِيَ لها عَلى طَريقِها قَصْرٌ من زُجاجٍ أبيضَ وأجْرى الماءَ من تَحتِه، وألقَى فيه حَيوانَ الماءِ من الحيتانِ وغيرِها، فصار يُخَيَّلُ للناظرِ أنه لُجَّةُ ماءٍ، ووضعَ سريرَ مُلكِه في صدرِه فجلَس عليه، ﴿ **فَلَمَّا رَأَتْه حَسِبَتْه لُجَّةً** ﴾ كَما أخبر الله سبحانَه، واللُّجَّةُ: هي الماءُ المجتَمِع، فكَشَفَت عن سَاقَيْها لِتَدخُلَه لَمَّا أُمِرت بِدُخُوله.

وَرُوِيَ أنَّ سَبَبَ هذا الفعلِ الذي فَعَله معها سُلَيمانُ ـ عليه السلام ـ مِنْ تَنْكِيرِ عَرشِها وبناءِ صَرحِ الزُّجاجِ على طريقها أنَّ الجِنَّ كَرِهوا تَزَوُّجَ سُليمانَ لها فقالوا له: إنَّ عقلَها مخبولٌ وَأَنَّ رِجْلها كحافرِ الحِمَارِ، فاختبرَ عَقْلَها بتنكيرِ عَرْشِها فوجدَها امرأةً عاقلةً، واختبرَ ساقَيْها بِصَرْحِ الزُّجَاجِ، فَلَمَّا كشفَتْ عن سَاقَيْها وَجَدَها أحسنَ الناسِ ساقاً فتزوَّجَها بعدَ إسْلامها وأَقَرَّها على مُلْكِها باليَمَنِ، وكان يَأتيها مَرَّةً في كلِّ شهرٍ، وقيلَ أَسْكَنَها مَعَه في الشام، والله تعالى أعلم.

وَإلى قَضِيَّةِ بَلقيس وَكَشْفِها عن سَاقَيْها أشارَ الشَّاعرُ بقولِه يصفُ جاريةً حسناءَ:

وعَقيلةٍ لاحت بشـاطِىء نَهْـرِهـا كـالشَّمسِ طـالعـة لَـدَى آفَـاقِهـا
فكـأنَّهـا بَلقيسُ وَافتْ صَـرْحَهـا لـو أنَّهـا كشفت عَنْ سَـاقِـهـا

وهذَا من التَّمليح الحسن، والتَّمليحُ في علمِ البَيان هو أنْ يُشيرَ النَّاظمُ أو النَّاثرُ إلى آيةٍ قرآنيةٍ أو حَديثٍ نَبويٍّ أو بيتِ شِعْرٍ أو قِصَّةٍ من غيرِ ذِكْره بلفظِه ولا إيرادِه بنصِّه، ومن ذلك قولُ ابنِ المعتَز:

أَتَـرى الـجيـرةَ الـذيـن تَـبَـادَوا بُـكْـرَةً لـلزوالِ قَـبـلَ الـزُّوالِ
عَـلِمـوا أنَّـني مُـقـيـمٌ وقَـلْبـي مَـعَهُـمْ راحـلٌ أمـامَ الـجِـمـال
مِثْـلَ صـاعِ العـزيـزِ في أَرحُـلِ القومِ ولا يعلمون ما في الرِّحَالِ

أشارَ إلى قضيةِ يُوسُفَ ـ عليه السلام ـ جَعَلَ السِّقَايَةَ في رِحْلِ أخِيه؛ وقال الآخر:

سـارَ الـحَبـيبُ وخَـلَّفَ الـقـلبـا يُـبـدِي العـزاءَ ويُضْمِـر الكَـربـا
قَـدْ قلتُ إذْ سـارَ السَّفيـرِ بِهِمْ والـشـوقُ يَنْـهَـبُ مـهْجـتي نَـهْبَـا
لـو كـان لي مُلْكُ أُصُـولُ بِـه لأَخَـذتُ كـلَّ سفيـنـةٍ غَصْـبَـا

أشارَ إلى قضيةِ المَلِك الغَصَّاب المذكورةِ في قِصَّةِ مُوسَى والخَضِرِ عليهما السلام في سُورةِ الكَهْف.

ومن ذلك قولُ ابنِ نُبَاتَةَ المْتَأخِر:

عُلِّقْتُهـا غَيْـداءَ حـاليـةَ الـطُّلَى[1] تَجني على عقـلِ المُحِبِّ وقلبِـه
بَخِلَت بلُؤْلُؤِ ثغْـرهـا عَن لاَثـمٍ فَغَـدَت مُـطوَّقـةً بمـا بَخِلت بِـه

(1) هكذا في النسختين، والصَّواب الطُّلاَ ـ كما يَتَّضِحُ من سياق الكلام. والطُّلاَ جمع طُلاَة، بضم الطاء، وهي العنق أو صفحته، وإنّما أراد الشاعر أن في جيدها حلياً.

أشار إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيُطَوَّقون ما بَخِلوا به يومَ القيامة ﴾.

ومن نظمِي في التَّمليح:

ماذَا تَرى في مُخلصٍ لكَ حُبَّه ... ما إنْ يَزَل لِمَا أمرتَ مُطيعَا
إنْ زِدْتَهُ بُعداً يَزيدُ تَقَرّبا ... أو زدته عزاً يزيد خُضوعا
اللهَ في إحياءِ نَفسٍ مُتَيَّمٍ ... فَنِيَت عليك صبابةً وَولوعا
أوَما علمتَ بأنّه من يُحْيِهَا ... فَكَأنَّما أَحْيا الأَنامَ جَميعا

ومن نظمي أيضاً في التَّمليح ـ وهو مِمَّا تَرَكَّب فيه التمليحُ مع التَّوْرِيةِ ـ في بعضِ المُقرئين لِعِلْم الحِساب:

يا ناصباً عِلْمَ الحسابِ حِبالةً ... لِمَرام ظَبْيٍ ساحرِ الأَلبابِ
إن كُنْتَ تُرْزَقُ بالحساب وصالةً ... فاللّه يرزقُنا بغيرِ حِساب

ومثلُ قولي هذَا مما تركَّب فيه التمليحُ مع التَّورية قولُ بعضِ الشعراء:

وليلةِ وَصْلٍ غَافَلت رِقبةَ الدَّهرِ ... فجاءت بِبَدرٍ وهي مشرقةُ البَدْرِ
ونَحنُ بقصرٍ أَشْرفَت شُرفَاته ... على روضةٍ تَفْتَرُّ عن يانِع الزَّهرِ
فيا ليلةً أَحْيَت فؤادي بأُنسِها ... فأحييتُها شكراً إلى مَطْلَعِ الفَجْرِ
ولما رأيتُ الروحَ فيها مُسامِري ... تَيَقّنتُ حقاً أنها ليلةُ القَدْرِ

ومن التَّمليح بالإشارةِ إلى الحديثِ النَّبوِي قَولُ أبي مَنصور الثَّعالبي صاحبِ اليَتيمة:

إنسانة فَتّانةٌ، بَدْرُ الدجا منها خَجِلْ ... إذا زَنَتْ عيني بها، فالبدموعِ تغتسِلْ

أشار إلى قوله ﷺ: «زِنَا العَيْنِ النَّظَرُ» ومن ذلك قولُ شيخِنا القاضي أبِي بَكر بن شبرين أرويها عنه بالإجازة العَامَّة:

عَلِقَ الفؤاد بأهيفٍ فَتّانِ ... لا ينثني أبداً عن الهِجرانِ



فرس عربي مصري
خُيَلاء ورقـص

في كـلِّ يَوْمِ عَـروبةٍ أَغـدو إلى مـرج الرّقَـاد أراهُ في الفـرسـانِ[1]
والفقـهُ من شـأني ولكنّي امـرُؤٌ فِـيـه أبيـحَ «تَـلَقِّيَ الـركْـبَـانِ»

أشارَ إلى قوله ﷺ: «لا تُتَلَقَّى الركبانُ لِبَيْعٍ».

تنبيهٌ يَتَعَلَّق بقضيةِ سُلَيمانَ ـ عليه السَّلام ـ مع الهُدْهُدِ، وذلك أن يُقال: ما الحكمةُ في أنْ قالَ سليمانُ ـ عليه السلام ـ حِينَ تَفقَّدَ الطيرَ، فقال: **ما لي لا أرى الهُدْهُدَ** ولم يقل ما للهدهد لا أراه مع أنَّ الكلامَ إنما هو في السؤالِ عن الهُدْهُد والبحثِ عنه.

الجوابُ عن ذلك، على ما قاله شيخُ الصوفيةِ أبو القاسم ابن هـوازن ـ رضي الله عنه ـ أنَّه إنَّما قال ما لي، لأنه اعتبرَ حالَ نفسِه إذ عَلِمَ أنه أُوتِيَ المُلكَ العظيمَ وسُخِّرَ له الخَلْقُ من الإنْسِ والجِنِّ والطَّيْرِ، فَقَد لَزِمَهُ حَقُّ الشكرِ بإقامةِ الطَّاعةِ وإدامةِ العَمل، فَلَمَّا فقد نعمةَ الهُدْهُد توقَّع أن يكونَ قَصَّرَ في حَقِّ الشُّكرِ، فلأجل ذلك سُلِبَها فَجَعَلَ يَتَفَقَّدُ نفسَه، فقال: ما لي، وكذلك يَفْعلُ شيوخُ الصوفيةِ إذَا فَقَدُوا ما لَهم تَفَقَّدوا أعْمالَهم.

قلت: هذا الجوابُ وإن كانَ غيرَ لاَزِم، فإنَّ المعنى الذي تَضَمَّنَه صحيح مِن أنه لا يُصيبُ الإنسانَ من تغييرِ نعمةٍ أو حُلُولِ نِقْمَةٍ إلا بما جَناه وبما قَدَّمَت يَداه، يَدُلُّ على صحَّةِ ذلك قولُه تعالى: **«إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتَّى يُغيّروا ما بأنفسهم»** وقولُه تعالى: ﴿ ذلك بأنَّ اللهَ لم يك مُغَيِّراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم[2] وقال ﷺ: **«لا يُصيبُ ابنَ آدم خَدشُ عودٍ أو قَدَمُ عَثْرة ولا اخْتِلاجُ عِرْقٍ بذنبٍ وما يعفو اللّهُ عنه أكْثر»**.

ومِمَّا نَظَمتُه في هذا المعنى:

---

(1) يَوم العَروبة (بفتح العين) هو يوم الجمعة في الجاهلية. والعَروبة والعَروب هي المرأة المتحببة إلى زوجها.

(2) ساقطة في أ.

نَــذُمُّ زمـانـاً قـد دَهَتْـنـا صُـروفُـه ونَشكـوه لو تُغْنِي عن المـرءِ شَكْواهُ
ولا ذنـبَ فـيـنـا لـلزمـانِ وإنّـمَـا جَنَينـا فَعوقِبنـا بمـا قَـدْ جَنَيْنَـاهُ
هو القَدَرُ الجارِي على الكُرْهِ والرِّضَى فَـصَبْـرٌ وتسليمٌ لِمَـا قَـدَّرَ اللهُ

وعلى ذكر الهُدْهُد، فقد ذكرَ أهلُ العلْم جُملةً من الخَوّاصِ للهُدْهُد بالنِّسبة ألى أعضائِه أو أجْزائه.

فَمِن ذلك ما ذكره الكاتبُ أبو الحَسَن المَدائني.

خاصية:

عَينُ الهُدْهُدِ إذا عُلِّقَتْ على النَّاسِي تَذَكَّرَ ما نَسِيَه.

خاصية ثانية:

ريشُ الهُدْهُدِ إذا أُحْرِقَ هَربتِ الهَوَامُّ من دُخَانِه.

خاصية ثالثة:

جِلدُ الهُدْهُدِ إذا عُلّقَ على الدّماغِ سَكَّنَ الصُّداع.

خاصية رابعة:

مخالبُ الهُدْهُدِ إذا أُحرِقت وشَرِبَتِ المرأةُ رَمادَها بالماءِ لَم تَحْمِلْ.

خاصية خامسة:

قلبُ الهُدْهُدِ مَنِ ابْتَلَعه حارّاً عَرفَ في مَنامِه ما يُصيبه(1)

خاصية سادسة:

قلبُ الهُدْهُدِ أيضاً يُبطِلُ السِّحرَ إذَا بُخِّرَ به.

(1) في أ: ما يعينه.

خاصيـة سابعـة:

لسانُ الهُدْهُدِ إن عَلَّقه أحدٌ عليه غَلَبَ خَصْمَه.

خاصية ثامنـة:

فَخِذُ الهُدْهُدِ اليُمنَى إذا بُخِّرَ بها بُرْجُ الحَمام لا يقربه ما يُؤْذِي.

تكميل في ذكر سليمان ـ عليه السلام ـ:

كان سليمانُ ـ عليه السلام ـ معَ ما أَتاه اللهُ من النُّبُوَّةِ والعِلم قد استولَى على مُلْكِ الدنيا بأسرِها، والملوكُ الذين تَمَلّكوا الدنْيا كلُّها أربعةٌ: ملكان مُؤمنَان، وملكان كافران: أما المؤمنان: فهما سليمان ـ عليه السلام ـ وذوُ القَرْنين. وأما الكافران: فهما بُخْتُ نَصّر ونَمْرود.

وأما سليمانُ ـ عليه السلام ـ أضخمُ الأربعةِ مُلكاً وأفخمُهم قَدْراً وأشهرُهم ذِكراً، وهو الذي قَصدناه بالذِّكر من أجلِ ما تَعرَّضْنا له من فطنةِ الحيوانِ البَهيميِّ ومَنْطِقه وما عُلِّمَ سليمانُ ـ عليه السلام ـ من ذلك، وسنستوفي الكلامَ على مُلكِه فيما بَعدَ ذلك إنْ شاء الله.

وأما ذُو القَرنين، فاسمُه الإسكندرُ وهو الذي بَنَى مدينةَ الإسكندرية وإليه تُنسَب، وقد اختلفَ العُلماء فيه: هل كان نَبِيّاً أو كان وَلِياً، وكذلك اختلفوا فِي الخَضِرِ ـ عليه السلام ـ هَلْ هو وَلِيٌّ أو نَبِيٌّ، والصحيح أنه نَبِيٌّ لِما جَرى له مع موسى ـ عليه السلام ـ من الأمورِ التي لا تَصدر إلا مِنْ نَبِيٍّ حَسَبما تَضَمَّنَتْه سُورةُ **الكَهف**، وليس الخَضِرُ باسمِه الأصلي وإنما اسمُه وَهْب بنُ عامرٍ، وكان لسانُه عربياً وهو من ذُرِّيَةِ إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وإنّما سُمِّيَ الخَضِرَ لأنه إذا صَلَّى اخْضَرَّ ما حوله، وكان قَد سَألَ اللَّهَ عبادةَ الدّنيا وأن يَرفعَ عنه الموتَ إلى آخرِ مَنْ يَموت لِيَعْبدَ اللهَ كما تَعبدُه الملائكةُ حُبّاً للهِ وحِرصاً على عبادتِه وطاعتِه فألبسه الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ النورَ والرِّيشَ كما

ألبسَ الملائكةَ، وجعلَه يطيرُ معهم، وجعله مَلَكِيّاً إنْسياً أرضياً سَمائياً، وجعله يختفي عن الناسِ كما تختفي الملائكةُ إلاّ مَنْ أحبَّ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يُظهرَه له.

وقد قيلَ في الخَضِرِ ـ عليه السلام ـ إنَّه تُوُفِّيَ، والصحيحُ، على ما يقولُه الصوفيةُ وأربابُ القلوبِ، أنَّه حيٌّ لم يَمُت بعدُ ويُخبِرون أنَّهم يَرونَه ويُشاهدونه.

وسُئلَ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ عن ذي القرنين رَحمه الله، فقال: لم يَكُن نبيّاً ولكنه كان عبداً صالحاً أعطاه اللهُ القوةَ وحَرَمه النبوة، وإنَّما أُعطِيَ ما أُعطِيَ بأربعِ خِصالٍ: كان إذا حَدَّثَ لم يَكذِب وإذَا وَعَدَ لم يُخْلِف وإذا أؤتُمِنَ لم يَخُنْ، ولم يَكُنْ يَجْمَع رِزقَ يوم لِغَدٍ، سار ما بين المَشرقِ والمَغرب في اثنَتَيْ عشرة سَنَة، وذلك أنه سُخِّرت له السَّحابُ وبُسِطَ له النّورُ وجُعلَ له الليلُ والنَّهارُ سَواء.

وأما بُختُ نَصَّر فهو مَلكُ بابل وهو الذي خَرَّبَ بيتَ المقدِسِ واستولى على بني إسرائيل وقتلَ عُلماءَهم وأحرق التوراة[1] وَخَرَّب المساجدَ وسَبَى مِنْ بني إسرائيل سَبعين ألفاً، وقيل إنَّ جَالوتَ هو الذي فَعَلَ ذلك كُلَّه.

وأما نَمْرود فهو أَوَّلُ من تَجَبَّرَ في الأرضِ وادَّعى الربوبيةَ من دونِ اللّه تعالى، وكان على عهد إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ خَليلَ الله، وهو الذي أَمَر بإحراقه بالنّار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وذلك أنهُ أَوْقَدَ ناراً عظيمةً وأمرَ برَمْيِه فيها بالمُنجَنيق، ولما زُجَّ في المُنجَنيق لِيُقذَف في النـارِ استغَاثتِ الملائكةُ قائلةً: يا رَبَّنا هذا خليلُك قد نَزَلَ به ما أنتَ أعلَمُ به، فقال الحَقُّ ـ سبحانه ـ لجبريلَ ـ عليه السلام ـ: اِذْهَبْ إليه يا جِبريلُ فَإنِ استغاثَ بكَ فأَغِثْهُ وإلاّ فاتْرُكْني وَخَلِيلي؛ فَلَمَّا جاء جبريلُ ـ عليه السلامُ ـ إليه قال له:

---

(1) ساقطة في أ.

أَلَـكَ حَاجَةٌ؟، قالَ: أَمَّا إليكَ فَلاَ، وأمَّا إلى الله فَنَعَمْ، قال: فَسَلْهُ، قال: حسبي من سؤالي عِلْمُه بحالِي، فَنَجَّاه اللهُ من النَّارِ وقال: «يا نَارُ كوني بَرْداً وَسَلاَماً على إبراهيم» فَخَمَدَتْ تلك النار.

قال بعضُ أهلِ العلم بأخبارِ الأنبياء: لَمْ تَبْقَ في ذلك الوقتِ نارٌ بمشارقِ الأرضِ ولا بمَغَارِبها إلاَّ خَمَدَت ظَنّاً أنَّها المَعْنِيَّةُ بالخطابِ.

قال بَعضُهم: لَوْ لم يَقُلْ ـ سبحانه ـ للنارِ: «وسَلاَمـاً» لَهَلَك إبراهيمُ ـ عليه السلامُ ـ مِنْ بَرْدِها.

وأما سليمانُ ـ عليه السلام ـ وهو الذي قصدناه بالذِّكْرِ، فإنَّ مُلْكَهُ كانَ أعظمَ من أن يوصَفَ وأشْهَرَ من أَنْ يُعَرَّف.

كان سُليمانُ بنُ دَاوودَ ـ عليهما السلام ـ نبياً ابنَ نَبِيٍّ وَمَلِكاً ابنَ مَلِكٍ؛ قال الله ـ تَعالى ـ: ﴿ وَوَرِث سليمانُ داوودَ ﴾ أراد سبحانه بإرثِه لداوود نزولَه مَنْزِلَته في النُّبُوَّةِ والمُلْكِ، وليسَ بإرثِ[1] مالٍ، لأَنَّ الأنبياءَ ـ عليهم السلام ـ لا يُورَثُ مالُهم عنهم، وإنّما يكـون صَدقـةً مِن بَعْدِهم؛ قـال رسولُ الله ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأنبياءِ لا نُورِثُ ما تَرَكْنا فَهوُ صَدَقَةٌ».

وقد خَلَّف داوود ـ عليه السلام ـ تسعةَ عشرَ من الأولادِ ما بَيْن ذكورٍ وإناثٍ فلو كانت وِراثَةَ مالٍ لانْقَسَم على جميـعِ أولادِهِ ولَم يُخَصّ به سُليمانُ ـ عليه السلام ـ لكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ، خَصَّ سليمانَ بما كان لأبيه من النُّبوءَة والمُلْكِ وزادَه من فضلِه مُلكاً لا ينبغي لأَحدٍ من بعدِه، ناهيك بِمَن جَعَلَ اللهُ جُنودَه الجِنَّ والإنسَ والطَّيرَ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحَشَرَ لسليمانَ جنودَه من الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ وَسَخَّر له الريحَ تَجري بأمره ﴾ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ ولِسُلَيْمان الريحُ عاصفةً تجري بأَمْره ﴾ وقال ـ تعالى ـ:

---

(1) ساقطة في أ.

﴿ فَسَخَّرنا لهُ الريحَ تَجري بأمرِه رُخَاء حيثُ أصابَ ﴾ أَيْ حيث أراد، فكانت تَسير به في الغَداةِ مسيرةَ شَهْرٍ وفي العَشِيِّ مسيرةَ شَهْرٍ، كما قـال ـتعالى ـ: ﴿غُدُوُّها شَهْرٌ ورَواحُها شَهْر ﴾ فكان يَجلسُ على سريرِ مُلْكِه وكان، فيما رُوِيَ، يَحْمِلُ أربعةَ آلافِ فارسٍ فترفَعُه الريحُ بمن مَعَه ثم تَحْمِلُه.

سُؤالٌ: في قضيةِ تَسخيرِ الرِّيحِ لسليمانَ ـ عليه السلام ـ وذلك أنْ يُقال إنَّ اللهَ قال: ﴿ ولِسُلَيمان الريح عاصفةً ﴾ والعاصفةُ هي الرِّيحُ الشَّديدَةُ.

وقال في موضع آخرَ: ﴿ تَجْري بأمره رُخَاء ﴾، والرُّخاء: هيَ الريحُ اللَّيِّنَة، فكيف يَتَّفِقُ أن تكونَ شديدةً لَيِّنَةً، وهما ضِدَّان والضِّدّانِ لا يَجتمعان.

الجوابُ عن ذلك أنْ يُقال: إنَّ الريح كانت في نفسِها لَيِّنَةً وكانت تُسرِعُ في جَرْيِها كالعَاصِف فَجَمَعَتِ الوَصفيْن: الأولَ بِحُكْم الحَقيقة، والآخِرَ بِحُكْمِ التَّشبيه.

ونَـظيرُ ذَلِـك قَوْلُـه ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَكْـوابٍ كَـانت قَـوَارِيـراً ﴾... والقَواريرُ: هي الزُّجاج، فكيف يَتَّفِق أن تكونَ زُجاجاً مع كَونها فِضَّةً؟

الجَواب: أنَّها في أَصْلها من فِضَّةٍ وهي تشبِه الزُّجاجَ في صَفائه[1] وشفيفها عما وراءَهـا فَجَمعتْ بَين الأَمْرين، أحـدهما بـالأَصْلِ والآخَـرُ بالحقيقةِ، والثَّاني بالتَّشبِيه.

تَذْييلٌ: لما افْتَتَحَ موسى بنُ نُصَيْرـ رَحمه الله ـ الأندلسَ وغيرَها اطَّلَعَ من آثارِ سُليمانَ ـ عليه السلام ـ وبقايا مُلْكِه على أمورٍ غريبةٍ وأهوالٍ عَجيبة، فَمِنْ ذلك مائدةُ سُليمان ـ عليه السلام ـ التي لا يَعرِف أحدٌ قيمتَها ولا يَبْلُغُ مَبْلَغَها، وجدها بمدينة طُلَيطلة لَمَّا افتتحها.

(1) في ب: في صفاتها.

قال عَبدُ المَجيد: سألتُ أبِي عَنِ وَصْفِ مائدةِ سُليمانَ، وكان قد رآها ونظرَ إليها، فقال: كانَتْ من ذَهَبٍ وفِضَّةٍ خِلطين[1]، فكانت تَتلَوَّنُ في صُفْرَة الذَّهبِ وبياضِ الفِضَّةِ، وكان عليها طوقٌ من جَوهرٍ وطوقٌ من يَواقيت وطوقٌ من زبرجد[2]، قلتُ: فما كانَ عِظَمُها؟ قال: لقد حُمِلَتْ على بَغْلٍ قَوِيّ أقوَى ما يكونُ من البِغال، فصارَ البَغْلُ بها مرحلةً حتى تَفَسَّخت قوائمُه.

ومِنْ ذلك ما حُكِيَ أنَّ موسىَ بنَ نصير ـ رحمه الله ـ انتهى إلى نَهْرٍ عليه في الشِّقّ الأيمنِ أصنامٌ ذُكور وفي الشِّقِ الأيْسَر أصنامٌ إناثٌ ثمَّ مضى حتى انتهى إلى أرضٍ تَميد بأرهُطها ففزع الناسِ وحاد عنها ثم مضى حَتَّى انتهى إلى موضعٍ فيه قِبابٌ من نُحاسٍ فأمرَ بِقُبَّةٍ منها فكُسِرَت فخرجَ منها شيطانٌ وهو يَنفُضُ رأسَه ويقول: السلام عليك يا نبيَّ الله، لقد عَذَّبتَني في الدنيا، فَلَمَّا عَلِمَ الشيطانُ أنه ليس سليمانَ ـ على نَبِيِّنا وعليه الصلاة والسلام ـ مَضَى لوجهه، فَعَرَف موسى أنه من الشياطينِ التي سَجَنَها سليمانُ ـ عليه السلام ـ فأمر بها فَتُرِكَت.

ومن ذلك أنَّ موسى بنَ نُصَير انتهى إلى جزيرةٍ من جزائر البحرِ فوجدَ فيها سِتَّ عشرةَ جَرَّةً خُضْراً مختومةً بخاتَم سُليمان ـ عليه السلام ـ فأمرَ فكُسِرت فخرجَ منها شيطانٌ يَنفُض رأسَه ويقول: والذي أكْرمَك بالنُّبُوَّة يا نبيَّ اللهِ لا أعودُ أُفْسِد في الأرضِ ولا أوذِي مخلوقاً؛ ثم أمرَ موسى بنُ نُصير ببقيةِ الجِرارِ فَرُدَّت في مَوْضِعِها.

ومدينةُ طُليطلة، التي وجَدَ موسى بنُ نُصير مائدةَ سليمان ـ عليه السلام ـ فيهَا هيَ مدينةُ الملوكِ، أعادها الله إلى الإسلام، ولَما افتَتَحها ـرحمه اللهـ وجدَ فيها بيتاً يقالُ له بيتُ الملوكِ فَدَخَلَه فوجد فيه خمسةً

(1) في أ: تلطين بالقاف، وهو تصحيف، والخِلط هنا معناه: الشيء يؤلف مع أشياء أخرى.
(2) في ب: زمُرّد.

وعشرين تاجاً مُكَلَّلَةً بالدُّرِّ والياقوتِ، وهيَ على عددِ الملوك الذين ولوا الأندلسَ من النَّصرانية، كلما هَلَك منهم مَلِكٌ جُعِلَ تاجُه في ذلك البيتِ وكُتِبَ على التاجِ اسمُ صاحبِه وكم عاشَ من السنين وكم كانت مدةُ مُلكِه، وكان إلى جانبِ هذا البيتِ بيتٌ آخرُ عليه أربعةٌ وعشرون قفلاً كلَّما وَلِيَ مَلِكٌ جعل عليه قفلاً كما فعل من كان قبله من غير أن يفتَحَه، فلما كانت ولايةُ الملكِ لُذَرِيق الذي افتُتِحَت الأندلسُ في دولتِه قال لُذَرِيق قبلَ فَتْحِ الأندلس بأيام يَسيرةٍ: والله لا أموت بِغَمٍّ هذا البيتِ ولأَفْتَحَنَّه حتى أعرِفَ ما داخِلَه، فاجتمعت إليه النصرانيةُ، فقالوا: ما تريدُ بفَتْحِ هذا البيتِ، انظُرْ ما ظَننتَ أن يكونَ فيهِ وخَطَرَ على قلبِك ونُعْطيه لكَ ولا تُحْدِثْ علينا حَدثاً لم يْحدِثْه أحدٌ قَبْلَك مِمَّن كانَ من الملوكِ، وإنَّهم كانوا أهلَ مَعْرِفَةٍ وعِلْمٍ بما صَنَعوا؛ فَأَبَى إلا فَتْحَه لِمَا أرادَ اللّه ـ تعالى ـ من إنْفَاذِ قضائه وقُدرَته فَفتحَهُ ووجدَ فيه تابوتاً من خَشَبٍ فوجدَ فيه تصاويرَ العَربِ وأشكالَهم مُعَمَّمين معهم القِسِيُّ العَربية وقد تقلَّدوا السيوفَ المُحَلَّاةَ ووجدَ من البيتِ كتاباً فيه: إذَا فُتِحَ هذا البيتُ ودخلَ فيه دخلَ هؤلاء الذينَ صفاتُهم كذا هذه البلادَ فَملكوها وغَلَبوا عليها، فكان دخولُ المسلمين عليهم في عامِهم ذَلِك.

ومن غرائبِ مدينةِ طُلَيْطلة أن في قِبْلَتِها ما بين سورها ووادي تَاجَه عَيْنَ ماءٍ مبنيّ عليها ويزيدُ فيها الماءُ بزيادةِ القَمَرِ ويَنْقُص بنقْصانِه، وعندَ مَحَاقِ القَمرِ لا توجد فيها نُقْطَةٌ واحدةٌ من الماءِ، فإذَا طَلَعَ القمرُ طلَعَ فيها الماءُ، كذلك طولَ الدَّهرِ لا يزال حَالُها حالَ القَمَر في الطُّلوع والزيادةِ والنقصانِ والمَحَاق.

باب ما يتعلق بالخيلِ وأوصَافها
واعتناءِ العَرب بها ومعرفتِهم بأحْوَالها

قلتُ: إنَّ العَرب كانت في الجاهلية والإسلام تعتني بالخيلِ فلا تصونُ شيئاً من أموالِها كصيانتِها ولا تُكرِمُه كَكَرامَتِها، وكانوا لِشَرَف نفوسهم وكَرَم

طِبَاعِهم وسُموّ هِمَمِهم لا يُبالون بما ذَهَبَ من مالِهم ولا بما فَقدوا من متاعِهم إلّا ما كانَ من خَيْلهم وسِلاحِهم لِمَا كانوا يرونَ فيها من بقاءِ عِزّهم وإدراكِ مطالِبهم؛ وفي قريبٍ من هذا المعنى نظمتُ قولي في بعضِ ما يُصيبُ الإنسانَ من حَوادثِ الزّمان:

يقولون لي[1] نَالَ منكَ الزمان وأَجحف منك بحالٍ ومالِ
فقلتُ لهم: لا أرى هِمّتي لديها اهتمامٌ بغيرِ المَعالِ
إذا ترك الدهرُ عِلْمي وشِعري وطِرفي وسمعي[2] فما أنْ أبالِ

والطِّرفُ: الفَرس الكَريم.

وكانوا لِعزّة الخيل عليهم وحظوتها لديهم كثيراً ما يعتمدون في القيام عليها بأنفُسهم ولا يَكِلُون الأمرَ فيها إلى غيرهم، ومن كان منهم شريفاً أو مشروفاً أميراً أو مأموراً، لم يكن يستحي من خِدمتها ولا يَأْنَفُ من ابتذاله من كَرامتها.

وقد قيلَ في الحِكَم المَعدودةِ: خَمسةٌ لا يُستَحْيَى من خِدْمتِهم: السلطانُ، والعالمُ، والوالدُ، والضيفُ، والفرسُ.

تنبيه: الحِكَمُ والأمثالُ المتداوَلة عند الأدباءِ الدّائرةُ على ألْسِنة البُلغاء على قسمين:

القسمُ الأول: حكمةٌ مُطْلَقةٌ غيرُ مُقَيّدةٍ بعددٍ ولا مضبوطةٍ بحسابٍ، وذلك أكثرُ من أن تُحصى وأوسعُ من أن تُستَقْصَى.

القسمُ الثاني: الحِكَمُ التي تَضْبطُها الأعدادُ ويُقَيِّدُها الحِسَابُ كما في

(1) في ب: ما.
(2) في ب: وسيفي؛ والمرجَّح أن السيف هو الصواب لأنه يناسب الطِّرف المذكور قبله، وقد فسر المؤلف معناه.

المَثَلِ الذي قَدَّمنا والحكمةِ التي ذكرنا من قولهم: خمسةٌ لا يُسْتَحْيَى من خِدْمتِهم؛ وهذا القسمُ أشرفُ القِسْمَين وأعزُّ النَّوعين لما فيه منَ التَّأليفِ بينَ الأمورِ المفْتَرِقةِ والتوفيقِ بين المعاني المُختَلِفَة مع تخليص الفوائدِ وتهذيبِ المقاصدِ، وأنَا أذكرُ من هذا القِسْم ـ بِحول الله ـ أطرفَه وأظرفَه مما يجب حِفظُه ويَحِقُّ فَهمُه.

وقد جاء هذا القسمُ من الحِكَمِ المُقَيَّدَةِ بالعددِ في حديث الرسولِ ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفي غيرِه؛ فَمِمَّا جاء في الحَديث من الحِكَمِ والأمثالِ بِعَددِ خَمْسةٍ قولُه ﷺ لعبد اللَّهِ بنِ عُمَرَ ـ رضيَ الله عنهما ـ: «اغْتَنِمْ خمساً قبلَ خَمس: شَبَابَك قبلَ هَرَمِك، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِك، وغِنَاك قبلَ فَقْرِك، وفَراغَك قبل شُغْلِك، وحياتَك قبل موتك».

ومما جاء في غيرِ الحديثِ مما تَقَيَّدَ بخمسةٍ أيضاً قولهم: لا يَنْبغي للعاقِل سكنَى بلدٍ لَيْس فيهَا خمسةُ أشياء: سلطانٌ قاهرٌ، وقاضٍ عادلٌ، وطبيبٌ ماهرٌ، وسوقٌ قائمةٌ، ونهرٌ جارٍ. وقولُهم: خَمْسَةٌ تدلُّ على غلظِ الطَّبع: بُعْدُ الرضا، وجَبْهُ المُعتَذِر بالتكذيب، وتَعمُّدُ تكريرِ الحـديث، وكراهَةُ الشِّعْرِ، وتعنيفُ المُحِبِّين.

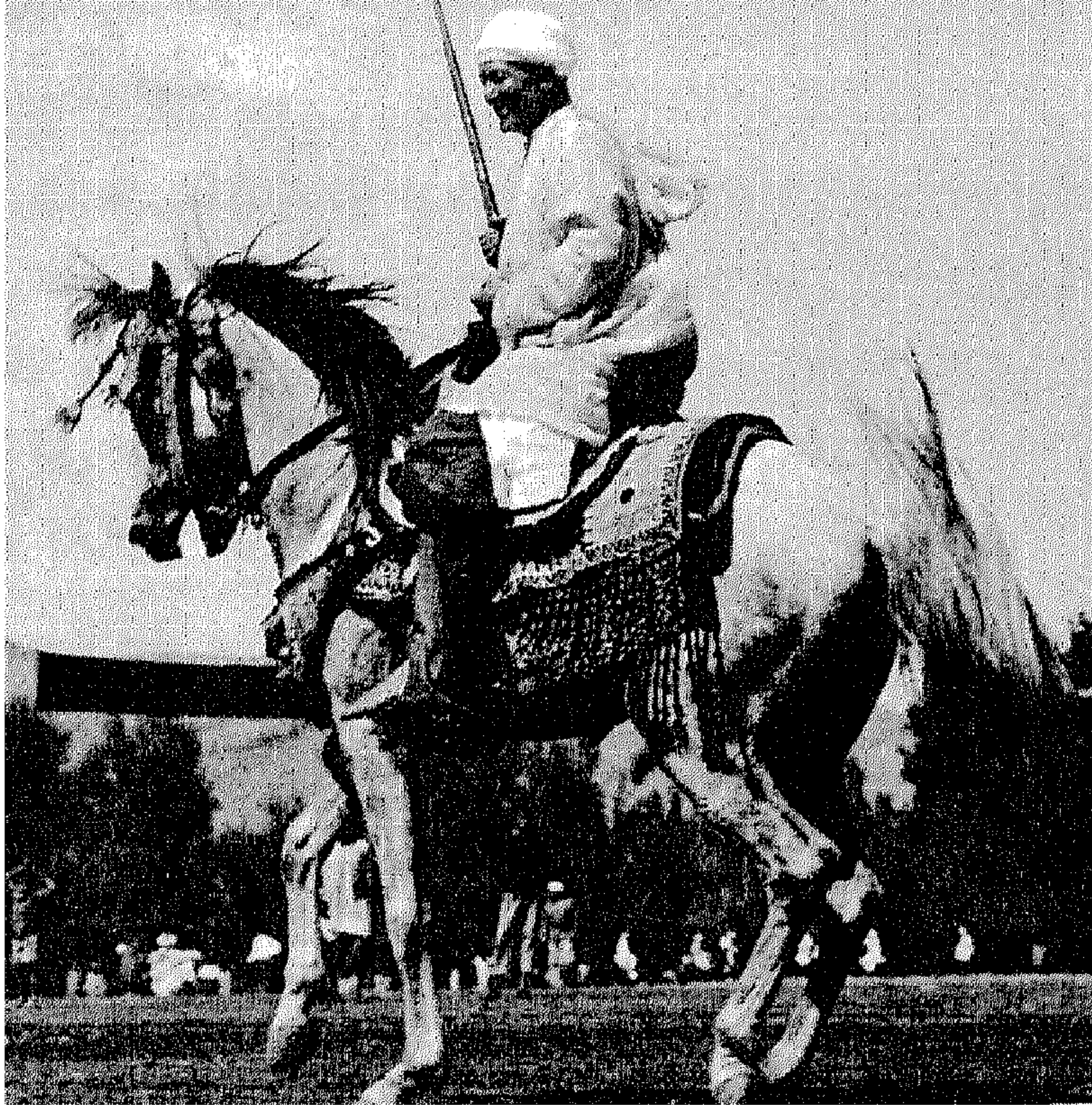
ومِنَ الحِكَمِ والأمثالِ الواردةِ في الحَديث المُقَيَّدة بعَددِ أربعةٍ ما رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «أربعةٌ من سُنَنِ المُسلمين[1]: الحنّاءُ، والتَّعَطُّر، والنّكاحُ، والسِّوَاك».

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «أربعٌ لا يَشْبَعْنَ من أربعٍ: عينٌ من نَظَرٍ، وأرضٌ من مَطَرٍ، وأُنثى من ذَكَر، وعَالِمٌ من عِلْم».

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «أربعٌ يَذْهَبْنَ ضِياعاً: الأكلُ مع الشِّبَـع،

---

(1) في ب: المرسلين.



«الخيل تعرف ركّابها»

فَارس مغربي على صهوة جواد من عتاق الخيل العربية البربرية المعروفة في المغرب باسم «Barbe».

والسِّراجُ مع القمر، والزَّرعُ في السَّبخَة، والضَّيعةُ إلى غيرِ أهلِها».

وجاء عنه ﷺ أنه قال: **«أربعٌ لو شُدَّت إلَيهنَّ الرِّحالُ كانَ قليلاً: لا يَرْجُو عَبْدٌ إلاّ رَبَّه، ولا يَخَافُ إلاّ ذَنْبَه، ولا يستحيي الجاهلُ أن يَتَعَلَّم، ولا يستحيي العالمُ إذا سُئِلَ عمَّا لا يعلمُ أن يقولَ لا أعلم»**، وقوله ﷺ لو شُدَّت إلَيْهِنَّ الرحالُ كان قليلاً: يَعْنِي لِتَعَلُّمها واستفادَتِها.

ومِمَّا جاءَ في غيرِ الحديث منَ الحِكَم والأمثالِ بِعَددِ أربعةٍ:

قولُ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز ـ رضي الله عنه ـ: **أَحَبُّ الأشياءِ إلى الله أربعةٌ: الفضلُ عِنْدَ الجِدَة، والعَفْوُ عند المَقْدرة، والحِلْمُ عند الغَضَب، والرِّفقُ بالعِبَاد.**

وقولُهم: أربعةٌ تحتاج إلى أربعةٍ: **الحَسَبُ للأَدَبِ، والسرورُ للأَمْنِ، والقرابةُ للمَوَدَّة، والعَقلُ للتَّجربة.**

وقولُهم: أربعةٌ لا يُسْتَقَلُّ قليلُها: **الدَّيْنُ**[1]**، والنَّارُ، والعَدَاوةُ، والمَرض**، وقَولُهم: **أربَعَةٌ يَزِدْنَ في النسيانِ: أَكْلُ التفاحِ، وأكلُ سُؤْرِ الفَأْرةِ، والحِجَامَة في النُّقْرة**[2]**، والبولُ في الماءِ الرَّاكد.**

ومما جاءَ في الحَديثِ مِنَ الحِكَمِ والأمثالِ المُقَيَّدةِ بعَدَدِ ثَلاَثَةٍ ما جاء عنه ﷺ أنه قال: **«ثَلاثَةٌ لا يَضُرُّ مَعَهُنَّ شيءٌ: الدعاءُ عِنْدَ الكَرْب، والاستِغفارُ عندَ الذَّنْب، والشُّكر عند النِّعمة».**

وجاء عنه ﷺ: **«ثلاثةٌ لا يُلامون على سوءِ الخُلُقِ: المَريضُ، والصَّائمُ، والمُسافِرُ».**

ومما جاءَ في غيرِ الحديثِ مِنَ الحِكَمِ والأمثالِ المقيَّدَةِ بثَلاثةٍ،

---

(1) في أ: الدمن، وهو تصحيف.

(2) النقرة (بضم النون): حفرة في آخر الدماغ.

قولُهم: ثلاثةٌ من تَعزَّزَ عليهنَّ عادَت عِزَّتُه ذُلًّا: السُّلطانُ، والعالِمُ، والوَالِد.

وقولُهم: ثلاثةٌ لا يَستَخِفُ بهم عَاقِل: السلطانُ، والعالم، والصَّديق، فمن استخَفَّ بالسلطانِ أفسدَ دنياه، ومن استَخفَّ بالعالِم أفسد دينَه، ومن استخَفّ بالصديقِ أفسدَ مُرُوءَتَه.

ومن ذلك: ثلاثةٌ تدُلُّ على أقدارِ صاحِبِها: الهديَّةُ تدلُّ على قَدرِ مُهديها والرسولُ على قَدْرِ مُرْسِلِه، والكتابُ يدُلُّ على قدرِ كَاتِبِه.

ومن ذَلك: ثلاثةٌ لا يُستَحْيى فيهنَّ: طلبُ العِلْم، وترفيعُ العالِم، ومَشْوَرةُ العاقل.

ومن ذلك: ثلاثةٌ تدلُّ على المُروءةِ: نظافةُ المَلْبَس، وطيبُ الرائحةِ، وصحَّةُ الباطِنِ.

ومن ذلك: ثلاثةٌ تدلُّ على الحَسَب: تَوْفيةُ الحقوق، وشُكْرُ المُنْعِم، وعدم الشَّرَه إلى الطَّعام.

ومن ذلك: ثلاثةٌ يُنْسينَ المصائبَ: مَرُّ[1] الليالي، والمرأةُ الحسناء، ومحادثةُ الإخوان.

ومن ذلك: ثلاثةٌ لا راحةَ معها إلا بالمُفارقة: العبدُ الفاسدُ، والمرأةُ السوءُ والضِّرْس المتآكلة.

ومن ذلك: ثلاثةٌ يُهرِمن[2] البَدَن: الجماعُ على الامتلاءِ، ودخولُ الحَمَّامِ على الشِّبَعِ، والمداومةُ على القَديدِ اليابِس.

ومن ذلك: ثَلاثةٌ تُفسِدُ الذِّهنَ: الاستغراقُ في الضَّحك، ودوامُ النَّظرِ

(1) في أ: مَنُّ.

(2) في ب: يهزمن (بالزاي المعجمة).

في البَحر، ودوام النَّظَرِ في المِرْآة[1].

ومن ذلك: ثلاثةٌ تُفسِدُ الذِّهنَ: الهَمُّ، والوحدةُ، والفِكرة.

رَجَع بنا الكلام إلى ما قَصدنا أولاً:

أمَّا علمُ العَرب بالخيلِ وصِفاتها، وما يُحمَدُ أو يُذَمُّ منْ ألوانِها وشِيَاتِها، واطِّلاعُهم على أخلاقِها وشمائِلها ما تَعرَّفوه من فِراسَتِها ومَخايِلها، فلا أعلمُ أمَّةً سواهم من الأُمم المشهورين، فضلاً عن غيرهم، وصلَ من علمِ الخَيل إلى تلك الغايةِ ولا بَلَغَ من معرفةِ أحوالِها إلى تلك النِّهاية.

تَعريف: الأُمَمُ المشهورون من جَميعِ النَّاس سِتٌّ: العربُ والرُّوم، وبنو إسرائيلَ، والفُرسُ، والهندُ، واليونانيون؛ فهؤلاء الأممُ المعتَبَرون المتَّصفون برجاحةِ العقول وصحَّة الأفهام، وأما مَنْ عداهم من سائرِ الأُمَم كالتُّرك، والدَّيلَم، والقِبْط، والزَّنج، وسكَّان الجزائرِ في البحارِ فلا اعتدادَ بهم ولا اعتبارَ بشأنِهم لغلَبةِ البهيمية على طِباعهم.

وقد وصفتِ العربُ الخَيلَ فَأَفْصَحَت وأكثرت وأوضَحت، وأنا أُورد ـ بحولِ الله ـ ما أسْتَحسِنُه من أوصافِها وأستَظرِفُه من ذكرِ أحوالِها للبُلغَاء من العربِ المتقدِّمين ومن يَلْحقُ بهم من بُلَغاءِ المُحْدَثين.

فَمِنْ ذلكَ قولُ عُقْبَةَ بنِ سِنَان يصفُ خيلاً أُهديت إلى معاوية ابنِ أبي سُفيان فقال: إنّها لَسامِيَةُ العُيونِ، لاحقةُ البطونِ، دقيقةُ الآذانِ، أُفتاءُ الأسنَانِ، ضِخَامُ الرُّكباتِ، مشرِفات الحَجَباتِ، رِحابُ المَنَاخِرِ، صِلابُ الحَوافِرِ، وقْعُها تحليلٌ ورفعُها تَعْليل، فهذه إنْ طُلِبَت سَبَقت وإن طَلَبت لَحِقَت.

ووصفَ أعرابيٌّ فرساً فقال: إنَّه لَدَرَكُ الطالِب، ونَجَاةُ الهارب، وقيدُ

---

[1] في أ: المرأة.

الظِّباء، وزين الفِناء، وفي نحوِه قال سلامة بن جندل:

مِمَّا يقدّم في الهيجا إذا كُرهت عند اللقاء وينجي كلّ مكروب

وقد أحسنَ ابن القِرِيّة حَيْث وصفَ فرساً فقال: حَسنُ القَدِّ، أسيلُ الخَدِّ، يَسْبِق الطَّرفَ، ويستغرقُ الوصف. وفي معناه قال أبُو الطيب:

يقبلهم وجه كلِّ سابحة[1] أربعُها قبلَ طرفها نَصْلُ

وقال أعرابي لِنَخّاسٍ: اُطْلُبْ لي فرساً حسنَ القَميصِ، جَيِّدَ الفُصوص، وثِيقَ القَصَب، نقيَّ العَصَبِ، يُشير بأُذُنَيْه وَيَسدُّ رِبْدَيه، ويَدُسُّ برجليْه، ويُبعد مَدَى نَظرِه إلى أقصى أثرِه كأنه موجٌ في لُجَّةٍ أو سيلٌ في حُدُور.

وأهدى عبدُ الله بنُ طاهرٍ إلى المأمونِ فرساً وكتب إليه: قد بعثتُ إلى أميرِ المؤمنين فرساً يسبقُ الأرانِب في الصَّعْداء[2]، ويجاوز الظِّباءَ في الاستواء، ويَسبِق في الحُدور جَرْيَ الماء.

وجَمع محمّدُ بنُ الحسينِ بن الحرون بين هذين الكلامَيْن وزاد فيهما فقال يصفُ فرساً: هو حَسنُ القميصِ، جَيِّد الفُصوص، وثيق القصَب، نقيُّ العَصَب، يَصِرُّ بأُذنيه ويتبَوَّع بيديه، ويناقل بِرِجْليه، إنْ أُمسِكَ أذعن، وإن كُلِّفَ السيرَ أمعَن، وإن حبس قطن، وإن وقف صَفن، يطول عنقُه إذا سار، ويكثُر تَشَوُّفُه إذا غَار[3]، إنِ عمر فارَ، وإن أُرسل طارَ، وإن عطف خار[4]، يناهب الميدان قبل أن يُبعث، ويسابِقُ الجَرْي قبل أن يمغث، يلحق الأرنَب في الصعداء، ويجاري الظباء في الاستواء، ويسبقُ في الحدور جَرْيَ الماء، فهو كما قال تَأَبَّطَ شرّاً:

---

(1) في أ: سالحة.

(2) كذا في النسختين، ويبدو أن المراد هو الصَّعوداء أي العقبة الشاقة.

(3) في ب: عار بالمهملة.

(4) في أ: خان بالنّون.

ويَسبق وفدَ الرِّيحِ من حيث يَنتحِي   بمُنخرِق من شَدِّهِ المتدارِكِ

وفي خَبر عَمرٍو وربيعةَ ابنيْ أحدِ مَقاوِل حِمْيَر، قال ربيعةُ: أيُّ الخَيل أَحَبُّ إليك عند الشدائدِ إذا التقى الأقران للتّجالُد؟، قال: الجَواد الأَنيق، الحصانُ العَتيق، الكَفيتُ العرنيق[1]، الذي يفوت إذا هَرب، ويَلْحق إذا طَلب؛ قال: نعمَ الفَرسُ واللّهِ نَعَتَّ؛ قال عَمْرٌو: فما تقول يا ربيعةُ؟، قال: غيرُه أَحبُّ إلَيَّ منه، قال: وما هو؟، قالَ: الحصان الجَواد، السَّلسُ القِياد، الشَّهم الفُؤاد، الصَّبور إذا سَرَى، السابق إذا جَرَى؛ قال: فأيُّ الخيلِ أبغضُ إليكَ يا عَمْرو؟، قال: الجَمُوحُ الطَّموح، النكول الأَنوح، الصَّئول الضّعيف، المَلُول العنيف، الذي إذا جاريتَه سَبقْتَه، وإن طالبته لَحِقْتَه؛ فما تقول يا ربيعة؟، قال: غيرُه أبغضُ لي منه، قال: وما هُو؟، قال: البَطِيءُ الثَّقيل، الحَرُون الكَليل، الذي إذا ضَربته قَمَص، وإن دَنَوتَ منه شَمِص، يُدرِكه الطالب، ويَقطعُ بالصَّاحب.

قال ربيعة: وغيرُه أبغضُ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الجَموح الخَبوط، الرَّكُوض الخَروط، الشَّموس الضَّروط، القَطوف في الصَّعود والهُبوط، الذي لا يُسلِّم الصاحب، ولا يَنجو من الطَّالِب.

وسألَ معاويةُ بنُ أبي سُفيانَ صعصعةَ بنَ صوحان: أي الخيل أفضَل؟، قال: الطويلُ الثَّلاث، القصير الثلاث، العريضُ الثلاث، الصَّافي الثَّلاث، قال: فَسِّرْ، قال: أما الطويلُ الثّلاث فَالأُذْن والعُنُق والحِزَام، وأما القَصيرُ الثَّلاث فالصُّلبُ والعَسيب والقَضيب، وأما العريضُ الثلاث فالجبهةُ والمَنْخِر والوَرِك. وأما الصافي الثلاث فالعَينُ والأَديم والحافر.

وقيل في الطَّويلِ الثلاثِ: إنّه العِنان والحِزام، وعذار الرَّسن، والقصير الثلاث: قِلادة النَّحر وعِذار اللِّجام واللَّبَب.

---

(1) في ب: القريق.

وقال الشاعرُ في مِثله:

وقَـد أغْتـدِي قبـلَ ضـوءِ الصبـاح   وَوِرْدُ القَطا في الغُطاطِ الحِثَاثِ[1]
بصـافي الثـلاثِ عـريضِ الثّـلاثِ   قصيرِ الثـلاثِ طـويـلِ الثّـلاثِ

فالطَّويلُ الثلاث: عُنقُه وخَدَّاه وذِراعاه، والقصير الثّلاث أرساغُه ووظيفا يَديْه وعسيبُه، والعَريض الثلاث صَدرُه وصَهوتُه وجبهتُه، والصَّافي الثّلاث عيناه ولَونُه وصَهيله.

وَحَكَى ابنُ الأعرابي عَن المُفَضَّل الضَّبِّي، قال: قال لي المَنصور، صِفْ لي الجَوادَ من الخيلِ، قال: قلت: إذَا كانَ طويلَ ثلاثٍ، قصيرَ ثلاثٍ، رحيبَ ثلاثٍ، صافيَ ثلاثٍ، فذلك الجَوادُ، قال: فَسِّرْ، قلتُ: طويل الأذنينِ والفَخذِ والسَّالفة، قصير الظَّهر والسّاقِ والعَسيب، رحيب الصّدرِ والجبهةِ والمنخر، صافي الأديم والعينِ والحافِر.

وحَكَى الزَّجّاج أنَّ الحَجَّاجَ سألَ ابنَ القِرِّيَّة عن نعتِ الجَـوادِ من الخيل، فقال مثلَ ذلك لم يُخالِفْه إلا في اليَسير: طويلُ ثلاث، قصيرُ ثلاث، رحيبُ ثلاث، صافي ثلاث، قال: فقال له: فَسِّرْ، قال: طويل الأُذنين والسَّالِفة والفَخذ، قصير الظَّهرِ والعسيبِ والساقِ، رحيب المَنخِرِ والجبهةِ والجَوف، صافي الأَدِيم والعَيْنِ والحافِر.

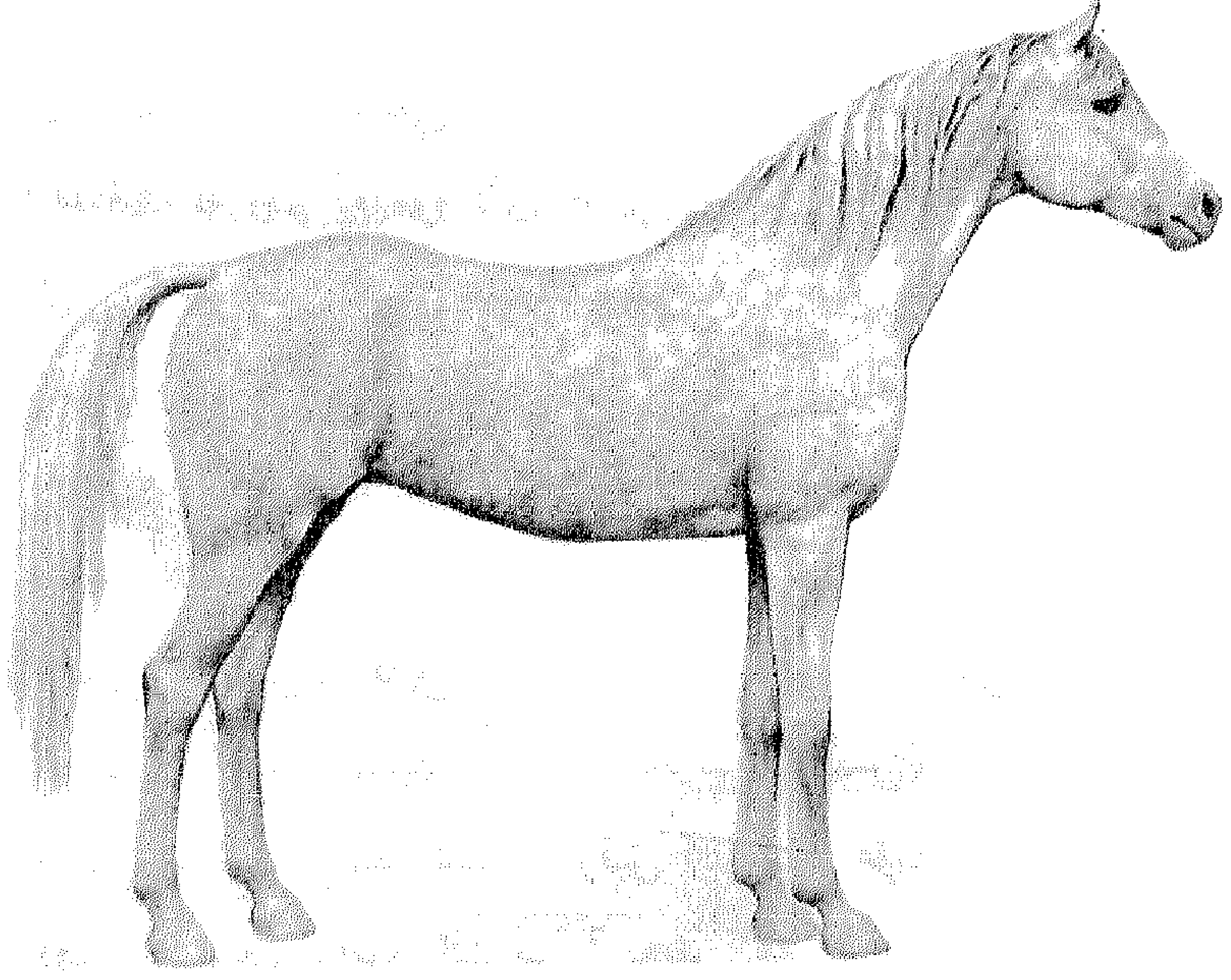
وينخرِط في سِلْكِ هذا المعنى مقامةٌ من مقاماتِ الأستاذ أبي الفَضْل أحمد بنِ الحُسين الهَمذاني بديع الزمان، سَمَّاها مقامةَ الفرس وقال فيها:

حدَّثني عيسى بن هشام[2]، قال: حَضَرنا مجلسَ سيف الدولة وقد

---

(1) الوِرد (بكسر الواو): القطيع من الطَّير، والقَطا: نوع من اليمام يُؤثِر الحياة في الصحراء، واحدته قطاة؛ والغُطاط (بضم الغين): اختلاط ظَلام آخر الليل بضياء أول النهار؛ والحَثاث (بفتح الحاء وكسرها): النوم الخفيف.

(2) ورد هذا النص في كتاب المقامات الهمذانية، شرح المرحوم محمد عبده ص 56-151، (الطبعة =



«العَصا من العُصَية»
جواد عربي فَارسي

عُرِضَ عليه فَرَسٌ، متى ما تَرَقُّ العين فيه تَسَهَّل، فَلَحَظَتْه الجماعةُ فقال سيفُ الدولة: أَيُّكم أحسنَ صِفته جعلته صِلَتَه؛ فكلٌّ جَهَدَ جَهْدَه، وقال ما عنده، فقال أَحدُ الخَدمة[1]: أصلحَ الله الأميرَ، رأيت بالباب رجلاً يَطَأُ الفصاحةَ بنعليه، وتقف الأبصارُ عليه، يسأل الناسَ، ويَسْقِي اليأس[2]، فلو أمر الأميرُ بإحضاره لَفَضلهم بحِضارهِ.

فقال سيف الدولة: عليَّ به في تلك الهيئة؛ فصار[3] الخَدَم في طلبه ثم جاءوا للوقت به ولم يُعلِموه لأيِّ حالٍ دُعِيَ، ثُم قُرِّبَ واستُدني وهو في طِمْرَيْن بالبين[4] قد أكل الدهر عليهما وشرب؛ وحين حضَر السِّماط وشام[5] البِساط سلَّم ووقف، ولم يتكلم، فقال سيفُ الدولة: بَلَغَتْنا عنك عارضة فاعرِضها في هذا الفرس؛ فقال: أصلح الله الأمير، كيف به قبل ركوبه وكَشْفِ غيوبه وعيوبه؟ فقال له: ارْكَبْه، فركبه وأجراه، ثم قال: أصلح الله الأميرَ هو طويلُ الأذنين، قليلُ الإثْنين، واسعُ المَراث، لَيِّنُ الثَّلاث، غَليظ الأكرُعِ، غامض الأربع، شديد النَّفْسِ، لطيف الخَمْس، ضَيّقُ القَلْت، رقيق السِّتِّ، حديدُ السمع، غليظُ السَّبع، رقيق اللسان، عريض الثَّمان، شديد[6] الضِّلع، قصير التِّسع، واسع الشَّجْر[7] بعيد العَشْر، يأخذ بالسانِح، ويُطلق

= السابعة، دار الشروق 1973، بيروت) بعنوان «المقامة الحمدانية» كما ورد في «زهر الآداب» لأبي إسحق الحصري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد وشرح الدكتور زكي مبارك (الجزء الثاني، ص 71-369).

(1) في المقامات وزهر الآداب: أحد خدمه.

(2) في ب: ويسقى الباس؛ وفي زهر الآداب: ويشفى الياس.

(3) في ب وفي المقامات: فطار.

(4) بالبين: محذوف في المقامات وفي زهر الآداب؛ والحقيقة أنه لا داعي إليه لأن الطِّمر هو الثوب البالي.

(5) في المقامات وزهر الآداب: لَثَم البساط.

(6) في المقامات: مديد الضلع.

(7) في زهر الآداب: السحر.

بالبارح[1]، ويطلُع بلامح[2]، ويضحك عن قارِح: يَحُزُّ وجه الكديد، بِمَداقِّ الحديد، يُحضِر كالبحر إذا ماج والليل[3] إذا هاج. فقال سيف الدولة: لك الفرسُ مباركاً فيه، فقال: لا زلتَ تأخذ الأنفاس، وتمنحُ الأفراس؛ ثم انصرف.

قال ابن هِشام: وتَبِعته فقلت له: لك ما يليق بهذا الفَرَس من خِلْعة إن فَسَّرتَ ما وَصَفت، قال: فَسَلْ عَمَّا أحببت، فقلت: ما معنى قولِك: بعيدِ العشر؟ قال: بعيد النظر، والخَطوة، وما بين أعالي اللَّحيين والوقْبَيْن والمَنْخِرين والغُرابين والجاعرتين والرّجلين وما بين النُّقبة والصِّفاق، بعيد الغاية في السباق؛ فقلت: فقصيرُ التسع: قال: قصير الشّعرة، والأُطْرَة، والعسيب؛ والقضيب، والعَضُدين، والرُّسغين، والظَّهر، والنَّسا، والسَّاقين[4]؛ قلت: فعريضُ الثّمان؟، قال: عريضُ الجبهة، والصَّهوة، والوَرِك، والكَتف، والجَنْب، والعَصَب، والبَلْدَة، وصفحةِ العُنق تحت السَّالفة؛ قلت: فغليظُ السَّبع؟ قال: غليظُ المَحْزِم، والذّراع، والفَخذ، والعَكْوة، والحِبال[5]، والشَّوَى، والرُّسغ؛ قلت: فالرقيقُ السِّتّ؟، قال: رقيقُ الجَفن، والسالِفة[6]، والجَحفلة، وأعالي الأُذنين والعرضين[7]، والأديم؛ قلت: فاللطيف الخَمْس؟، قال: لطيفُ الزَّوْر، والنَّسر، والجُبَّة[8]، والركبة، والعُجايَة؛ قلت: فالغامِض الأربع؟، قال: غامضُ الشَّظَا، وأعالي الكَتِفين،

(1) في زهر الآداب والمقامات: يأخذ بالسايح ويطلق بالرامح.
(2) في المقامات وزهر الآداب: بلائح.
(3) في المقامات وزهر الآداب: والسيل إذا هاج.
(4) لم يرد في المقامات ذكر القضيب، وورد فيها: قصير الوظيف، كما في زهر الآداب الذي لم يذكر الساقين في أوصاف القصر المستحسنة في الفرس.
(5) في المقامات: غليظ الحاذ بدل الحبال.
(6) في المقامات: الشالفة (بالمثلثة).
(7) في ب: الغرضين (بالمعجمة) وكذلك في زهر الآداب.
(8) في المقامات: الجبهة بدل الجُبَّة.

والمَرْفِقين، والحِجاجين، قلت: فاللين الثلاث؟، قال: العُنق، والثُّنَن، والشُّكير[1]؛ قلت: فالقليل الإثنين؟، قال: قليل لَحم الوجه، قليل لحم المَتْنين؛ فقلت: فلله دَرُّك، فمن أين مَنْبِت هذا العلم؟، فقال: من الثُّغور الأموية، وبلاد الإسكندرية؛ قلت: أنت مع هذا الفضل تُعَرِّضُ وجهَك للبذل، فقال:

ساخِفْ زمانَك جِدّاً فالدهر جدُّ سخيفِ
دَع الحَمِيَّة نِسياً وعِشْ بِخَيْـرٍ وريفِ
وقـل لعبدك هـذا يَجيءُ لنا بـرغيفِ[3]

تلخيص في وَصْف الفرس العتيق:

وذلك أن يكون بعيداً، قريباً، طويلاً، قصيراً، عارياً، ضخماً، عَبْلاً، رقيقاً، غليظاً، لطيفاً، ضَيقاً، مُوَلَّجاً، عريضاً، رَحيباً، حديداً.

تفسير معنى كونه بعيداً، أن يكون بعيدَ ما بين الأُذنين، بعيد ما بين أصول الأذنين، وأطرافِها، بعيد ما بين الجَحفلة والناصية، بعيد ما بين الناصية والعَكْوَة، بعيد ما بين الناصية والعُذْرة، بعيد ما بينَ المَنْكِبِ والحارِك، بعيدَ ما بين العَضُديْن والرُّكبتيْن، بعيدَ ما بين الإبطين والمَرْفِقَين، بعيد ما بين الجَنْبين، بعيد ما بين الحَجْبتيْن والجَاعِرتين، بعيد ما بين الحَجبتين والثَّغريْن، بعيد ما بين العُرقوبين والحَجْبتين، بعيد ما بين الشَّراسيف، بعيد ما بين أعالي الحَجْبَتَيْن.

ومعنى كَونِه قريباً، أن يكونَ قريبَ ما بين المَنخِريْن، قريب ما بين

(1) في المقامات وزهر الآداب: لين المردغتّين، لين العُرف، لين العنان.
(2) لفظ الأبيات في المقامات:

ساخف زمانك جداً إن الزمان سخيف
دَع الحمية نِسياً وعش بخير وريف
وقل لعبدك هذا يجيئنا برغيف

صَبِيـيٍّ[1] اللَّحْيَيْن، قريب ما بين المَنْكِبين والحَجْبتيْن، قريب ما بين الجَيب، قريب ما بين الحارِك والقَطاة، قريب ما بين المَعَدَّيْن والقُصرين، قريبَ ما بين الجاعرتين والعَكْوة، قريبَ ما بين الجَاعِرتين والمَأْبِضين، قريب ما بين القُصرَيَيْنِ والحَجْبَتَين، قريب ما بين غراضيف الكَتِفَين، قريب ما بين الثَّفِنَتَيْن والكَعبَيْن.

ومعنى كونِهِ طويلاً، أن يكونَ طويلَ نَصْلِ الرّأس، طويلَ العُنُق، طويلَ الأُذنين، طويلَ الذِّراعيْن، طويـل الكَتِفيْن، طويـل النَّظَرِ، طـويلَ الوَرِكَيْن، طويلَ الفَخِذَين، طويلَ وَظيفَـي الرِّجْلَيْن.

ومعنى كونه قصيراً، أن يكونَ قصيرَ العَضُدَيْن، قصيرَ وظيفَيْ اليَديْن، قصيرَ الظَّهرِ، قصيرَ السّاقَيْن، قصيرَ الأرساغ كلِّها، قصيرَ الجَاَجِي، قصير المفاصل، قصير العسيب، قصير الأُطْرَة.

ومعنى كونه عارياً، أن يكون عاري النَّواهق، عاري الجَبهة، عاري قَصَبَة الأنف، عاري الزَّوْر، عاري باطِن السَّاقين، عاري الغُراب، عاري رؤوس الحَجْبتين، عاري رؤوس الثَّفِنَتَيْن، عاري الحارِك، عاري السُّموم، عاري مُتون الأُذنين، عاري باطن الحَافر.

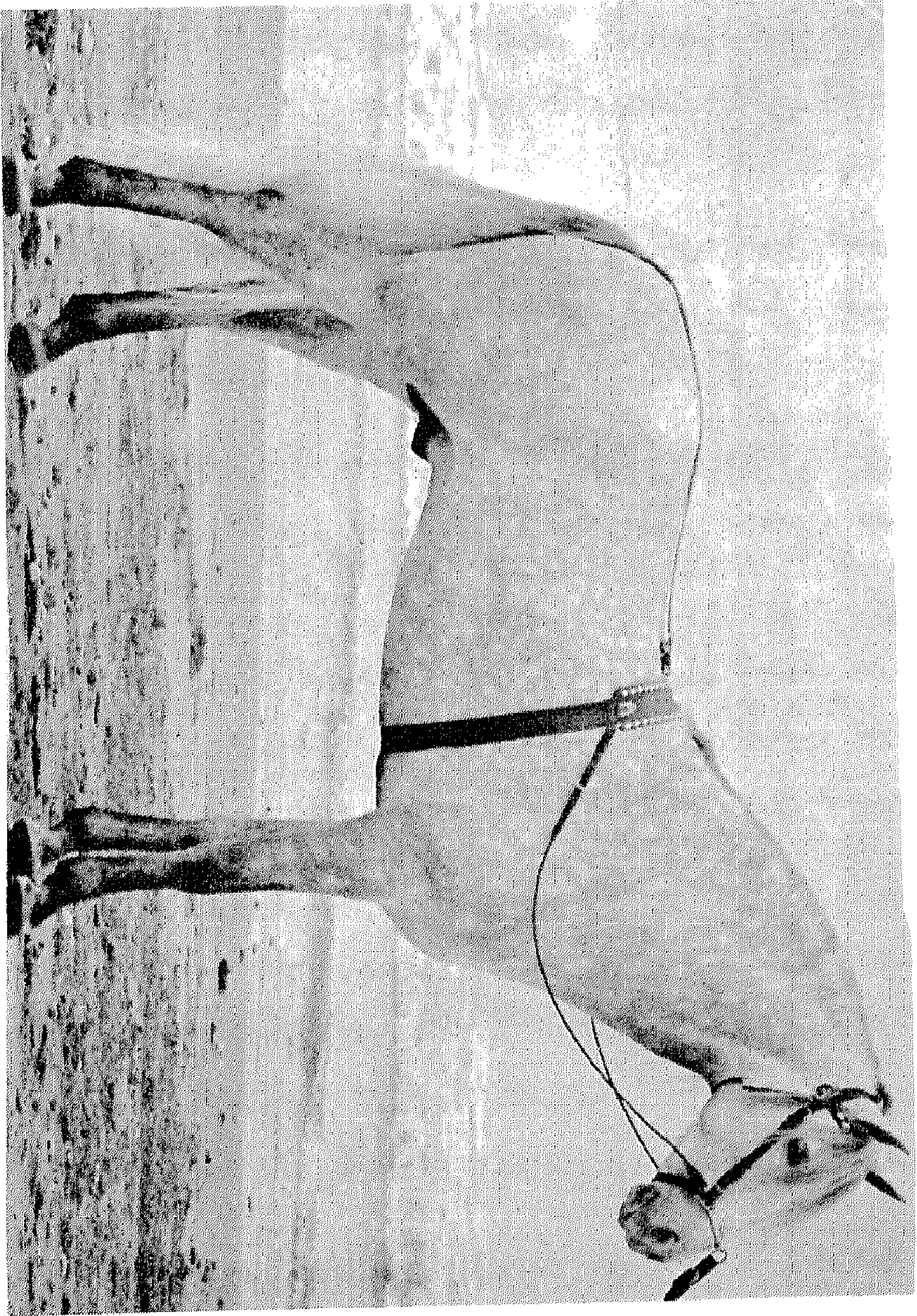
ومعنى كـونـه ضخمـاً، أن يكون ضخمَ المقلتين، ضخم الفَخذين، ضخم الركبتين، ضخم الحماتيْن، ضخم الحوافر، ضخم المَعَدَّيْن، ضخم الناهضين، ضخم المردعتين، ضخم المَنْكبين.

ومعنى كونه عبلاً، أن يكون عَبل الذّراعين، عبلَ الأوظفة كلِّها، عبلَ الأرساغ كلها.

ومعنى كونه رقيقاً، أن يكون رقيق الأَرنبة، رقيق عرض المنخِرين،

---

(1) الصَّبيُّ هنا: طَرَفُ اللَّحْي.



جواد أندلسي من عتاق الخيل

رقيق الجُفون، رقيق الحاجبين، رقيق الأُذنين، رقيق الجِلد، رقيق الشَّعر.

[**ومعنى كونه غليظاً**، أن يكون غليظَ اللَّحم، غليظَ العَكوة، غليظ الحالِبَين][1].

ومعنى كونه لطيفاً، أن يكون لطيف المستطعَم، لطيف الزَّوْر من موضع المرفقين، لطيف الفصوص، لطيفَ النُّسور، لطيف الجحافل.

ومعنى كونه ضَيّقاً، أن يكون ضَيّقَ خرقِ السَّمع، ضيقَ ما بين صَبِيَّي اللحَّيين، ضيّقَ الإبطين، ضيّق القَلْتِ، ضَيّق الرَّبلَتَيْن، ضيق المرفقين، ضَيّقَ مُرَكَّبِ النُّسورِ.

ومعنى كونه مولجاً، أن يكونَ مولج الثَّفِنَتَيْن، وهما مُرَكَّب الفَخِذَيْن في أعلَى السَّاقَيْن.

ومعنى كونِه عريضاً، أن يكونَ عريضَ الجَبهة، عريضَ الخَدِّ، عريض القَصَرَة، عريض البَرْكَة، عريض الأَوظِفَة، عريض الصَّهوةِ، عريض الجَنْب، عريض الصِّفاقِ، عريضَ القَطاة، عـريضَ الوَركَيْن، عـريضَ الفَخِذَين، عريض الفائلين، عريضَ الكَتِفَيْن.

ومعنى كونِه رحيباً، أن يكونَ رحيبَ الشّدقَيْن، رحيبَ المنخرَيْن، رحيب السُّحْرِ، رحيبَ الإهاب، رحيبَ الجَوْف، رحيب اللبَّان، رحيب العجان، والعجان هو فَرق ما بينَ الفَخِذَيْن.

ومعنى كونه حَديداً، أن يكونَ حديدَ العَيْنين، حديد الأُذنين، حديدَ المَنكبَيْن، حـديدَ المَـرفقين، حديـد القَلب، حديـد العُرقـوبين، حديـد المنجمين، حديدَ الحارِك، حديد الحَجبتَيْن.

(1) فقرة ساقطة في أ.

تفسير ما وَقَع في هذا التَّلخِيص مِنَ الألفاظِ الغَريبة

الجَحْفلة من الفرس: ما يتناول به العَلف.

والعَكوة : أصلُ الذَّنَب.

والعُذْرة : منتهى العُرف مما يلي السَّرج.

والحارِك : أعلى مُقَدَّم الظَّهر.

والرفغ باطنُ الفَخِذ[1].

والحَجْبتان : رؤوس عِظام الوركين.

والثَّفِنَتان : الرُّكْبتان.

والشَّراسيف : الأضالِع.

وصَبِيًّا اللَّحيين : جانبُهما.

والجَيب : موصِّل الوَظيف بالذراع.

والقَطاة : موضع الرِّدف.

والمَعَدَّان : موضعُ عَقب الفَارس منَ الفَرس.

والقُصريان : هما الضّلعان اللذان يليان الخاصِرة.

والغراضيف : العِظَام الرَّخْصُ[2].

والجَاعرة : حَرْف الوَرِك وهما جاعرتان.

ونَصل الرأس : حَدُّه.

والوظيف : ما فوق الرسغِ إلى الساق.

والجُؤْجـؤ : الصَّدر.

والعَسيب : مَنبت الذَّنَب.

والأُطْـرةُ : ما أحاط بالحافرِ.

---

(1) أصْلُ الفَخِذ (القاموس المحيط)، والمرافغ أصول اليدين والفخذين.

(2) الغراضيف (جمع غُرضوف) كالغضَاريف (جمع غُضروف).

والنواهقُ	: عروق تكتنف الخيـاشِم.
والغُراب	: نُقرة في العجز، وهما غُرابان.
والسُّموم	: مشاقّ الجِلْد.
والمُقلة	: سوادُ العَين.
والحَماة	: اللَّحمة التي في جانبِ الساق.
والزَّوْر	: وسطُ الصَّدر.
والناهض	: اللحمُ الذي يلي عَضُدَ الفرس من أعلاها.
والمَردغتان	: ما بين العُنق إلى التّرقُوَة.
والأرنبة	: طَرف الأَنْف.
والحالبان	: عرقان مكتنفانِ للسرَّةِ.
والفصوص	: المفاصل.
والنُّسور	: لحمةٌ يابسة في الحافِر.
وخرق السمعِ	: ثُقْبُه.
والرّبلتان	: باطنُ الفَخِذَيْن.
والقَصَرة	: أصلُ العُنقِ.
والصَّهوةُ	: مؤَخّرُ أعلَى الظهر.
والصِّفاق	: الجلد الذي تحت الجلد الذي فيه الشعر.
والسُّحر	: الريــــة.
والإهاب	: الجِلــد.
واللبَّان	: ما جرى عليه الدَّائر من الصدر.
والعجان	: ما بين السَّوْءَتين.
والمِنْجمان	: العَظْمان الناتيان دون العرقوب (انتهى).

واجتمع خمسُ جوارٍ من العرب فَقُلْن هَلُمَّنَّ نَنْعت خيلَ آبائنا.

فقالت الأولى: فَرسُ أبي وَردة، وما وَردة؟ ذاتُ كَفَلٍ مُزحْلق ومَتْنٍ

أخلَق، وجوفٍ أخوق، ونَفَس مَروحٍ، وعَين طَروح، ورِجل ضَروح، ويدٍ سَبوح، بُدَاهتها إهْذاب[1]، وعَقْبها غِلاب.

وقالت الثانية: فَرس أبي اللُّعَّاب، وما اللُّعَّاب؟ غَبْيَة[2] سحاب، واضطرام غاب، مُتْرَص الأوصال، أشمُّ القَذال، مُلاحَك المَحال، فارسه مُجيد، وصَيْده عتيد، إن أقبل فَظَبْيٌ مَعَّاج، وإن أدبر فظليمٌ هَدَّاج، وإن أحضر فَعِلْج هَرَّاج.

وقالت الثالثة: فَرس أبي حُذَمة وما حُذَمة؟ إنْ أقبلَتْ فقناةٌ مُقَوَّمة، وإن أدبرت فأُثْفِيةٌ مُلَملمَة، وإن أعرضت فَذيبَـةٌ مُعَجرَمَـة، أوساغهـا مُتْرَصَـة وفُصوصها مُمعَّصَة، جَرْيها انتِشَار، وتقريبها انكِدار.

وقالت الرابعة: فَرسُ أبي خَيفق [وما خَيْفَق؟][3] ذاتُ ناهقٍ مُعْرَق، وشِدْقٍ أشْدَق، وأديم مُمَلَّق؛ لها خلوق أشْدَف، ودسيع مُنَفْنَف، وتليل مُسيَّف، وَثَّابةٌ زلوج، خَيْفَاته رَهوج، تقريبها إهْمَاج، وحُضْرُها ارْتِعاج.

وقالت الخَامسة: فرسُ أبي هُذلول وما هُذلول؟ طريدُهُ مَحبول، وطالبُه مَشكول؛ رقيقُ الملاغِم، أمين المَعاقم، عَبْل المُحزِم، مِخَدّ مِرْجَم، مُنيفُ الحارِك، أشمُّ السّنابِك، مجدول الخَصائل، سَبِطُ الفَلائل، غَوْج التَّليل، صَلصال الصَّهيل، أَدِيمه صَاف، وسَبِيبُه ضَاف، وعَفوُه كاف.

تفسير ما أُشكِلَ من ألفاظ الجَواري في هذه الحكاية

وأولُ ذلك لفظُ **الفَرَس** يقع على الذّكَر والأُنثى تقول: هذا فرسٌ

(1) في أ: أهذاب (بالدال المعجمة وفتح الهمزة).

(2) في النسختين: عيبته، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه؛ وفي أمالي القالي 1:88-187 «غبية» وكذلك في المُزهر للسيوطي 2: 37 ـ 536. وسيأتي تفسير ما أشكل من ألفاظ الجواري في الفصل التالي.

(3) ساقطة في أ.

جميلٌ، للذَّكر، وهذه فرسٌ جميلةٌ، للأُنثى؛ فَمن كان مِنَ الجَواري فرسُ أبيها ذَكَراً أَجْرتِ الأَوصافَ على التَّذكِير، ومن كان منهنَّ فرسُ أبيها أُنثى أَجْرتِ الأوصافَ على التَّأنيث.

والمزحلق : المُملَّس؛ والأَخْلَق: الأَملس، والأَخْوق: الواسع.

ومَروح : كثيرة المَرَحِ.

وطَروح : بعيدة مَوقعِ العَين.

وضَروح : دفـــوع.

وسَبوح : كأَنها تَسبح في جَرْيها، أي تعوم من سرعتها.

وبُداهتها : فجأتها، والإهذاب: السُّرعة.

والعَقْبُ : الجَرْيُ بعد الجَري.

والغِلاب : المغالبة تقول: غالبت فلاناً مغالبةً وغِلاباً.

(انتهى كلام الجارية الأولى).

الغَبْية : الدفعة من المطرِ، والغابُ: جَمْع غابة وهي الغَيْضَة.

ومُتْرَص : مُحْكَم.

وأَشمّ : مرتفِع.

ومُلاَحِك : مُلائـم.

والملاحكة : المُلاءَمةُ بين الشيئَيْن.

والمَحَال : فَقَار الظَّهرِ، واحدتُها مَحالة.

ومُجيد : صاحب جواد.

والعتيد : الحاضر.

ومَعَّاج : من قـول العرب: مَعَّـج الفرسُ إذا اعتمـدَ على عَضَّـادَتَيْ العِنان. ومَعَّج أيضاً، وعَمج إذا أَسْرع.

وهَدّاج : من الهَدْج وهو المشيْ الرُّوَيْدُ.

والعِلج : حِمار الوحش.

والهَرّاج : الكبير الجري.

(انتهى تفسير كلام الجارية الثانية).

الأُثْفِية : واحدة الأثافي، وهي حِجَارةُ المَوْقد.

ومُلَمْلَمة : مُدَوَّرة.

ومُعَجْرمة : وَثَّابة، والعَجرمة: وَثْبٌ كَوثْب الظِّباء.

ومُمحَّصة : قليلةُ اللَّحم، قليلة الشعر.

وجَرْيُها انتِثار: كأنَّها تنثُره نثـراً.

(انتهى تفسير كلام الجارية الثالثة).

الناهقُ : العَظْم المُشرف في خَدِّ الفرس.

ومُعْرَق : قليلُ اللَّحْم.

وأشدق : واسعُ الشَّدْق.

ومُملَّق : مُمَلَّس.

والأشدَفُ : العظيمُ الشخص.

والدسيع : مُرَكَّب العُنُقِ في الحارِك.

ومُنَفنف : واسع.

والتَّليـل : العُنُق.

ووَلوج : سريعة.

والخَيفانة : السريعةُ أيضاً.

ورَهوج : كثيرة الرهج عند الجري، وهو الغُبـار.

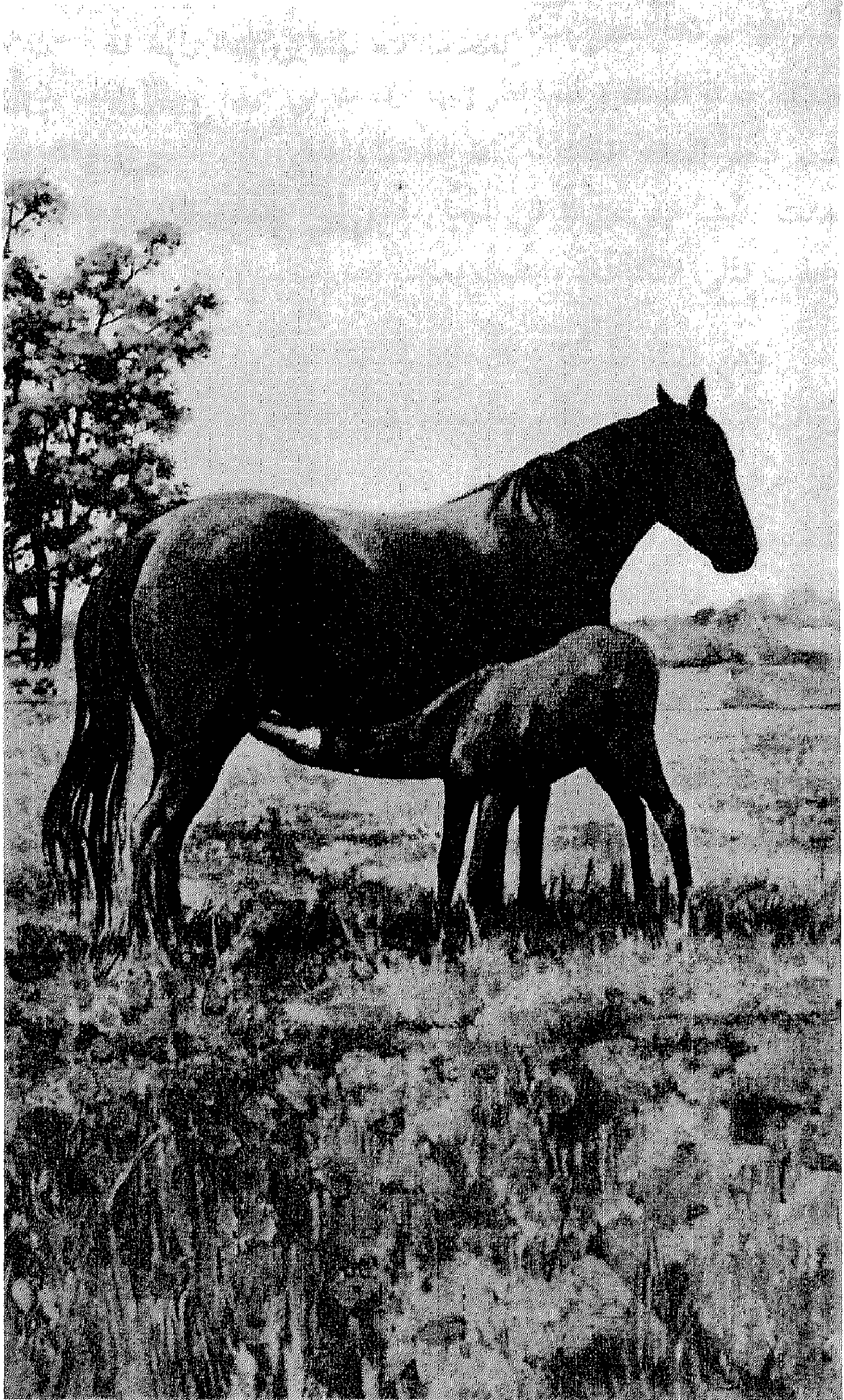
وإهماج : مبالغة في الجَرْي.

والارتعاج : كثيرةُ البَرق.

(انتهى تفسير كلام الجارية الرابعة).

مَحبول : في الحبالة.

ومشكولٌ : في الشِّكَالِ.



فَرس ومُهرها

والمَلاغِم : ما حول الفَم وإرادتها هنا الجَحافِل.
والمعاقم : المَفَاصِل.
وعَبْل : غليظ.
ومحد : يحد الأرض أي يشقُّها.
ومِرْجم : يرجم بحوافره.
ومُنيف : مُرتَفع.
ومجدول : مفتول.
والسبيب : شعر الناصية.
وضافٍ : كامل.
والفَليلُ الشَّعْرِ: الكامل المجتمع؛ والقطعةُ منه فَليلة.
(انتهى تفسيرُ كلام الخامسة).

قلت: هذه الحكَايةُ تدخل في باب ما يُستَطْرف من فِطنةِ النِّساءِ وبلاغَتِهنَّ، وذلك أنَّ النساءَ، مع قصورِ عقولِهنّ وقلّة إدراكهن في غالب الأمر، قد يصدرُ من بَعضِهنَّ من بلاغةِ الخِطاب وبراعةِ الجَواب، ودلائلِ النُّبل، وَشَواهِد العَقلِ ما يُستَغرَب أمرُه، ويُخَلَّد في الصحائفِ ذكرُه؛ ونحن نذكر ـ بحولِ الله تعالى ـ من ذلكَ فوائدَ مُستطرفةً ونوادرَ مُستَملَحَة.

فمن ذلك ما رُويَ أنَّ عُمرَ بنَ الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قال ذات يومٍ: لا تزيدوا في مُهور النّساء على أربعينَ أُوقية، فمن زاد أُلقِيَت الزيادةُ في بيتِ المال؛ فقالت امرأةٌ طويلةٌ في صَفِّ النساء: ما ذلك لك، قال: وَلِمَ؟، قالت: لأنَّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول: ﴿**وَآتَيتم إحْدَاهُنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بُهْتَاناً وإثماً مُبيناً**﴾ فقال ـ رضيَ الله عنه ـ امرأةٌ أصابَت ورجلٌ أخطأ.

ومن ذلك ما حُكِيَ أنَّ عمرانَ بن حِطَّان[1] ـ وهو من رؤساء الخَوارج

(1) في أ: عمران بن حصان، وهو تَصْحيف.

وشعرائها ـ دخلَ على امْرأتِه يوماً، وكان قَبيحاً قصيراً، وقد تَزيَّنت، وكانت جميلةً حسنةَ المنظر، فلما نَظَرَ إليها ازدادت في عَيْنيه جمالاً، فلم يتمالَك أن يُديم النَّظرَ إليها، فقالت له: ما شأنُك؟، فقال: لقد أصبحتِ واللهِ جَميلةً، فقالت: أَبْشِرْ فإني وإيَّاك في الجَنَّة، قال: وما عِلْمُكِ بذلك؟، فقالت: لأنَّك أُعطيتَ مثلي فَشَكَرْتَ، وابتُليتُ بِمثلِك فَصَبَرتُ، والشاكرُ والصابرُ في الجَنَّة.

ومن ذلك ما حُكِيَ أنَّ الرشيدَ كان ليلةً بينَ جاريتَيْن كوفيةٍ ومدنيةٍ، وكانت الكُوفية تَغمِزُ يديْه، والمدنيَّة تَغمِزُ رِجليه، ثم رفعت يَديْها إلى فَخِذَيْه ثم حَرَّكت مَتاعه حتى أنعـظ في يَدَيْها، فقالت الكوفية: نَحنُ شُركاؤكِ في البِضاعة وأراكِ قد انفردتِ برأسِ المالِ، فقالت المَدَنيةُ: حَدَّثني مَالِك عن هِشَامِ بنِ عُروة عن أبيه أَنَّه قال: من أَحْيا مَواتاً فهو لَه ولِعَقِبِهِ؛ فَشَغَلتها الكوفيةُ فدفعتْه عنها وأخذتْهُ بِيدها وقالت: حَدَّثَني الأعمشُ عن خَيثَمَة عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ أنه قال: الصَّيد لمن صاده لا لمن أثارَه.

وحَكَى عَليُّ بنُ الجَهْم، الشاعرُ المشهور، قال: اشتريتُ جاريةً فقلت لها: ما أحسَبُكِ بِكْراً، فقالت: كَثُرَتِ الفتوحُ في زمنِ الواثقِ، وقلتُ لها ليلةً: كَم بيننا وبين الصُّبح؟، فقالت: عِنَاقُ مُشتَاقيْن. ونَظَرتُ يوماً إلى الشمسِ وقَد كَسفت فقالت: احَتشَمت من محاسِني فتنقَّبَت. وقلت لها: نجعلُ الليلةَ مجلسنَا في القَمر، فقالت: ما أولعك في الجَمع بين الضَّرائر، وكانت تَكْره الحلي وتقول: يسترُ المحاسن كما يُغَطّي القَبائح.

ويُحكَى أنَّ المعتضِدَ نام وتَرك رأسَه في حجْر بعضِ جواريه فجعلت تحت رأسِه مخَدَّةً ونهضت فلمَّا انتبَه قال لها: لِم فعلتِ ذلك فقالت: كذا عُلِّمْتُ أن لا يقعدَ قاعدٌ بحضرةِ من ينام ولا ينامُ بحضرة قاعِد، فاستحسنَ المعتضِدُ ذلك منها.

وحُكِيَ أن امرأةً خاصمت زوجَها في تضييقه عليها وعلى نفسِه في

النَّفَقة، فقالت: واللهِ ما تقيم الفأرةُ في بيتِك إلا لِحُبِّ الوطَنِ وإنما هنَّ يُسترزقْن من بيوتِ الجيران.

ومن ذلك أنَّ رجلاً وقع بينه وبين امْرأتِه شرٌّ فأحال عليها يُجامعها، فقالت له: لعنَك الله كلّما وقعَ بيني وبينك شرٌّ جئتني بشفيعٍ لا يُرَدُّ.

ومن ذلكَ أنَّ خاطِبةً قالت لرَجُلٍ: عندي امرأةٌ كأَنّها طاقة نَرجِسٍ، فَتَزَوَّجَها فإذا هي عجوزٌ قبيحةٌ، فقال للخاطبةِ: كَذَبْتِني وغَششتِني، فقالت: لا والله ما فعلتُ، وإنما شَبَّهتُها بطاقةِ نرجسٍ لأنَّ شَعْرَها أبيضُ ووجهَها أصفرُ وساقَها أخضرُ.

وكَتَب رجلٌ إلى امرأةٍ كان يُحبُّها: عَصَمنا اللّهُ وإيَّاكِ بالتقوى، فكتَبَتْ إليه: يا غليظَ الطبْعِ إذا أجابَ الله دعاءَك لم نجتمِع أبداً.

وقال رجلٌ قبيحٌ: اشتهيتُ لو رأيتُ الشَّيطان، فقالت له امرأتُه: خُذِ المِرْآةَ فانظر فيها فإنَّك تراه السَّاعَةَ.

وَدَّعَ أشعبُ الطفيليُّ يوماً جاريةً مسافرةً كانت مُغَنِّيَةً بالمدينة وكان يُحبُّها فسألَها خاتَماً من ذهبٍ كان بيدِها فقالت له: يا أشعبُ إنّه ذَهَبٌ وأخشى أن تَذْهَب ويذهَبَ ما بيننا، ولكن خُذْ هذا العودَ لَعِلِّيَ أعودُ، ثم أَخذَت عُوداً من الأرضِ فناولتْه إيَّاه فَخُزِيَ أشْعب.

وقال مَرّةً أخرى: هَبني حاجةً أو خَاتَمك أذكرك بها في الغَيْبة، فقالت له: اذكرني بأنَّكَ سألتَني فَلم أُعطِك شيئاً.

وخَطَب بعضُ الناسِ جاريةً شاعرةً فَردَّته وقالت فيه:

عَذيري من خاطب أمْلَعٍ قبيحِ الإشارة والمَنْزع
يروم الزَّواجَ بما لو أتى يَروم به الصَّفعَ لم يصفع
برأسٍ فقير إلى كيَّةٍ ووجْه حُويْجٍ إلى برقُعِ

وحَكَى الأصمعي قال: كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين الرشيدِ إذ دخلَ عليه رجلٌ معه جاريةٌ للبَيْعِ فتأمَّلَها الرشيدُ ثم قال: خُذْ بيدِ جارِيَتِك، فلولا كلفٌ في وجَهها وخنسٌ في أَنِفها لاشتَرَيْتُها، فانطلقَ بها، فلمَّا بلغت السِّتْر قالت: يا أميرَ المؤمنين ارْدُدني إليكَ أُنْشِدْكَ ببيتَيْن حَضراني، فردَّها فأنشأت تَقول:

ما سَلِمَ الظَّبيُ على حسنِه كَلاَّ، ولاَ البدرُ الذي يوصفُ
الظَّبيُ فيه خَنسٌ بَيِّنٌ والبَدرُ فيه كَلف يُعْرَفُ

فأعجبتْه واشتراها وَقَرَّب منزِلها.

وحُكِيَ أَنْ المأمونَ عُرِضت عليه جاريةٌ فأعجبتْه فقال: أَبِكْرٌ أنتِ أمْ ثَيِّبٌ؟. فقالت: ثَيِّبٌ يا أميرَ المؤمنين، فقال:

قالوا: تُحِبُّ صغيرةً؟ فأجبتُهم: أشْهى المَطي إليَّ ما لم يُركَبِ
كم بينَ حَبَّةِ لُؤْلؤٍ مثقوبةٍ نُظِمَتْ وحَبَّةِ لُؤْلؤٍ لَم تُثْقَبِ

فأجابته على البديهة:

إنَّ المَطيّةَ لا يَلذُّ ركوبُها ما لَم تُذَلَّل بالزّمام وتُركَبِ
والدرُّ ليسَ بنافعٍ أربابَه ما لم يُؤلَّف بالنّظامِ ويُثْقَبِ

وَمن ذلكَ أنَّ المأمونَ لَمَّا أُهديت إليه زوجُه بُوران بنتُ الحسنِ بنِ سَهل اتَّفق أنْ أصابَها الحَيضُ ليلةَ البِناء بها فأرادَ المأمونُ أنْ يَقْرَبها، فقالت له: أتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تستعجلوه، فانصَرف عنها ونَظَمَ في ذلك بَيْتَيْنِ بديعيْنْ، فَلّما أصبحَ ذَكَرَهُما لِجُلسائِه وهما:

فارسٌ ماض بحربتِه عارفٌ بالطّعن في الظُّلَمِ
رامَ أن يُدْمي فريستَه فاتَّقتْه من دمٍ بِدَمِ

ومن ذلك أنَّ بعضَ الشُّعراء مَرَّ بِنِسْوَةٍ فأعجبَه شأنُهُنَّ فأنشأَ يقول:

إنَّ النساءَ شياطينٌ خُلقنَ لنا نعوذ بالله من شَرِّ الشياطينِ .



غبار ودخـان
كوكبة من الفرسان المغاربة
لوحة للرسام الفرنسي A. Pilot

قال: فأجابتْه واحدةٌ منهُنَّ:

إنّ النســاءَ ريــاحينُ خُلِقْنَ لـكم وَكُلُّكم يشتـهي شَـمَّ الــريــاحيـنِ

وحَكَى الشافعي ـ رضيَ اللّه عنه ـ قال: تَزوَّج رجلٌ امرأةً على امرأةٍ كانت له، فكانت الجديدةُ تَمُرُّ على بابِ القَديمة وتقول:

وما يستوي الرِّجلان رِجلٌ صحيحةٌ ورِجْـلٌ رَمَى بهـا الــزمـانُ فَشلَّتِ

ثم مرت بعد ذلك بأيامٍ فقالت:

وما يستوِي الثوبانِ، ثوبٌ به البِلَى وثـوبٌ بـأيــدي البـائعين جــديـدُ

فخرجت القديمةُ فقالَت:

نَقِّلْ فؤادَك حيثُ شئتَ مِنَ الهوَى مــا الـحبُّ إلاّ لـلحبيـبِ الأَوَّلِ
كم منزل في الأرضِ يَألَفُه الفتى وحـنـيــنُــه أبــداً لأَولِ مَـنْــزِلِ

ويُحكَى عن بعضِ النّاس أنَّه كان قاعداً على الجِسر فأقبلت امرأةٌ من جانبِ الرُّصافة متَوجِّهةً إلى الجانبِ الغَربي فاستقبلَها شابٌّ فقال لها: رحمَ اللّهُ عليَّ بنَ الجَهْم، فقالت المرأةُ في الحالِ: رحم الله أبا العَلاَءِ المَعَرِّي، وما وَقفا ومرَّ مُشْرِقاً ومَرَّت مُغْرِبَةً؛ قال: فتَبعتُ المرأةَ وقلتُ لها: إنْ لم تَقولِي ما قلتُما وإلاّ فَضَحتكِ وتعلَّقتُ بك؛ فقالت: قال لِيَ الشابُّ: رحِم الله عليَّ بنَ الجَهمِ، أرادَ به قولَه:

عيونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصافـةِ والجِسْرِ جَلَبْن الهوى من حيثُ أدرِي ولا أدرِي

وأردت بتَرُّحمِي على المَعَرِّي قولَه:

فيـا دارها بـالحَزْنِ[1] إنَّ مـزَارهـا قــريبٌ ولَكِنْ دونَ ذلـك أهــوالُ

---

(1) في أ: بالحسن؛ والحَزْن هو الغليظ من الأرض.

ومن ذلك أنَّ أعرابيةً سمِعَت رجلاً يُنْشِد:

وكَـأسٍ سُلافٍ يَحْلِف الـديكُ أنَّهـا لدى المرج[1] من عينيه أصفَى وأحسنُ

فقالت: بلغني أنَّ الديكَ من صالِحي رجالِكُم وما كَانَ لِيَحْلف كاذباً:

واجتمع عِدّةٌ من الشعراءِ فأتوا منزلَ عَدِيّ بنِ الرِّقاع فَأَلْفَوْه غائباً فقالت لهم ابنته ـ وكانت صغيرة ـ: ولماذا أردتموه؟، فقالوا: نُهاجِيـه، فقالت: أَوَكُلّكم؟، قالوا: نَعم، فقالت:

تجمَّعتُم من كـلِّ أوبٍ وَوجهَـةٍ على واحـدٍ لا زلتم قِـرن واحـدِ

فانصرفوا هاربين خَجِلين.

ومن ذلك أنَّ رجلاً طلب امرأةً طويلاً من المدَّةِ حَتّى أجابَتْه، فلما حصلا في فراشٍ واحـد خانَه متاعُه فلاعبتْه المرأةُ واجتلبَت ما عنده جهدَها فلمَّا يئِست منه قالت له: مَتاعك هـذا من الملوكِ السّادةِ، قـال: وأيُّ الملوكِ؟، قالت: أَنا لا أشُكُّ أنه من بَني أمية، يقول الشاعرُ فيهم:

شمسُ العـداوةِ حتى يستقـاد[2] لهم وأعـظم النّـاسِ أحـلامـاً إذا قـدَروا

لَمّا خوطب الإمام المفسِّرُ أبو مُحمد عبدُ الحقّ بنِ عَطِيّة بِتَقَلُّدِ خُطّةِ القضاءِ بالمرِّية واللّحاق بها دَخَل دارَه وعيناه تَدْمعان وَجْداً لمفارقةِ الأهِلِ والوطنِ فأَنشَدَتْه بنتُه أمُّ الهناء مُتَمَثِّلةً:

يـا عينُ صار الـدمعُ عنـدكِ عادةً تـبكـين فـي فـرحٍ وفي أَحـزانِ

وأخبر القاضي أبو البركات بنُ الحاج ـ رحمه الله ـ قال: جاءت امرأةٌ

(1) في ب: الموج. ولعل الصواب: المزج (بالزاي المعجمة).

(2) في أ: يستفاد لهم (بالفاء)، والصواب: يستقاد لَهم أي يدان لهم بالخضوع؛ استقاد له: ذل وخضع.

واعظة إلى المريَّة يُنْكَر عليها كثيراً مما تقول، وكانت تَعِظ النساء، قال: فبلغ أمرُها إلى أُمِّ القاضي أبي البركات وُوُصِفَ لها حالُها فقالت: صدق الله العظيم، «وإذا وَقَع القولُ عليهم أخرجْنا لهم دابَّةً من الأرضِ تُكَلِّمُهم».

وأَخْبَر القاضي أبو البركات أيضاً: قال لأُمِّه يوماً ابنُ خالتِها الأديبُ أبو زكريا يحيى بن زُرقاله لِيَختبر بديهتَها: رَوَيْتُ الآن نصفَ بيتٍ فأجيزيـه، فقالت له: قل، فقال:

عيني التي أتعبت قلبي بنظرتها. فقالت ارتجالاً: يا ليتها أُغمِضت عن ذلك النظرِ.

ثم شفعت ذلك في الحين ببيت آخر فقالت:

وعَــذَّبتني عــذابــاً لا نَفــاد لــه والحالُ تُغنيك عن شرحٍ وعن خبرِ

فقال ابن خالتها المذكور: سبحان الله، كم بينَ مَنْ رَوَى نصف بيتٍ وبين من ارتجل بيتاً ونصفاً أحسنَ ممَّا روى الآخر.

وعُرِضت على المعتصمِ بن صُمـادح، وهو أميرٌ بمدينة المريَّة، جاريةٌ أندلسية متأدِّبة تسمى غاية المنى، فقال لها ما اسمُك؟، فقالت: غاية المنى، فقال لها: أجيزي:

سَلْ هوى غاية المنى

فقالت:

من كسا جسمي الضَّنا
وأَراني مدلها
سيقول الهوى أنـا[1].

---

(1) في أ: سيقول الهوى لنا.

ودخل أبو بَكر الكِنْدي على المخزومي الأعمى وعنده نَزهون بنتُ القليعِي الغَرناطية تقرأُ عليه، فقال أبو بكر الكندي المخزومي:

لـو كنتَ تُبصـرُ من تُخـاطبُـه   لـغـدوت أخـرسَ من خـلاخـله

فقالت نزهون:

الـشـمسُ تـطـلـعُ مـن أَزرَّتِـه   والغُصـن يَمـرح فـي غـلائِلِه

بابٌ في ذكرِ ذكورِ الخيلِ وإناثِها وتفضيل الذُكُور على الإناث

أقول: لَا يخفى أنَّ الذكورَ من كلِّ حيوانٍ عاقلٍ أو غيرِ عاقلٍ لها التقدُّم والمَزيَّةُ غالباً على الإناث، ألا تَرى إلى بني آدمَ كيف جَعلَ اللّٰه للذكورِ المَزِيّةَ في الإمامة والوِلَايةِ والتَّقَدُّمَ في الشهادةِ والميراثِ وغيرِ ذَلك.

ولمزيةِ التذكيرِ على التأنيثِ كان الحُكْمُ في الغالب حيث يجتمع المذكَّر والمؤنَّث في كلامٍ واحد أَنْ يُقَدَّم لفظُ المذَكَّر على لفظِ المؤنَّث ليكونَ اللفظُ على موافقتِه المعنَى، على ذلك يَجري الحُكْم في بابِ الخيرِ والشر. قال الله تعالى: ﴿ **إنَّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ إلى آخره. وقال تعالى: ﴿ **وَالسارقُ والسارقةُ فاقْطَعُوا أيديهما** ﴾.

وهنا سؤالٌ وهو أن يُقالَ: فإذا كانَ الشّأنُ تقديمَ المذكَّر على المؤنَّث حيث يجتمعان، فما وَجْهُ تقديمِ المُؤنَّثِ على المُذَكّر في قوله تعالى: ﴿ **الزانيةُ والزاني فاجْلِدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جَلْدَةٍ** ﴾ الجوابُ عن ذلك أنْ يُقَال إنّما قُدِّمَ المؤنَّثُ على المذكَّرِ ها هنا لِأمْرَيْن: **الأمرُ الواحِد** أنَّ الزِّنا في المَرأة أظهرُ وأَفحشُ لمكانِ الحَمْلِ فصدّر بها في قضيةِ الحَدِّ لِعِظَم حالِها في الفاحشة، **الأمر الثاني:** أن الشَّهوةَ في المرأةِ أكثرُ فصدّر بها تغليظاً لها ورَدْعاً لشهوتِها، وذلك أنَّ للمرأة مثليْ شهوة الرجل، وإن كان قد رُكِّبَ في طبعِها حياءٌ فإنها إذا زَنَت ذَهَبَ الحَياء.

وبيانُ كونِ المرأة لها مِثلُ شهوة الرجل مَرَّتَيْن أنَّ الرجلَ إنما له شهوةُ دَفْع مائِه الذي تَقتضي طبيعتُه دَفْعَه، وأما المرأةُ فلها شهوةُ دَفْع مائها بمنزلةِ الرجل، وتزيدُ عليه بِشَهوة جذبِ ماءِ الرجل إليها، وهذه الشهوةُ الثانيةُ لا يَعرِفها الرّجل وليس له بها عَهْدٌ ولا عنده منها ذَوْق لأنّها لم تُخلَق له ولا رُكِّبَت في طبعِه.

وقد قَدّمنا في أولِ الكِتاب الحكمةَ في تقديم الإناثِ على الذكورِ في قوله تعالى: ﴿ يَهَبِ لِمَن يشاءُ إناثاً ويَهَب لمن يشاءُ الذّكور ﴾ وإن ذلك اعتناءٌ بِهنّ وتسليةٌ لمن وُهِبْنَ له.

تنبيه: للسائلِ أن يسألَ عن السبّبِ في تَكَوّنِ الجنينِ ذكراً أو في تَكَوُّنه أُنثى، وهَلْ يَعْلَمُ أهْلُ العِلْمِ لذلكَ سَبَباً ويعرفون له موجباً.

الجوابُ عن ذلك أن السَّبَبَ في ذلك ما أَخبَر به نبيُّنا ـ عليه الصَّلاة والسلام ـ في قوله في الحديث الصحيح **«إذَا سَبق ماءُ الرَّجلِ ماءَ المرأةِ أذْكَر، وإذا سبق ماءُ المرأةِ ماءَ الرَّجلِ أنْثَا»** ومعنى سبق: خَرج من قبل، ومعنى أَذْكَر: كان المولود ذكراً، ومعنى أَنْثَا: كانَ المولود أُنثى.

وجاء في الحديث الصَّحيح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: **«إذا علا ماء الرجلِ ماءَ المرأة أَشبَه الولدُ أعمامَه، وإذا علا ماءُ المرأة ماءَ الرّجلِ أشبَهَ الولدُ أخوالَه»، ومعنى علا: كَثُر.**

فتبيَّن من الحديث الأَوّلِ في كونِ الجنينِ ذكراً أو في كونِه أُنثَى، وتبيَّن من الحديث الثاني السَّببُ في كونه يُشبِه أعمامَه، وفي كونه يُشبِه أخوالَه، فتحصَّل من ذلك أنَّ الجنينَ على أربعةِ أقسامٍ عَقلية متقابِلة.

القسمُ الأَول: ذَكَرٌ يُشبِه أعمامَه.

القسم الثاني: أُنثى تُشبِه أخوالَها.

القسم الثالث: ذكرٌ يُشبِه أخوالَه.

القسم الرابع: أنثى تُشبه أعمامَها.

وذلك أنّه إذا سَبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة وكان أكثرَ من مائِها كان الجنينُ ذكراً بحُكمِ سَبْق ماءِ الرَّجل يشبهُ أعمامَه بحكمِ كثرةِ مائِه، وهو القسمُ الأول.

وإنْ سبق ماءُ المرأةِ وكان أكثرَ من ماء الرَّجلِ كان الجنينُ أُنثى بِحُكم سَبْق ماءِ المرأةِ تُشبه أخوالَها بِحُكم كثرةِ مائها وهو القسم الثاني.

وإن سَبَق ماءُ الرَّجلِ لكنْ لَمَّا خرج ماءُ المرأةِ بعدَهْ كان أكثرَ منه كان الجنينُ ذكراً بِحُكم سَبقِ ماءِ الرَّجلِ يُشبه أخوالَه بِحُكم كثرةِ ماء المرأةِ وهو القسمُ الثالث.

وإنْ سَبَق ماءُ المرأةِ لكنْ لَمَّا خَرج ماءُ الرَّجل بعدَه كان أكثرَ من ماءِ المرأةِ كان الجنينُ أُنثى بحُكمِ سَبْق ماءِ المرأةِ تُشبه أعمامَها بحُكمِ كثرة ماءِ الرَّجل وهو القسمُ الرابع؛ فسبحان الحكيم القدير ما أبدعَ حِكْمتَه وما أعظمَ قُدرتَه.

سؤال: هل يُمكن أن يُعلَم ما في الرَّحِم هلْ هو ذكرٌ أو أُنثى؟

الجوابُ عن ذلك أنَّه لا يَصل أحدٌ إلى عِلم ذلك يقيناً لأنَّ ذلك من مفاتيح الغيبِ الذي انفرد اللّهُ بعلمِها؛ قال اللهُ تعالى: ﴿ **وعندَه مَفَاتِح الغَيْبِ لَا يَعلمُها إلا هو** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **إنَّ اللهَ عندَه عِلمُ الساعةِ وَيُنَزِّل الغَيْثَ ويَعلمُ ما في الأرحام** ﴾، فلا سبيلَ إلى عِلم ذلك يقيناً، لكنَّه يُستَدَلُّ على ذلك بأَماراتٍ تَجريبية.

فَممَّا يَدلُّ بِحُكمِ التجريبِ وغالبِ الظنِّ، على المولود أيكون ذكراً أم أُنثى أنه إذا كانَ الثَّديُ الأيمنُ مُسْوَدَّ الحَلَمة[1]، فالجنينْ ذكَرٌ، والحَلَمة هي طَرفُ الثَّدِي، وإن كان ذلك في الثَّدي الأَيْسر، فالجنين أُنثى؛ ومن ذلك أنه

(1) جاء في النسختين: الحلبة (بالباء).



سِبَاق على دَوِيّ البَارود
فرسان من المغرب

إذا كانت المرأةُ تَجِدُ الجَنْبَ الأيمنَ أثقلَ فالمولودُ ذكرٌ وإن وَجدت الجَنبَ الأيسر أثقلَ، فالمولود أُنثى.

فائدة: نَقَلَ ابنُ بَشكوال في فوائده حديثاً عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَن وطيء امرأتَه أو جاريتَه ونيَّتُه أن يُسَمِّيَه محمداً جعلَه الله ذَكراً**».

فائدةٌ ثانية، عن بعض أهلِ العِلم: إذا جومِعَت المرأةُ وهي بحالِ خوفٍ وأَذْكَرت كان الولدُ نجيباً.

فائدةٌ ثالثة: جِماعُ المرأة على حالِ الغضبِ يُخرِجِ الولَد نجيباً.

فائدةٌ رابعة: إكثارُ الحاملِ من أَكلِ السُّفَرجل في زمانِ حَمِلها مما يُحَسِّن صورةَ المولود.

التفات؛ خرج بنا الكلامُ إلى ما لم نَقْصده بالفصلِ الأول، فَنعودُ إلى ما قصدنا الكلام عليه من ذكورِ الخيل وإناثِها. فنقول: إنَّ الذكورَ من الخيلِ هيَ التي لها التفضيلُ بحكمِ الأَصل والغَالب، وأمَّا تفضيلُ الإناثِ منها فإنّما ذلك لأمرٍ عارضٍ، كما رُوِيَ عن بعضِ أهلِ العلم أنَّهم كانوا يَستحِبّون إناثَ الخيل في الغاراتِ والبَيَاتِ وما خَفِيَ من أمورِ الحربِ لقِلَّة صهيلِها وخَفاءِ أمرِها.

أما الذكورُ، فهي المستَحَبَّةُ في غير ذلك من أحوالِ الحَربِ الظاهرةِ وأمورِها الشائعةِ ومقاماتِها الشَّهيرةِ ومنازلةِ الحصونِ ومواجهةِ الصُّفوفِ ومقابلةِ الجيوشِ؛ وقد قال الشاعر:

وأَعـددت للحـربِ أوزارَهـا ... رمـاحاً طِـوَالاً وخَيلاً ذُكـورا

وعن أنسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنه قال: كانَ السّلفُ يَستحِبُّون الفحولَة مِنَ الخيلِ ويقولون هي أجسرُ وأَجْرأ.

وأمَّا ما جاءَ عن رسولِ اللّهِ ﷺ من أنه قال: «**عَلَيكم بإناثِ الخيلِ فإنَّ**

ظُهورَها حِرْزٌ وبطونَها كَنْزٌ»، فإنما فيهِ الحضُّ على اتخاذِها، وليس فيه ما يَدلُّ على تفضيلها على الذكور».

وأمَّا ما جاءَ عن خالدِ بنِ الوليد ـ رَحمه اللّه ـ من أنه كان لا يُقاتل إلاَّ على أُنثى، فذلك لأمرٍ خاصٍّ به ليسَ بموجودٍ لغيرِه، وذلك أنه كان من شأنِه أن يَقتحِم المخاوفَ ويَتجشَّم المتالِف ويتولَّج المهالكَ ثِقةً منه بنفسِه وإدلالاً بشجاعتِه، فإنْ وجدَ منَ العَدُوِّ فرصةً انتهزَها ونَجا بِفرَسِه غانماً، وإن لم يَجدْ فرصةً نجا بفرسِه سالماً، فكان لا يزالُ في طلبٍ وهربٍ وكَرٍّ وفَرٍّ وجَرْيٍ دائمٍ وعَدْوٍ لازِمٍ فناسبَ ذلك أنْ يكونَ فرسُه أُنثى لأنَّ الأُنثى تَدفعُ البولَ وهي تجرِي لِسَعَةِ السّبيل وسُهولةِ المَخرج بخلافِ الذَّكَرِ، فإنه لا يستطيعُ دفعَ البولِ وهو يَجْري فيحبِسه في جَوفه فيَثقُلُ به وتَقْصُر خطاه [وَيقِلُّ جَرْيه][1].

وخالدُ بنُ الوليدِ هو الذي كان يقالُ له سيفُ اللّه، وفيه قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُؤذوا خالداً فإنَّه سيفُ الله صَبَّه الله على الكُفَّارِ»، وقال خالدُ بنُ الوليدِ اندقَّت في يَدِي يَومَ مُؤتَة تسعةُ أسيافٍ فما صَبَرت في يدي إلا صَفيحةٌ يمانية؛ وأمَّرَهُ أبو بكرٍ الصدّيقُ ـ رضي الله عنه ـ على الجيوشِ عند ارتدادِ أهلِ اليَمامة بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ ففتح اللّه تعالى على يَديهِ اليمامةَ وغيرَها، وقُتِلَ على يَديْه أكثرُ أهلِ الرِّدَّةِ منهم مُسَيلمةُ الكذَّاب الذي كان يَدّعي النُّبوءةَ فافتتِنَ به خَلْقٌ كثيرٌ؛ ثم افتتحَ خالدٌ بعدَ ذلك دمشقَ، ولمَّا حَضرت خالداً الوفاةُ، قال: لَقد شَهِدت مائةَ زَحْفٍ أو زُهاءها وما في جَسدي موضعُ شِبْرٍ إلاّ وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رَمْيةٌ ثم ها أنا أموتُ على فراشِي كما يموت البعير فلا نامت أعينُ الجُبَناء.

تحقيق: قَد تَبيَّن بما ذكرنا قبلُ تفضيلُ ذكورِ الخيلِ على إناثِها، لكنَّ كلاَمنا واعتمادَنا إنما هو في الذَّكرِ والأُنثى إذا كان نَجيباً.

---

(1) جملة ساقطة في أ.

وبالنَّجيب من الخيلِ ضَرب النبيُّ ﷺ المثلَ في مَوضْعِ المَعروف في أهلِه وصَرفِه عن غيرِ أهلِه.

حَدّثني والدي ـ رحمه اللّه ـ إجازةً عن الخطيبِ وَلِيِّ الله أبي عَبد الله الطّنجالي، عن الخطيبِ أبي الحَجاج بن أبي رَيحانةَ، عن القاضي أبي سُليمان داوودَ بنِ سليمانَ بنِ حَوْطِ اللّه، عن الإمام المُحدِّث أبي القاسم ابن بَشْكوال، عن أبي الحَسن عبدِ الرّحمن بنِ عفيف، عن أبي بكرٍ بنِ عبدِ الرّحمن الحجري، عن القاضي أبي عَبد اللّه ابن سَلامة القُضاعي، صاحبِ كتابِ الشِّهاب، بسندِه إلى عائشةَ ـ رضيَ الله عنها ـ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تَصلُحُ الصَّنيعةُ إلاّ عند ذي حَسَبٍ أو دِينٍ كما لا تَصلُح الرياضةُ إلا في النَّجيب»** ومثل ذلك قولُ القائل:

إنَّ الصنيعةَ لا تكونُ صنيعةً حتَّى يُصيبَ بها طريق المصنَعِ

وإلى هذا المعنَى أشرتُ بقولي من قصيدةٍ مولديةٍ مَدحتُ بها مولانا السلطانَ الغَنِيَّ بالله أيَّدَه الله:

إليك أميرَ المؤمنين قصيدةً تُغَارُ بِها زُهرُ النجومِ الطوالعُ
بديعةُ حُسْنٍ تَزْدهي بجمالِها ومثلُك مَن تُهدى إليه البدائعُ
وتُثني بما أوليتني من صَنيعةٍ ومثليَ مَنْ تُسدَى إليه الصَّنائعُ

أرَدْتُ البَيْتَ الثالثَ؛ وقد قيل في الأمثالِ المعدودة: **ثلاثةٌ تدلُّ على الأصالةِ: شُكْرُ المُنْعِم ومعرفةُ قَدْرِ الإنعامِ ونزاهةُ الهِمّةِ عن أخلاقِ اللّئام؛** وقد أحسنَ القائلُ:

الغدرُ في النَّاس شيمةٌ سَلَفت قد طالَ بين الورى تَصرُّفُها
ما كُلُّ من قد سَرتْ له نِعَمٌ منك يرى فَضْلَها ويَعرِفُها
بل رُبَّما أعقبَ الجزاءُ بها مَضَرّةً عَزَّ عَنكَ مَصرفُها
أمَا تَرى الشمسَ كيف تَعطِف بالنّور على البَدر وهو يَكْسفها

وهذا البيتُ الرابعُ فيه تَنْظيرٌ بديعٌ وتمثيلٌ عجيبٌ أشارَ به إلى ما يقوله المُعَدِّلُون من أنَّ ضوءَ القَمر إنما هو مُستفادٌ من ضوءِ الشَّمس ومع ذلك فَبِهِ يكون كُسوفُها واحتجابُ نورِها، وذلك أنَّ الشمسَ والقمرَ مُسَخَّران لله تَعالى في السماءِ يجريان في أفلاكِهما من بُرجٍ إلى بُرج على ترتيبٍ وحِسَابٍ وقَدْرٍ لا يَتعدَّيانه، قَالَ الله تعالى: ﴿ **الشَّمسُ والقمرُ بِحُسبان** ﴾ فالقمرُ سريعُ الذّهاب يقطعُ جميعَ بروجِ السماء في شهرٍ واحدٍ ولا تَقطعها الشمسُ إلا في اثنيْ عشرَ شَهراً، فالقمرُ يُدرِكُ الشّمسَ في آخرِ كُلِّ شهرٍ ويصيرُ بإزائها من البُرج الذي هي فيه ثُمَّ يَخلفُها فإذا بَعُدَ عَنها استهلَّ وكلَّما زادَ بُعدُه منها زادَ ضَوءُه إلى أن ينتهيَ إلى غايةِ البُعدِ وذلك ليلةَ أربعةَ عشرَ فتكملُ استِدارته وضَوْءُه ثم يأخذُ في القُرب منها، فلا يَزال ضوءُه يَنقص حتى يُمْحِق[1] ثم يبعد فيستهلّ ثم يزيدُ بُعده فيزيدُ ضَوءه، هكذا حُكْمه ما دامتِ الدّنيا على ما أَحكمه خالقهُ لا إلَه إلاّ هو.

فإذا قدر اللهُ بما أَحكمه مِنْ أمره وقَدَّرَه من منازله في سيره أنْ يكونَ بإزاءِ الشمس بالنهارِ فيما بَيْنهما وبين الأبصار سَتَرَ جِرْمُ القَمر عنا ضَوْءَ الشمسِ كلَّه، إنْ كان مقابِلَها دونَ انحرافٍ أو بعضِه، إنْ كان مُنحرِفاً عَنها فكان ذلك كسوفاً من الشمسِ آيةً من آياتِ اللّه عزَّ وجلَّ يُخَوِّف به عبادَه؛ قال اللّه تعالى: ﴿ **وَمَا نرسل بالآياتِ إلا تخويفاً** ﴾، وقال رسولُ الله ﷺ: «**إن الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللّه لا يَخْسِفان لموتِ أَحَدٍ ولا لحياتِه فإذَا رأيتموهما فكَبّروا وادْعُوا [وصَلُّوا]**[2] **وتَصَدّقُوا**».

تَقْرير: قَد استَوفينا الكلامَ في هذا الكتابِ على الخيلِ وفَضْلها، وإدراكِها، ونُبلِها، وأوصافِها، وسِماتِها، وَألوانِها، وشِيَاتِها، وأَسْمائها،

---

(1) أمحق القمر: دخل في المِحاق، وهو ما يُرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله.

(2) كلمة ساقطة في أ.

وألقابِها، وأصولِها، وأنسابِها، وطبقاتِها، ومراتبِها، ومحاسِنها، ومعـايِبها، وأحوالها، وأصنافها، وذكورها وإناثها، وما تَخَلَّلَ ذلك من المسائلِ العِلمية والفوائدِ الأدبيةِ، وأما ما يَرجع إلى أدواءِ الخيلِ وعلاجِها وتَعَرّفِ أخْلاطِها ومِزَاجِها، فذلك أمرٌ خارجٌ عن مَقْصَدنا، نازحٌ عن مُعتَمَدِنا، إنما مَحَلُّ ذلك علمُ البَيْطرة وهو علمُ طِبِّ الخَيل كَما أنَّ البَيْزَرة علمُ طبّ البُزَاة.

وقد وَقَفْتُ في البَيْطرةِ على تأْليفٍ نبيلٍ رَفعه للمقام العَلِيّ المُحمديّ النَّصْريّ ـ أسماه الله تعالى ـ صنيعةُ إحسانه الفقيـهُ الأديب الحَسيب أبو الحسن بنُ هُذَيْل، وهو من أنبلِ مَنْ قرأ العِلْمَ عَلَيَّ واستفادَ الأدبَ بَين يَدَيَّ من وجوهِ الحَضْرة وأعيانِ البَلْدة.

وها نحن ـ بحولِ الله تعالى ـ نَختِم هذا الكتابَ ببابٍ انفردنا به كما انفردنا بكثيرٍ من الأبوابِ، نذكر فيه من فوائدِ الخيلِ وخواصِّها ما استفدناه من العلماءِ، وربما نَصَّ على بعضِه الأطِبَّاءُ، فنقول:

بَابٌ مِن خَواصّ الخَيْل

خاصيةٌ أولى: من أراد أَنْ يُذَلِّلَ الصَّعبَ من الدوابِّ فلْيَدهن مَنخِره بدُهنِ الوَرد الطيّب فإنّه يَذِلّ.

خاصية ثانية: من أرادَ أَنْ يُسَكِّنَ تحصين الفَرس الحِصان فليمرَّ على أنفه النّعنَع مَرَّةً بعد أخرى فإن رائحةَ النَّعنَع تُسَكّنُ تحصينه.

خاصيةٌ ثالثة: مثلها للفَرَس الحصانِ أيضاً: تُمَرّغ الفَرَسَ الحصانَ في مَنْبِتِ الحَبَقِ فيذهبُ تَحصينُهُ ويَسْكُن.

خاصية رابعة: إذا كان الفرسُ يَنْفِرُ من الجملِ يُعَلَّق عليه في المِخْلاَةِ رَوْثُ الجَمل مَرّاتٍ فيزول نفورُه.

خاصية خامسة: من أراد أن يَطُولَ ذَنَبُ فرسِه فَلْيَغسِله بملحٍ وزَيْتٍ

ويَذَرّ عليهِ دقيقَ حِمَّصٍ وكِرْسنَّـة.

خاصيةٌ سادسة: إذا لَسعت العَقْرب الفَرَس فيوضع في مكانِ اللَّسعةِ أَخْثَاء[1] البقر فيَبْرأ بحول الله.

خاصية سابعة: إذا ابتلعَ الفرسُ خُنْفُساء استلقي على ظهره فينبغي أنْ يُسقى ماءً سُخناً ويَذهب عنه بإذن الله.

خاصية ثامنة: حَوافرُ الفـرسِ محرقـة معَ زيتٍ تنفـع من مرضِ الخَنازير.

خاصيةٌ تاسعةٌ: دُخان رَوْثِ الفَرس يُسَهِّلُ الجنينَ للحاملِ وكذلك يَقْطعَ نَزف الدم.

خاصية عَاشرة: إذا شَرِبت المرأةُ دمَ فَرَسٍ امتنع حَمْلُها.

خاصية حادية عشرة: إذا دُفِنَ حافرُ الفَرسِ في موضع، لم تَدخُلْه الفَأرة.

خاصية ثانية عشرة: أسنانُ الفرس إذا جُعِلَت عند رأسِ الذي يَغُطُّ في نومِه لم يَغُطّ، ومعنى يَغُطُّ: ينخر.

تنبيهٌ نبيه: خواصُّ الأشياءِ لا يعرف أحدُ أسبابَها ولا يعلم أحدُ مناسبتَها لما تؤثره[2] بإذن الله من الأفعال ويتولد عَنها ـ بحول الله ـ من الأحوال، وإنما يَعلمُ ذلك خالقُها تبارك وتعالى.

ولا يُنكَرُ مثلُ ذلك في الخواصِّ التجريبيةِ والأمورِ العادية، فقد وَجدنا لذلك نظائرَ من الخواصِّ الشرعيةِ والأسرارِ النبوية.

---

(1) في ب: حناء، وهو تصحيف. والأخثاءُ: جمع خَثَى وهو الرَّوْثُ.

(2) في ب: توتره (بالمثناة).

حَدَّثني والدي ـ رحمه الله ـ إجازةً عن جدّي، عن جدِّ والدي، عن الأستاذِ أبي الحَسَن بنِ ذي النّون الشهيرِ بابن الرَّملية من وجوه غرناطة، عن القاضي العالِم أبي بكر بنِ العَربي، عن الإمام الشهيرِ أبي حَامد الغَزالي، أنه نَقَل أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يا أيّها الناسُ إنّ اللهَ أمرني أن أُعلِّمَكُم ما عَلّمني وَأُؤَدِّ بَكُم فلا يُكْثِرَنّ أحدُكم الكلامَ عند المُجامعة فإنه يكون منهُ العَمى، ولا يُقَبِّلَنّ أحَدُكم امرأتَه إذا هوَ جامَعها، فإنه يكون منه الصَّمَ، صَمَمُ الولد، ولاَ يُديم أحَدُكم النظرَ في الماءِ، فإنه يكونُ منه ذهابُ العَقْلِ**».

وحَدّثني أيضاً والدي ـ رحمه الله ـ بالسَّنَدِ المتقدِّم إلى أبِي حامِد الغَزالي ـ رحمه الله ـ أنه حَكَى أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنِ احتَجَم يومَ السَّبت والأربعاءِ فأصابَه بَرَصٌ فلا يَلومَنَّ إلا نفسَه**».

قال الإمام أبو حامد: وقد احتجمَ بَعْضُ المُحدِّثين يومَ السبت؛ قال: وهذا حديث ضعيف، فَبَرِص وعَظُمَ ذلك عليهِ حتى رَأى رسولَ الله ﷺ في النومِ فشكا إليه ذلك، فقال: لِمَ احتجمتَ يومَ السبت؟ فقال: لأنَ الراوي كان ضعيفاً، قال: أليسَ كان نَقَل عنّي؟ قال: تُبْتُ يا رسولَ اللّهِ، فدعا له رسولُ الله ﷺ بالشِّفاء فأصبحَ وقد زالَ ما بِه.

وقال مَالِك ـ رضيَ اللّه عنه ـ سُحِرت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيما بلغني، فأقامت أياماً ثمَّ أُتِيت في منامِها فقيل لهـا خُذِي ماءً من ثلاثِ آبَارِ فاغتسلِي به، قال: فَفَعلت، فذهبت عنها ما كانَت تَجِد.

فهذه الخَواصُّ وأمثالُها تعجزُ العقولُ عن معرفةِ أسرارِها وتَقصُر الأفهام عن مُناسبتها لما يَبرزُ في الوجودِ من آثارها لأنَّها لا تُدْرَكُ بالحكمةِ العقليـة ولا يُتوصَّلُ إليها بالأقْيِسَةِ النظرية، وذلك أنَّ مِنَ الأمورَ ما هو فوقَ إدراكِ الإنسان، وفوق طَورِ العُقولِ والأذهانِ، وما كان كذلك فليس في قُوّةِ البشرِ الوصولُ إليه

ولا الاطّلاع عليه إلاّ من أطْلَعَه الله على ما شاء مِنْ ذلك بنورِ النّبُوءة أو مكاشَفةِ الولاَية.

وها هنا انقضَى ـ بحول الله ـ ما قَصدناه، وانتهى غرضُنا مِمَا اعتمدناه من هذا التأليفِ الذي انتقيناه، والتصنيفِ الذي هَذّبناه وحلّيناه بجواهرِ الفوائد، ونوادرِ الفَرائد، التي هي بمنزلةِ الوسائِط من العُقود والخِيلانِ من الخُدود، وَشّحناه بأصنافِ العلوم، ما بينَ منثورٍ ومنظوم، تنشيطاً للأسماعِ والأبصار، وتلقيحاً للأذهان والأفكار، وسمّيناه كمَا رَسمناه أولاً **مَطْلع اليُمن والإقبال** اقتداءً بالنبيِّ ﷺ في استحسانِ الفال؛ رَوينا في الحَديثِ الصحيحِ من طريق الإمام أبي الحَسنِ مُسلِم بنِ الحَجّاج أن رسولَ الله ﷺ، قال: «**يُعجِبني الفالُ الكلمةُ الحَسَنَة**» ونحن نَحمدُ الله ـ تعالى ـ على ما هدانا إليه من العلمِ وأُمْتَعنا به من الفَهم ورزقنا من معرفةِ النَّثرِ والنَّظم، ونستوهب منه ـ سبحانه ـ لأميرِ المسلمين، مَولى الملوكِ والسلاطين، مولانا السلطانِ أبي عَبدِ الله الغَنِيّ بالله مُلكاً مُخَلّداً، وسعداً مجَدّداً، وعِزّاً مؤبّداً، وأمراً مُؤَيّداً، ونُجحاً مُسَدّداً، ويُمناً مردّداً، ونصراً مؤكّداً، وفتحاً معدّداً، ودهراً مُمَهّداً، ونسأله جلَّ جلاله أنْ يُبلغَه غايةَ الأملِ والأفْرَاح، والسعادةِ والنّجاح، في ذاتِه الكاملة، وخِلافَتِه العادلة، وفي أبنائِه الأمراءِ الكِرام، السادةِ الأعلام، سلالةِ السّلَفِ الطاهر، والمجد البَاهر، أراه الله قُرَّةَ العَين فيهم، وفي بَنيهم وأعقابِهم أجمعين، وجعل الملكَ كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ إلى يوم الدين.

اللّهمَّ يا ذَا الجَلال والإكرام، يا ذا الفضلِ والإحسان، أعِنّي على واجبِ طاعتِه، كما أُعنْتَني على شُكرِ نِعْمَته، وارْزقني دوامَ رضاه، كما رزقتَني خُلُوص مَحَبَّته، إنك سميعُ الدعاء، فَعّالٌ لما تشاء، وصلّى الله على سيدِنا محمد خاتِم النبيئين الذي أرسلَه الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبِه الأكرمينَ وسلَّم تسليماً كثيراً.

* * *

وقد نَجز هذا الكتابُ المبارك ـ بحولِ الله وقُوّته ـ في اليوم الثاني

والعشرين من رَجب الفَرد الحَرام عام سِتّةٍ وثلاثين ومائةٍ وألف على يد العبد الفقيرِ المضطَرّ الحقير الراجي عفوَ مولاه وغفرانَه **علي بن أحمد بن الطنجي البلغيثي** أمَّنَه الله ووالديه يومَ الفَزَع الأكبرِ من النار، كتبه للرئيسِ الأرضَى المُحِبِّ في دين الله المرتضى أبي الفَضل والشمائلِ المحمودة القائدِ **المَحجوب بن المصطفى** أبقى الله خيرَه وأطال عُمره بجاه سيدنا ومولانا محمّد ﷺ اللهمّ انْفَع به الكَاتب والقارىءَ والناظرَ، وارحمَ بفضلك جميع المسلمين يا أرحَم الرحمين، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله.

تَمَّ الكتاب بحمد الله تعالى

ذَيْـــل

قد يكون من تمام الفائدة أن نضيف إلى ما ذكره المؤلف ابن جزي من صفات الخيل وأحوالها ذيلاً بمصطلحات وردت في كتب اللغة ومعاجمها كالقاموس المحيط وفقه اللغة، وذلك على التَّرتيب التَّالي:

- ترتيب مَشي الخَيْل وعَدْوِها.
- صـوت الخيـل.
- أداة الخيل من سَرج ولجام وغيرها.
- ترتيب سنِّ الخيـل.
- خَلْقُ الخَيْـل.

وقـد أضفنـا إلى مـا تقَـدّم صُـوراً رَسَمهـا المستعـرب الفـرنسي J.J. Clément Mullet. وصدرت في الترجمة الفرنسية لكتاب الفلاحة، تأليف ابن العوّام الأندلسي. وتوضح الصور الأجزاء الرئيسية لبدن الخَيل والأدوات المتعلقة بها كالسرج واللجام وما إلى ذلك؛ وقد أثبتنا بيان هذه الأجزاء باللغتين العربية والفرنسية كما وَرَد في الكتاب المذكور.

المحـقّـق

صفـات مشي الفرس وعدوه

العَنَـق : أول المشـي.
المَـزْع : أول العَدْو.
الغَلَجان : أن يبدأ الفرس الجري من غير أن يختلط.
الإلهاب : اجتهاد الفرس في العَدْو حتى يثير الغبار.
المَلْذ : فوق الإلهاب.
الإرخاء : شدَّة العَدْو.
المَطْر : العَدْو الشديد أيضاً.
الشـدّ : السرعة في العدو.
الإشداف : مثل الشدّ.
الهَيْذَبى : اضطرام جَرْي الفرس.
الحُضْر : ارتفاع الفرس في عَدْوِه.
السَّحق : دون الحُضر.
الإحصاف : أقصى الحُضر.

صفات أخرى من حركات الفرس في مشيـه ووثبـه

الإخْلاط : أن يقصِّر في جريه.
التَّقريب : أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً.

التوقّص : أن ينزو الفرس نزواً. (والنزو هو الوثب).
الخَبَب : أن ينقل أيامِنَه جميعاً وأياسِرَه جميعاً، وفي قول الأصمعي: أن يراوح الفرسُ بين يديه.
الخِناف : أن يُهويَ بحافره إلى وَحْشِيِّه.
الدَّألان : مشيٌ يقارب فيه الخطوَ ويبقى فيه كأنه مُثْقَل من حِملٍ.
السُّمُوهُ : أن لا يعرف الفرس الإعياء.
الضَّبْر : أن يجمع يديه ثم يثب فتقع مجموعاً يداه.
الضَّبْع : أن يُهوي بحافره إلى عضده.
العزيم والاعتزام : لزوم القصد في الحُضْر والمشي.
الغُلُوّ : ارتفاع الفرس في سيره.
القِران : أن تقع حوافر الرِّجلين مواضعَ حوافر اليدين.
المواثَمة : كأنَّ الفرس يرمي بنفسه.
النَّدْف : تقارب خَطوِ الفرس في خَبَبه.
النَّعب : أن يثير الفرس في جريه الغبار.
الهَزَّع : مروره مَرّاً خفيفاً.
الهَمْر : شِدة ضرب الفرس الأرض بحوافره.
الوَعكة : الوقعة الشديدة في الجري.
الوَكْت : إسراع الفرس في رفع قوائمه ووضعها.

تفنُن الفرس في الحركة والمشي

الارتعاص : استِنان الفرس ونشاطه وليس عليه فارسه.
الاستنان : جَرْي الفرس في نشاطه على سَنَنه في جهة واحدة.
البَغي : اختيال الفرس في عَدْوِه.
الخُنوف : أن يميل بيديه إلى أحد شِقَّيه من النشاط، أو أن يُميل أنفه إلى فارسه.

العِرْضَة والعِرْضَنَى: أن يمشي عرضاً، وهي العُرضية.

المَعْج : التفنُّن في الجري والتقلُّب فيه يميناً وشمالاً.

العَسَلان : اضطراب الفرس في العدو وهزّ رأسه.

الهَمْلَجة : حسن سير الدابة في سرعة.

صوت الخيْل

الاهتزام : صهيل قويٌّ يُسمع دويه.

الجَلْجَلة : صفاء الصهيل دون رِقّة.

الخضيعة : صوتٌ يسمع من جوف الفرس إذا عدا.

الخُواع : صوت يشبه الشخير والنخير.

الزَّعيق والزّعاق : صوت يُسمع من بطن الفرس المُقْرِب.

الشَّخير : صوت يخرج من الفم.

الصَّهيل : الصوت الذي يُطلقه الفرس ويخرج من صدره، وبه سُمي صاهلاً.

الصَّبْحُ : صوت يسمع من فم الفرس ليس بصهيل ولا حمحمة.

الضّغيب : مثل الزعيق.

العُوَاق : مثل الزعيق.

القَبْع : صوت يردّده الفرس من مَنْخِريه إلى الحلق ويكون من نِفارٍ أو شيء يتّقيه ويكرهه.

القَبْقبة والقبيب : صوت يخرج من جوف الفرس.

الكرير : مثـله.

النحيط : صوت يرسله الفرس من الثقل والإعياء، يكون بين الصدر والحلق.

النحيم : صوت يخرج من صدر الفرس.

النخير : صوت يخرج من المَنْخِرين.

أداة الخيـل

1 ـ السرج ولَوازمه:

الإبزيم : عُرْوةٌ معدنية في أحد طرفيها لسان، توصل بالحزام ونحوه لتثبيت طرف الحزام الآخر على الوسط.

الإطنابة : سَيْر يُعقد في طرف الحزام أو الإبزيم.

الجَدِيَّة : القطعة من الكِساء المحشوة تحت دفَّتي السرج. وفي المخصّص: جديتا السرج: اللِّبد الذي يُلزق بالسرج من الباطن.

الجديلة : ناحية السرج وحوزته.

الحِياصة : حِزام الدابَّة، أو هو سير في حزامها.

الرِّكاب : حديدة متَّسعة الأضلاع على شكـل مثَلّث، معلقة في السرج توضع فيها رِجل الفارس.

السرج : رَحْل الفرس، معروف، وهو شبه المقعد يوضع على ظهر الدابّة لجلوس الراكب، ويُسمى القُعدة (بضم القاف).

السِّمط(ج سُموط): السَّير يُعلّق في مؤخَّر السرج تُشَدُّ به الأشياء وهي بمثابة الغَرْز للرَّحْل.

العَقربة : حديدة شبه الكُلاَّب تعلَّق بالسرج والرَّحل.

عِضادَتا الإبزيم : جانبـاه.

القَرَبوس : حِنْو السرج، وهما قربوسان: قربوس المؤخرة وقربوس المقدِّمة.

القَيقب والقيقبان: خَشَب السرج.

المِحور : عود من حديد يدور فيه لسان الإبزيم في طرف المِنْطقة.

المَرْشحة والمَرْشح: (ج مراشح): البِطانة التي تحت لَبِد السرج، لأنها تُنشِّف الرَّشح.

2 ـ اللِّجام ولوازمه:

أظراب (اللجام) : عُقَد في اللِّجام كأنها فَلْس، وهي العُقد التي في أطراف الحديدة.

الحَكَمة : الحديدة التي تكون في فم الفرس ويتَّصل بها العِذَاران.

خَوَل (اللِّجام) : أصل فَأسه.

الرّصيعة : العُقدة في اللجام.

الشكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام.

العِذار : ما سال من اللِّجام على خدِّ الفرس.

فأس (اللجام) : الحديدة المعترِضة في فم الفرس.

القَبّ : نوع من اللُّجُم، وهو أعظمها.

اللِّجام : الحديدة في فم الفرس وما يتّصل بها من سيور وآلة، وفي المخصص: حَبل أو عصا يُدخَل في فم الدابة ويُلزقُ إلى قفاه.

المِسْحَل : يطلق على اللّجام نفسه، كما يُطلق على حَلقة من حلقتين على طرفي شكيم اللجام إحداهما مُدْخلة في الأخرى.

نِضو (اللجام) : حدائده بلا سُيور، ويقال أيضاً، شِلْو اللجام.

النَّكْل : ضرب من اللُّجم، أو هو حديدة اللجام أو الزمام، وفي المخصص: لِجَام البريد.

لوازم أخرى تتعلق بالخيل

الآخية : (ج أخايا): عود يعرض في الحائط تشد إليه الدابة.

الإِصطَبل (الإسطَبل): حظيرة الخيـل.

التِّجفاف : (بكسر التاء، ج تجافيف): ما يجلَّل به الفرس من آلة وسلاح.

الجَلّ : (ج: جلول وأجلال): ما تغطَّى به الدابة لتصان.

الحِذاء : ما يَطأ عليه الفرس من حافره.

الحريسة : أطلقها بعض أصحاب المعاجم العلمية من المعاصرين على الإصطَبل الذي تُربى فيه عتاق الخيل الجياد في مقابل اللفظ الفرنسي Haras والانجليزي Stood، والحريسة في الأصل زريبة الأغنام.

الرِّباط : هو مربط الخَيل لخمس منها فما فوق.

الرَّسَن : (ج: أرسان): ما كان من الأزِمَّة على الأنف.

السائس : رائد الخيل ومدربها.

سِجلُّ الجياد : نقترحه في مقابل المصطلح الانجليزي: Stood - Book.

العِنان : سَيْر اللِّجام الذي تمسك به الدابَّة، وهو طاقان مستويان.

المَرْبَطِ : أخصُّ من الرِّباط، وهو مأوى الخيلِ ومستراحها، وأفضل عندي أن يكون لفظ «المَربط» في مقابل اللفظ الانجليزي Stood إذا أضيف إليه ما يُمَيِّزه عن أي مربط، كَأن يقال: مَربط العِتاق.

المَعلف : (بكسر الميم وفتحها): ما تعلف فيه كالمخلاة.

المَشرب : مكان شرب الدواب وغيرها.

المِهماز : حديدة في مؤخر حذاء الفارس يهمز بها الفرس.

النَّعل : حديد متقوس يوقى به حافر الدابة، تسميه العامة الصفيحة.

الوَسْم والسِّمة : علامة مميزة توسَم بها الدواب لتعرف بها، وتكون بالكيِّ.

ترتيب سن الفرس

المُهْر : (ج: مِهار وأمهار ومِهارة) حينما تضعه أمه.

الفَلُوُّ : (ج: أفلاء): يلي المُهر، وهو من فعل فَلاَ المُهرَ إذا فصله عن أمه.

الحولي : إذا أكمل سنة..
الجَذع : في الثانية.
الثَّنِيُّ : في الثالثة.
الرّباعي : (ج: ربع ورباع): في الرابعة.
القارح : في الخامسة.
المُذل أو المذكّي: إلى أن يتناهى عُمره، وهو المُسِن.

خَلْقُ الخيْل

1 ـ الأجزاء الظاهرة من بدن الفرس:

الأشاعر : ما حول حافر الفرس من الشعر.
الثُّنّة : الشعر فوق الرُّسغين من مؤخر الرجلين.
الجُؤجؤ : ما نتأ من النحر ما بين أعالي الفَهدتين.
الحارك : منبت أدْنى العُرف إلى الظهر الذي يحذه الفارس إذا ركب.
الحاميان : جنبا الحافر.
الخُليقاء : ملتقى جبهة الفرس بقصبة أنفه من مستَدَقِّها.
دابر الحافر : ما يلي مؤخر الرسغ.
الذباب : ما حدَّ من طرف أذن الفرس.
الذراع : بين الركبة إلى المرفق.
الذؤابة : شعر أعلى الناصية.
الذيل : ما أسبل من الذنب.
الرُّحَيياء : أعلى الكشحين من الفرس.
الرُّقْنان : حلقتان في باطن الذراعين متقابلتان.
الساق : ما بين العرقوب والفخذ.
السالفة : مقدَّم العُرف.

السليل : الهامة (أعلى الرأس).

السُنبك : مقدَّم الحافر.

الشكير : الشعر على عُرف الفرس وناصيته.

صفحتا الفرس : خـدَّاه.

صفقا الفرس : أيضاً خـداه.

الصهوة : موضع اللِّبْد حيث يركب الفارس.

العُرشان : منبت العُرف فوق العلباوين.

العُرف : منبت شعر الفرس.

العُزيزاء : فجوة الدُّبر من الفرس.

العصفور : ما تحت الناصية إلى العينين.

العُكوة : معظم الذَّنب وما غَلُظ منه ومستَدقّه.

الغُرمول : القضِيب، ويسمّى الجردان أيضاً.

القيْد : الشَّعر الذي على جحفلة الفرس.

القَـذال : جِماع مؤخّر الرأس وهو معقد العِذار خلف الناصية.

القُرب : من لدن الشاكِلة إلى مَراق البطن ومن لدن الفرخِ إلى الإبط: قُربٌ من كل جانب.

القَصرة : أصل العُنُق.

القطاة : مقعد الرِّدف.

القُنب : غلاف القضيب.

القَوْنس : مقدَّم الرأس.

الكِتف : ما فوق العَضُد.

اللَّبَان : بلدة النحر.

المَحزم : ما قام عليه الحزام.

المَراثِ : الدّبـر.

المَعَدَّان : موضع رجلي الراكب على جنبي الفرس.

المَنْسج : ما سفَل من الحارك.

الناصيـة : مُقدم الرأس.

النُخرة : ما بين المَنخرين إلى الجحفلة.

الهـادي : العُنُـق.

الوترتان : هنتان[1] كأنهما حلقتان في أذني الفرس.

2 ـ الأجزاء الباطنة من الفرس (اللحم والعَصَب. . .)

الأباجيل : عروق في صدور الدواب.

الأبهـر : عِـرق في الظهر.

الأشاجِـع : عصب اليدين.

الجِران : مريء الدابة وحُلقومها.

الجُرذان : عَصبتان في ظاهر خصيلة الفرس وباطنها مما يلي الجنْبَيْن

الحالبان : عرقان يكتنفان السرة.

الخُربة : نُقرة فيها لحم ولا عظم فيها.

الدائـر : عَصبة حول الداغصة.

الرَّبْلتان : اللحمتان الغليظتان في باطن الفخذين مما يلي الإليتين.

الرَّضْف : هنات شبه الفلوس يَكُنَّ تحت الداغصة.

الرواهش : عصب يدي الدابة.

السَّمَّان : عرقان في منخري الدابة.

العُجاية : عصبة تكون في باطن اليد وأسفل منها هنات كأنها الأظفار تسمى السَّعدانات.

العُرضان : ما انحدر من قصبة الأنف من جانبيها، وفيهما عرق البُهْر.

العلباوان : عصبتان بينهما العُرف.

الفائل : عرق في الخُربة ينحدر في الرجل.

---

(1) لعل المراد: الهانَتان، والهانَة: زائدة شحمية أو نحوها.

الكاذَتان : لحمتا فخذ الدابة.
المَضيغة : لحم تحت الناهض.
الناهض : لحمُ مرجع الكتف.
النَّسوَان : عرقان في الرجلين هما العاملان في الفخذين.
النَّعامة : الجلدة التي تُغَطِّي الدماغ.

3 ـ العِظام والغضاريف:

الأيبسان : ما ظهر مِن عظم الوظيف من قدَّامه.
الجاعِرتان : ما اطمأنَّ من الفخِذ والوَرِك في موضع المفصل.
الحَجبتان : حرفا الجاعرة اللذان يشرفان على الخاصرة (الحرقفتان).
الحصير : الذي يظهر في جنب الفرس معترضاً فما فوقه إلى منقطع الجنب.
الحَوشب : عُظَيم كالسلامى في طرف الوظيف بين رأس الوظيف ومستقرِّ الحافر.
الحوشبان : عظما الرسغ.
الداغِصة : العظم المدوَّر الذي يتحرك على رأس الركبة.
الدخيس : عظم الحوشب.
الدسيع : مغرز العنق في الكاهل.
الذُّنَابَى : منبت الذنب.
الشراسيف : أطراف الضلوع.
الشظاة : عُظَيْم لازق بالركبة.
الشظية : عظم لاصق بوظيف اليَدين من مؤخَّره.
العرقوب : ما يكون في رجلي الدابة بمنزلة الركبة في يدها، وكل ذي أربع عرقوباه في رِجليه وركبتاه في يديه.
العسيب : عظم الذنب.

الغُرابان : حرفا الجاعرة.

الفراشش : طرائق عظم الرأس.

القبيح : العظم الناتيء أسفل الإبرة إذا ضممتَ يدك.

القُصريان : الضلعان المؤخرتان.

الكاهل : ما شخص من فروع الكتفين إلى مستوى الظهر.

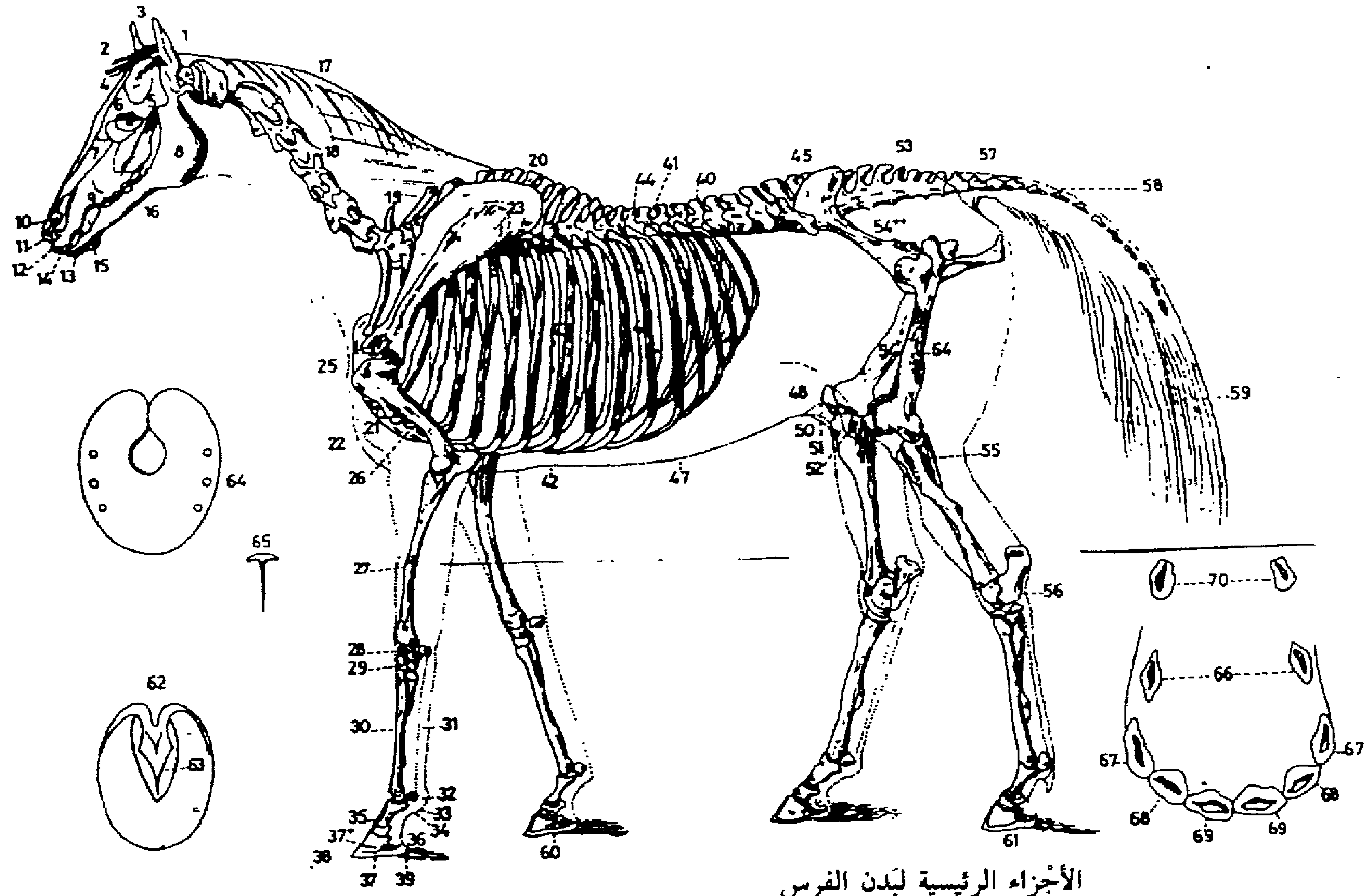
الكعْب : بين عظم الوظيف وعظم الساق، وهو الناتيء من خلفه.

المَعْقم : الرسْغ عند الحافر.

النّسْر : باطن الحافر.

النواهق : العظام الناتئة في خدود الخليل.

الوَظيف : مستَدَقٌ الذراع والساق ما بين العرقوب إلى الرسغ وما بين الركبة إلى الرسغ.



الأجْزاء الرئيسية لبَدن الفرس

تصوير Clement Mullet (الترجمة الفرنسية لكتاب الفلاحة تأليف ابن العوام الأندلسي)

Le livre de l'Agriculture - Ed. Bouslama - Tunis.

تسميةُ أجزاء بَدَن الفَرس الرئيسية
بالعَربية والفرنسية حسب «Mullet»
(انظر الصورة)

1 ـ قَذال	Nuque
2 ـ ناصية	Toupet
3 ـ أُذن	Oreilles
4 ـ جبهة	Front
5 ـ أوقاب	Salières
6 ـ عين	Yeux
7 ـ خيشوم	Chanfrein
8 ـ خدّ	Joue
9 ـ شدقة	Coin de la bouche
10 ـ مَنخِران	Naseaux
11 ـ أنف	Nez
12 ـ جحفلة عليا	Lèvre supérieure
13 ـ جحفلة سفلى	Lèvre inférieure
14 ـ أسنان	Dents
15 ـ لسان	Langue
16 ـ حنك	Ganache
17 ـ عجايتان	Crinière
18 ـ عنق، هادي	Cou - encolure
19 ـ قصرة	Base du cou
20 ـ حارِك	Garrot
21 ـ صدر	Poitrail

Partie extrême du poitrail	22 ـ لَبَب
Extrémité des omoplates	23 ـ غُرضوف
Épaule	24 ـ كتف
Jonction de l'umérus à l'omoplate	25 ـ منكل
Umérus	26 ـ عَضُد
Avant - bras. Radius	27 ـ ذراع
Genou	28 ـ ركبة
Partie extrême du genu	29 ـ طنوب
Canon	30 ـ وظيف
Tandons le long du canon	31 ـ عجايتان
Os sésamoides	32 ـ سعدانات
Boulet	33 ـ حشوب
Fanon	34 ـ ثُنّة
Pâturon	35 ـ رسغ
Couronne	36 ـ أشاعر
Sabot	37 ـ حافِر
Pince	38 ـ سنبك
Talon	39 ـ كعب
Dos	40 ـ ظهر
Place du cavalier	41 ـ صهوة
Passages des sangles	42 ـ محزم
Côtes	43 ـ أضلاع
Partie moyenne du dos	44 ـ حقوة
Place du second cavalier	45 ـ قطاة
Corps ou coffre	46 ـ جوف

Ventre. Abdomen	47 ـ بطن
Région hypocondroaque	48 ـ كشح
Le franc	49 ـ جنب
Verge	50 ـ إحليل. قضيب. غرمول
Fourreau	51 ـ قُنْب
Testicules	52 ـ خصي
Croupe	53 ـ كفل
Hanche	54 ـ ورك
Fémur	54* ـ صعد
Cuisse	54** ـ فخذ
Jambe	55 ـ ساق
Jarret	56 ـ عرقوب
Tronçon de la queue	57 ـ عكوة
Os de la queue	58 ـ عَسيب
Longs crins de la queue	59 ـ ذيل
Pied de devant	60 ـ يد
pied de derrière	61 ـ رجل
La sole	62 ـ كفّ
La fourchette	63 ـ نسْر
Le fer	64 ـ نعل
Le clou	65 ـ مسمار

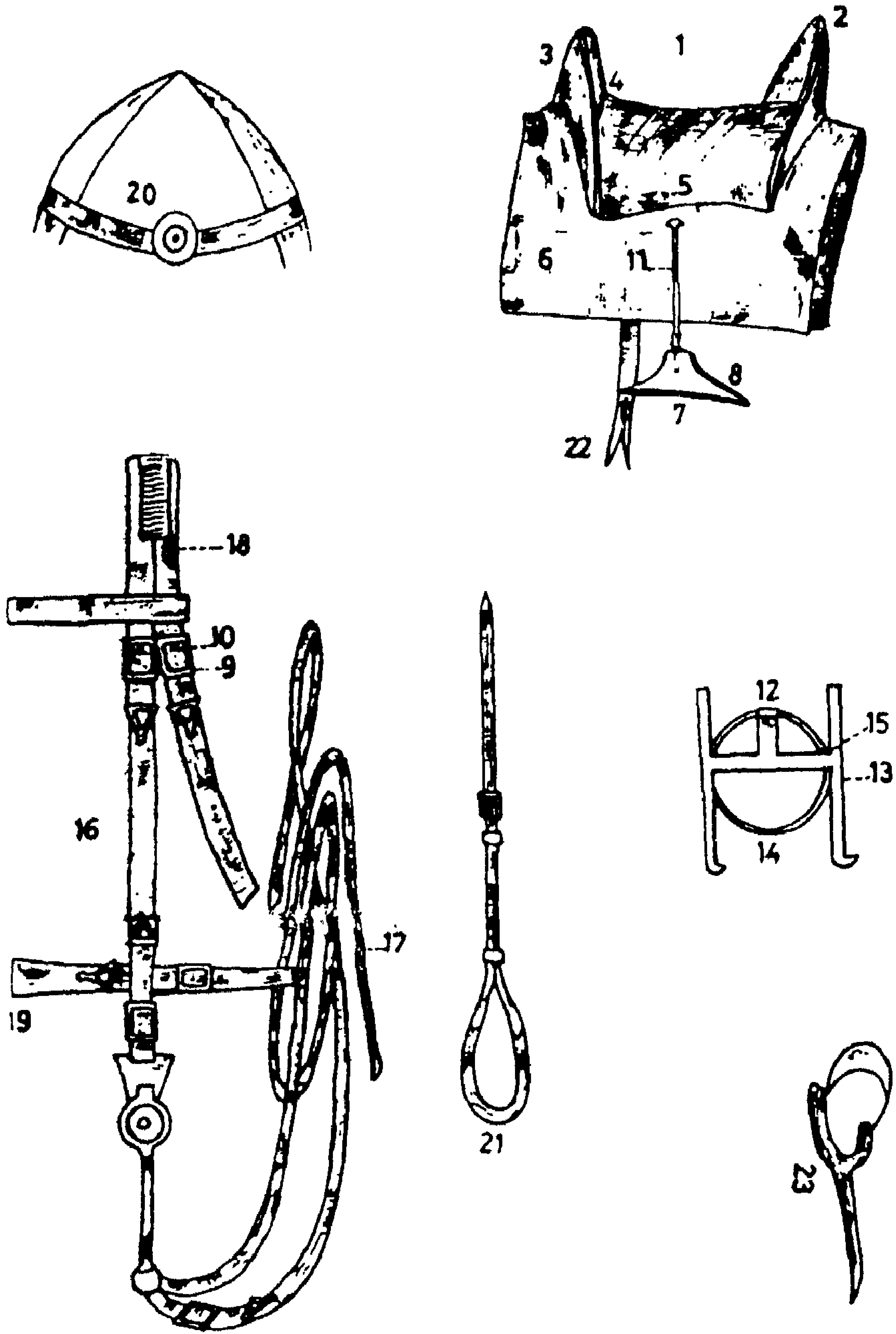
الأسنان

Les crochets	66 ـ أنياب
Coins	67 ـ قوارح

68 ـ رباعيـات	Moyennes
69 ـ ثَنيـات	Les pinces
70 ـ أضْـراس	Les molaires

أدَاة الخيل حسب «C. Mullet»
(انظر الصـورة)

1 ـ سَـرْج	La selle
2 ـ القربوس المقـدم	Le pommeau
3 ـ القربوس المؤخر	Le trousquin
4 ـ بَحر السرج	Fond de la selle
5 ـ دفَّـة	Un panneau de la selle
6 ـ طراجـة؟	La housse
7 ـ رِكـاب	L'Étrier
8 ـ حلق الركاب	Anneau qui reçoit le pied
9 ـ إبزيـم	La boucle
10 ـ شـوك	L'Ardillon de la boucle
11 ـ زخمـة؟	Couroie de l'étrièrétrivière
12 ـ اللّجـام	Le mors
13 ـ شكيمـة	Canon du mors
14 ـ فـأس	Lame d'atache
15 ـ حَكَمة (حَلْق الفك)	Anneau - gourmette
16 ـ لـجـام	La bride
17 ـ عِنـان	Les rènes
18 ـ عِـذار	tétière
19 ـ صمصـار؟	Muserolle



السَّرج واللِّجام ولوازمهما

من كتاب الفلاحة لابن العوام الأندلسي الترجمة الفرنسية بقلم **J.J. Clement Mullet**

Ed. Bouslama - Tunis 1977

Bande du poitrail	20 ـ لَبب
Croupière	21 ـ ثَفَر
La sangle	22 ـ حِزام
Eperon	23 ـ مِهْماز

الفهارس

1 ـ آيات القرآن الكريم.
2 ـ الأحاديث الشريفة.
3 ـ الحِكَم والأمثال.
4 ـ الشعر.
5 ـ أعلام الناس.
6 ـ أعلام الخَيْل.
7 ـ البلدان والبقاع والأجناس والقبائل.
8 ـ أيام العَرب.
9 ـ الكتب.
10 ـ المراجع.
11 ـ فهرس أبواب الكتاب.

1 ـ آيات القرآن الكريم

رقم الآية		رقم الصفحة
	سورة النحل	
6	﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾	47
68	﴿ وأوحى ربّك إلى النحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً. . . ﴾	189
	سورة الإسراء	
59	﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾	251
70	﴿ ولقد كَرَّمنا بني آدم ﴾	39
	سورة الكهف	
31	﴿ ويلبسون ثياباً خضراً. . . ﴾	50
	سورة الأنبياء	
69	﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾	210
79	﴿ وسخّرنا مع داوود الجبال يسبّحن والطير ﴾	46
81	﴿ ولسليمان الريح عاصفة ﴾	210
	سورة النور	
45	﴿ والله خلق كل دابّة من ماء ﴾	45
	سورة الشعراء	
4	﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية. . . ﴾	194
	سورة النمل	
16	﴿ وورث سليمان داوود. . . ﴾	210
16	﴿ وقال يأيها الناس عُلِّمنا منطق الطير ﴾	198
17	﴿ وحُشِر لسليمان جنوده. . . ﴾	210
18	﴿ قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم. . . ﴾	197 ـ 199
20	﴿ فقال: مالي لا أرى الهدهد ﴾	199
22	﴿ أحطت بما لم تحط به. . . ﴾	200
42	﴿ أهكذا عرشك؟. . . ﴾	202

2 ـ الأحاديث(*)

الحديث	رقم الصفحة

(*) لم نر فائدة من ترتيب الأحاديث على حروف المعجم فتركناها كما وردت في الكتاب أولاً بأول مشيرين إلى أرقام الصفحات.

الحديث	رقم الصفحة
ـ وروى الواقدي أيضاً عن سليمان بن الحارث. . . «قال: سبق أبو أسيد الساعدي على فرس رسول الله ﷺ. . .»	146
ـ «وقيل لأنس بن مالك: أكان رسول الله ـ ﷺ ـ يراهن على الخيل؟. . .»	146
ـ «وعن مكحول أن رسول الله ـ ﷺ ـ سبق الخيل فجاء فرسه الأدهم سابقاً. . .»	146
ـ «عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ سابق بالخيل التي قد ضمرت. . .»	146
ـ روى أبو داوود أن النبي ـ ﷺ ـ سابق بين الخيل وفضل القُرح في الغاية	147
ـ «روي عن النبي ـ ﷺ ـ من رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «من أدخل فرساً بين فرسين فهو يؤمن أن يسبق فذلكم القِمار»	149
ـ «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»	190
ـ «إني لا أمْزح ولا أقول إلا حقاً»	199
ـ «ومن مزاحه ـ ﷺ ـ أن عجوزاً أتته من الأنصار. . .»	199
ـ «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»	200
ـ «زنا العين النظر»	204
ـ «لا تتلقى الركبان لبيع»	206
ـ «لا يصيب ابن آدم خدش عود أو قدم عثرة. . .»	206
ـ «نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا. . .»	210
ـ «اغتنم خمساً قبل خمس. . .»	215
ـ «أربعة من سنن المسلمين. . .»	215
ـ «أربع لا يشبعن من أربع. . .»	215
ـ «أربع يذهبن ضياعاً. . .»	215 ـ 217
ـ «أربع لو شُدت إليهن الرحال كان قليلاً. . .»	217
ـ «ثلاثة لا يضر معهن شيء. . .»	217
ـ «ثلاثة لا يلامون على سوء الخلق. . .»	217
ـ «إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة. . .»	246
ـ «إذا علا ماء الرجل ماء المرأة. . .»	246

الحديث	رقم الصفحة
ـ «من وطيء امرأته أو جاريته. . .»	248
ـ «عليكم بإناث الخيل. . .»	248
ـ «لا تؤذوا خالداً. . .»	249
ـ «لا تصلح الصنيعة إلا عند ذي حسب أو دين. . .»	250
ـ «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله. . .»	251
ـ «يأيها الناس إن الله أمرني أن أعلمكم وأؤدبكم. . .»	254
ـ «من احتجم يوم السبت. . .»	254
ـ «يعجبني الفأل: الكلمة الحسنة»	255

3 ـ الحكم والأمثال

رقم الصفحة

4 ـ الشعر

رقم الصفحة

الهمزة

الباء

رقم الصفحة

الراء

السين

رقم الصفحة

الضاد

العيْن

الغيْن

الفاء

القاف

رقم الصفحة

الهاء

الياء

5 ـ أعلام الناس

الألف

الباء

التاء والثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال والذال

الراء والزاي

السين

الشين

الصاد والضاد والطاء

العين والغين

الفاء والقاف

الكاف واللام

الميم

النون

الهاء والواو والياء

6 ـ أعلام الخيل في الجاهلية والإسلام

أ ـ خيل رسول الله ﷺ

ب ـ أعلام خيل العرب

7 - البُلدان والأجناس والقبائل والبقاع

8 ـ أيام العرب في الجاهلية والإسلام

9 ـ الكتب

10 ـ المصَادِر والمراجع العامة

ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عِنان، مكتبة الخانجي، القاهرة 1397هـ/ 1977م.

ـ **أدب الكاتب**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، طبعة بريل (ليدان) 1900.

ـ **أزهار الرياض في أخبار عياض**: أبو العباس أحمد المقّري، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، (خمسة أجزاء)، مطبعة فضالة، المحمدية.

ـ **أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها**: الحسن بن أحمد الأعرابي، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت 1982.

ـ **أسماء خيل العرب وفرسانها**: محمد زياد ابن الأعرابي، تحقيق دلافيدا، بريل ليدن 1928.

ـ **الأصمعيات**: تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف (الطبعة الخامسة) القاهرة 1976.

ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي (الطبعة الرابعة)؛ دار العلم للملايين، بيروت 1979.

ـ **الأغاني**: أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق عبد الله العلايلي وموسى سليمان وأحمد أبو سعد، دار الثقافة، بيروت.

ـ **الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب**: لأبي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982.

ـ **الأمالي**: لأبي علي القالي، (طبعة مصورة)، دار الفكر بيروت.

ـ **أنساب الخيل**: هشام بن محمد ابن الكلبي، تحقيق أحمد زكي، القاهرة 1965.

ـ **جمهرة أشعار العَرَب**: أبو زيد القرشي، بولاق، القاهرة 1308.

- **الحلبة في أسماء الخيل المشهورة**: الصاحبي التّاجي، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت 1405هـ/ 1985م.
- **جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (في الحديث)**: محمد بن سليمان الروداني، تحقيق مولوي فاضل، المطبعة الخيرية، ميرته (الهند) 1345هـ.
- **جمهرة أنساب العرب**: أبو محمد علي بن حزم - دار المعارف، القاهرة.
- **حلية الفرسان وشعار الشجعان**: علي بن عبد الرحمن بن هذيل، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة 1951.
- **الحماسة، (ديوان)**: أبو تمام الطائي - مطبعة السعادة، القاهرة 1927، والطبعة الجديدة بتحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980.
- **الحيوان**: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة 1364هـ/ 1945م.
- **الخيـل**: أبو عبيدة، معمر بن المثنى، حيدرآباد، الدكن، 1358.
- **الخيـل**: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، تحقيق الدكتور نوري القيسي، بغداد 1970.
- **ديوان الخنساء**: بيروت 1968.
- **ديوان ابن خفاجة**: تحقيق الدكتور مصطفى غازي، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- **ديوان المتنبِّي**: تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، القاهرة.
- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: أبو الحسن علي بن بسّام، تحقيق د. إحسان عَبّاس، الدار العربية للكتاب، بيروت 1975.
- **رحلة ابن بطوطة**: أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي، تحقيق الدكتور علي الكتاني، مطبعة الرسالة، بيروت 1395هـ/ 1975م.
- **رشحات المداد، فيما يتعلق بالصافنات الجياد**: محمد البَخشي الحلبي، المطبعة العلمية، حلب 1930.
- **زهر الآداب**: أبو إسحاق الحصري القيرواني، تحقيق الدكتور زكي مبارك، (طبعة مصورة) دار الجيل، بيروت 1972.
- **السيرة النبوية**: ابن هشام الحميري، تحقيق السقا وجماعة، القاهرة 1955.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: ابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، القاهرة 1360.

- شرح ديوان الحماسة: أحمد المرزوقي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1951.
- شرح السنة: البغوي، المكتب الإسلامي، دمشق 1976.
- شرح القصائد العشر: يحيى بن علي التبريزي.
- طبقات فحول الشُعراء: ابن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة 1974.
- العقد الفريد: أحمد ابن عبد ربه، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1944.
- العمدة: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1955.
- عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: علي بن ظافر الأزدي، تحقيق محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة 1971.
- فضل الخيل: عبد المؤمن الدمياطي، حلب 1930.
- القاموس المحيط: مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي، القاهرة (مصر).
- لسان العرب: محمد ابن منظور، بيروت 1968.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية: أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1978.
- مجمع الأمثال: الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1959.
- المخَصّص: ابن سيده، المطبعة الأميرية، بولاق 1319هـ.
- المرقبة العليا (تاريخ قضاة الأندلس): القاضي أبو الحسن النباهي، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة.
- مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي، ضبط يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت 1973.
- المزهِر: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1958.
- المُفَضّليات: تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف (الطبعة الخامسة) القاهرة 1970.

- **معجم البلدان**: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- **المقامات**: بديع الزمان الهمذاني، تحقيق محمد عبده.
- **نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**: أبو الوليد أسماعيل بن الأحمر، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1396هـ/ 1976م.
- **نثير فرائد الجُمان**: أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر، تحقيق الدكتور رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت.
- **نفح الطيب**: أبو العباس أحمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس؛ دار صادر، بيروت 1968.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**: شهاب الدين أحمد النويري.
- **النوادر، لأبي علي القالي**: المكتب التجاري، بيروت.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**: أبو العباس أحمد بابا التنبكتي، مطبعة السعادة، مصر 1392.

11 ـ فهرس أبواب الكتاب



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها: الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) ـ الحمراء ـ بناية الأسود

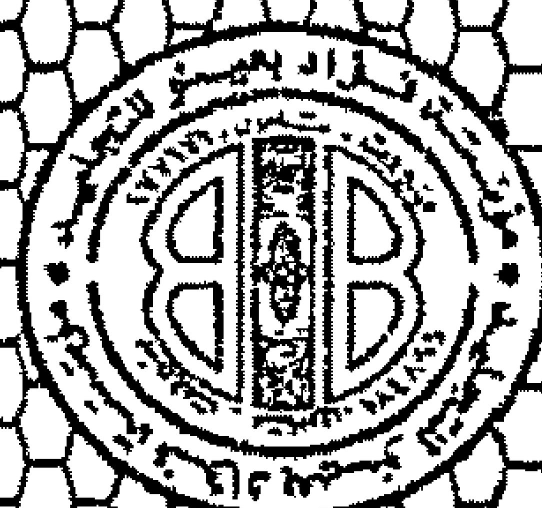
تلفون : 340131 - 340132 ـ ص . ب . 5787 - 113 بيروت ـ لبنان

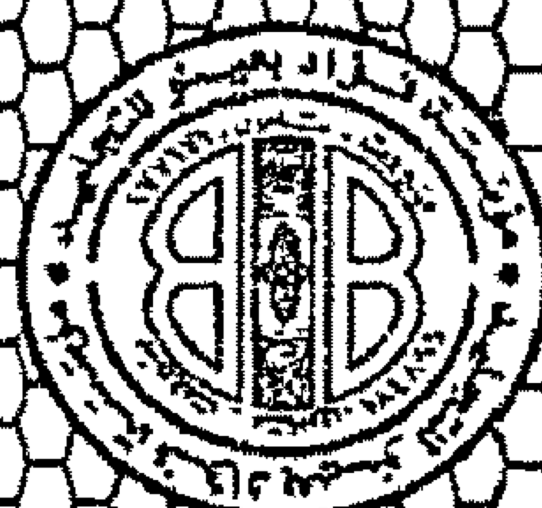
DAR AL- GHARB AL- ISLAMI – B.P.:113 - 5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 86/2/3000/82

التنضيد : كومبيوتايب COMPUTYPE ELECTRONIC TYPESETTING 

الطباعة: مؤسسة جواد للطباعة والتصوير






Bibliotheca Alexandrina
0439571